وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الآداب

رسائل ابن حزم الأندلسي
في ضوء نظرية التوصيل

رسالة قدّمتها الطالبة
ضحى مجيد بدر البعاج

إلى مجلس كلية الآداب – جامعة القادسية
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية
وآدابها /أدب

إشراف
أ.م.د. ناهضة ستار عبيد

١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ
يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾



﴿سورة المجادلة﴾

الآية ﴿١١﴾

الإهداء

إلــى كــل مــن أسهم ســواء مــاديــا أم معنويــا

وبخاصة والديّ اللذين اسهما في نشأتي وارتقائي لن يعوضهما أي شيء في الحياة كافحا من أجلي

حتى أوصلاني إلى هذه المرحلة

أطال الله في عمرهما

إلى أخي وزوجته نور حياتي

إلى أخواتي سندي

إلى ثمرة فؤادي ولدي حسين

إلى كل من ساعدني وشجعني

على إتمام بحثي هذا

من الأهل والأصدقاء

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ:

(رسائل ابن حزم الأندلسي في ضوء نظرية التوصيل)

من قبل طالبة الماجستير (**ضحى مجيد بدر البعاج**) قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب / جامعة القادسية، وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها.

أ.م.د. ناهضة ستار عبيد

جامعة القادسية / كلية الاداب/ قسم اللغة العربية

المشرف

/ /٢٠١٦

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

أ . م . د . حازم كريم عباس الكلابي

رئيس قسم اللغة العربية

جامعة القادسية / كلية الآداب

/ / ٢٠١٦

المقدمة

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين الذي لا يؤدّي مدحته المادحون، ولا يحصي نعماءه العادّون، وأصلي صلاةً تامّةً على خير خلقه أجمعين محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين صفوة الله من عباده المقربين.

أمّا بعد ...

فممّا لاشكّ فيه أنّ نظرية التوصيل يُمكن أن تُوظّف ويُفاد منها في تحليل النّصوص التّراثية، وكذا الحال في النّصوص الحديثة، إذ إنّها تعالج ما يكون ضمن دراستها بالاستضاءة بمعطيات المناهج الحديثة من مثل المنهج البنيوي، والمنهج السّيميائي، والمنهج الأسلوبي وغيرها ممّا أفدتُ منه، ولمّا كانت رسائل ابن حزم الأندلسيّ نصوصاً أدبية تُراثية تصلح أن تكون ميداناً رحباً لتطبيق هذه النظرية يضاف إلى أنّها تفتح آفاقاً واسعةً على الحداثة وما بعدها - إنْ كانت تطبيقاً لمناهج تتعاطى مع ذلك - ومن هنا كانت رغبتي في دراستها.

وثمّة قضية أخرى تتعلّق بالحضارة الأندلسيّة، والاتجاه الظاهري الذي اتّخذه ابن حزم معتقداً استند إليه في كل ما يتعلّق بما كان يعيشه في الحياة، علماً كان أم فقهاً أم أدباً أم غير ذلك؟ وهو ما انعكس جلياً على رسائله التي اتّخذتها ميداناً لدراستي هنا، إذ برزت معالِمُ منهجه العقائديّ في توجيه خطابه، والتعامل مع قارئيه، وكذلك أثر في كونه مُرسِلاً باثّاً وما إلى ذلك من عناصر نظرية التّوصيل المختلفة، و قد لحظتُ ذلك بشكل جلي.

وقد اتّجهت بي حيثيات الموضوع و طبيعته بدءاً بالنظرية و انتهاءً بنصوص الرسائل إلى دراسته وتقسيمه على ثلاثة فصول يتقدمها تمهيد يتناول (نظرية التوصيل تأصيل وتصنيف موضوعي)، وتلاه الفصل الأوّل الذي وسمتُه بـ(الرسالة في نصوص رسائل ابن حزم)، أمّا الفصل الثّاني فكان موسوماً بـ(المُرْسِل والمُرْسَل إليه في رسائل ابن حزم)، و قد كان عنوان الفصل الثّالث (العوامل المكملة للتواصل وفاعليتها في رسائل ابن حزم).

ولا يخلو أي عمل من صعوبات تعترض الباحث وبحثه، ومن أهمها جدة الموضوع وقلة وجود دراسات سابقة تتناول رسائل ابن حزم ودراستها، وفق نظرية نقدية حديثة ويتضافر مع ذلك تحديد المعنى المقصود بعينه اذ كثيرا ما تعددت المعاني والدلالات في متن الرسالة.

فضلاً عن مشقة التّعامل مع المصطلح المُعرّب (المترجم)، وتعدد ما وجدتُ له للمفهوم الواحد إذ عمد كثير من المترجمين من الباحثين والنُّقاد العرب إلى ترجمة المصطلحات التي تنطلق من نظرية التّوصيل، وما يدور حولها ترجمات متغايرة من حيث اللفظ ممّا يجعل مسألة تخيُّر المصطلح الأدق أمراً عسيراً و شاقاً، و هذا ما أضاف مشقة أخرى تندرج ضمن ما ذكرته من قبل، فقد أدّى بي تعدد المصطلح إلى محاولة انتقاء أقربها الى النظرية لأتوخّى بذلك الحصول على أدقّ النتائج من خلال مقاربة تلك المفاهيم من لغة ابن حزم وأسلوبه الظاهر في رسائله، إذ كان لمنهجه العقائديّ أثر واضح فيها، وهو ما جعل تلك الرسائل تحتمل قراءات متعددة واحتمالات لمعانٍ مختلفة تقف وراء الموضوعات المتعددة التي تناولها ابن حزم، وأعدُّ هذه القضية مضاعفةً للمشقة والعُسرِ إذا ما أُخِذَ بالحسبان دراستها في ضوء نظرية التّوصيل.

من أهم المصادر التي افدت منها هي رسائل ابن حزم بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس، فقد كانت تطبيقاً لهذه الدراسة، ومؤلفاته (طوق الحمامة في الألفة والأُلاف)، ومن تلك المؤلفات ما يخص الجانب النقديّ والنظري أذكر منها: (نظرية التواصل في النقد العربي الحديث) للباحثة سحر كاظم الشّجيريّ، ومنها أيضاً (قضايا الشعرية) لرومان جاكبسون، و(الأدب وخطاب النقد) للدكتور عبد السلام المسديّ، واستعملت كثيراً من المصادر أترك ذكرها وتقصيها إلى صحيفة المظان والمراجع لتكون شاهداً على توظيفها.

وثمّة قضية أود الوقوف عليها بإيجاز هي أنّ رسائل ابن حزم الاندلسيّ المحققة مؤلفة من مجلدين ضخمين احتوت أربعة أجزاء، ولتشابه ارقام الصفحات في كلا المجلدين وتكرارها فيهما عمدت الى استعمال الحرف (م) للدلالة على المجلّد، وأشرتُ بالحرف (ج) للدلالة على الجزء، وأذكر أنّي استغنيت عن ذكرهما – أقصد الحرفين – في الهوامش وأبقيت على ما يدل على وجودهما في استعمال المصادر.

وقد أفدتُ كثيراً من الطريقة الإحصائية إذ إنّها ساعدتني في تحليل ما احتوت عليه رسائل ابن حزم، وما بثه فيها ممّا أراد إيصاله إلى متلقيه إذ أفدتُ من الملاحظ التي أرشدتني إليها أستاذتي المشرفة، فكانت هذه الطريقة مفيدة جداً في التحليل، وكانت لي عوناً في استقصاء محتويات الرسائل، وما يهمنا في كل من مُرسِلٍ ومتلقٍ.

وختاماً أجد لزاماً وأمراً واجباً عليّ شُكرَ مَنْ تفضّلتْ، وتحمّلتْ، واقتسمتْ، وناءتْ بالحمل معي، فشاركتْ همّ الدراسة فكان عليها عبئاً وحِملاً ثقيلا تلك هي نموذج الأُستاذ وجوهر الإنسان الحقيقيّ أستاذتي المشرفة على رسالتي الأستاذة المساعدة الدكتورة ناهضة ستّار عُبيد التي فتحتْ لي قلبها قبل مكتبتها فنهلت منه الحنان قبل العلم. أستاذتي أقف لك إجلالاً، وإعظاماً، وهيبةً، فلا أفي حقّكِ عليّ، ولكن حسبي أن أدعو الله لك دوام العافية وتمامها، وأن ينعم عليك بغزير علمه وفيض مغفرته.

الباحثة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد .... لسنة ....

ثبت المحتويات

نظرية التوصيل تأصيل وتصنيف موضوعي

التمهيد

نظرية التوصيل تأصيل وتصنيف موضوعي

أولاً: نظرية التوصيل بين التأصيل والتأثير

أ-نظرية التوصيل:

تتصف كلمة التواصل في الألسنية الطبيعية بالغموض، وكما ذكر في المعجمات اللغوية الغربية أنّ مصطلح (Communicate) يعد الجذر اللغوي المشتق منه مصطلح (Communication)، والتوصيل أو الاتصال هو وسيلة الإنسان الرئيسية للحياة على هذهِ الأرض، فالتواصل وسيلة تبادل المنفعة، وإقامة العلاقات الاجتماعية، والأفكار والمشاعر(١).

يعود هذا الغموض في المصطلح إلى تشعب العلوم التي تناولت هذهِ المفردة بالدرس والتحليل، فاللسانيات، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والإعلاميات كلها تشترك في البحث فيه وهو ما يجعل من الصعوبة تقديم مدلول محدد لكلمة تواصل(٢).

ثمّة معان ودلالات عديدة لمصطلح التواصل منها: الانتقال والتوجه إلى الآخرين، والاتصال بهم من أجل مشاركتهم في معرفة بعض الأمور العامة غير المحركة منهم نوعاً ما، مثل إيصال الأفكار والحقائق الثابتة، ويتمّ التوجه والاتصال من خلال الكتابة، أو القراءة، أو عن طريق التحدث، أو الإصغاء للمُتَحدِّث(٣).

أمّا في قاموس أكسفورد فيشير مصطلح الاتصال (Communication) إلى عملية نقل المعلومات وتواصلها وربطها ببعض والاتصال يعني أيضاً الإسهام أو المشاركة، والتواصل مع الآخرين من خلال تبادل المعلومات والأفكار والأشياء، ويحمل التواصل

---

(١) ينظر: اللغة والتواصل الاجتماعي، د. فتحي علي يونس، وآخرون، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥: ٤.

(٢) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢ : ١٩.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل والنقد العربي الحديث، سحر كاظم حمزة الشجيري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ـــ الأردن، مؤسسة دار الصادق الثقافية، طبع ، نشر وتوزيع، العراق ـــ بابل ـــ الحلة، ط١، ٢٠١١: ١٧.

أيضاً معنى إبقاء الاتصال قائماً بين المتصلين والحفاظ على استمراره كما في أحاديث المحبين التي ترمي إلى مواصلة الحديث واستمراره[1].

والتواصل هو كذلك العملية التي يتفاعل بمقتضاها مستقبل ومرسل في مضامين اجتماعية معينة، يتم نقل الأفكار ومعلومات عن موضوع معين، وهكذا يكون الاتصال قائماً على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء[2].

ودلالة مصطلح التواصل (Communication) عند جاكبسون مشتقة من تلك الدلالة للجذر اتصل (Communicate) إذ إنّ معنى هذا المصطلح على وفق نظريته هو: توجيه المرسِل لرسالة ما إلى المرسَل إليه من خلال قناة الاتصال المعينة مع التشديد على تمكين المرسَل إليه من فهم الرسالة وإدراكها[3].

ومضمون نظرية التواصل عند جاكبسون هي صورة مختصرة لكل سيرورة لسانية، أو فعل توصيل لفظي متكون من عوامل متكافئة لتحقيق ذلك الفعل التواصلي فيما يؤكد ذلك بقوله: ((إنّ المرسِل يوجه رسالة إلى المرسَل إليه، ولكي تكون هذه الرسالة فاعلة فإنها تقتضي بادئ ذي بدء، سياقاً تحيل عليه، وهو ما يدعى أيضاً "المرجع" باصطلاح غامض نسبياً، سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسل اليه وهو إما أن يكون لفظياً أو قابلا لأن يكون كذلك: وتقتضي الرسالة سنناً مشتركاً، كلياً أو جزيأً بين المُرسِل والمُرسَل إليه، أو بعبارة أخرى بين السنن ومفكك سنن الرسالة، وتقتضي الرسالة أخيراً اتصالاً أي قناة فيزيقية وربطاً نفسيا بين المُرسِل والمُرسَل إليه، اتصالاً يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه))[4].

ويمثل جاكبسون لهذهِ العوامل التي تعد عناصر رئيسة في عملية التوصيل بما يأتي[5]:

السياق

---

(1)The Oxford Dictionary, University press, First Published, 1999, P. 145. نقلا عن نظرية التوصيل

(2)Webster's New twentieth century Dictionary of the English Noah webster, تاليف, Collins world, 1978, P36.

(3) ينظر: قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، د. محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٨: ٢٧.

(4) نفسه: ١٧.

(5) ينظر: نفسه: ٢٨-٣١.

مُرسِل .... رسالة .... مُرسَل إليه

اتصال

سنن

مخطط رقم (١)

عملية التوصيل

ولكل عامل من هذه العوامل وظيفة لسانية خاصة به، إذ بتنوع الرسائل تتنوع الوظائف فلا يجوز احتكار وظيفة ما إلى أخرى، ويتعلق ذلك بالبنية اللفظية لرسالة ما، قبل كل شيء بالوظيفة المهيمنة، إذ ينبغي أن يأخذ اللساني المتمعن بعين الاعتبار المساهمة الثانوية للوظائف الأخرى[١].

كثرت مداولات التوصيل في الأدب العربي، فقد عرف بأنه نقل خبر ما من شخص إلى آخر وإخباره به واطلاعه عليه، وذلك يعني إقامة علاقة مع شخص ما ويشير إلى إرسال شيء ما إلى شخص ما، ويدل أيضاً على ما يساعد الانتقال من مكان إلى آخر، ويُراد به كل علاقة ديناميكية تدخل في عمل ما[٢].

ويتجاوز التوصيل حدود تأمين الإبلاغ كما يقتضيه المخاطب باللغة، وتتضمنه دلالة المحاورة عبر قناة الملفوظ الكلامي بعد الوفاق الضمني، وهي العلامات الصوتية التي تعد من مراتب الأداء اللغوي[٣].

تهدف العملية التوصيلية إلى نقل المعلومات من متكلم بوصفه مصدر المعلومات إلى المخاطب الذي يكون متلقياً لها، وهذا يعني أنّ التواصل هو عبارة عن سيرورة[٤]((تبادل الدلالة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الثانية، وتقتضي هذه العملية جواباً صريحاً، أو ضمنياً))[٥].

ومن خلال ما تقدم نجد أنّ الاتصال هو ((أساس كل تفاعل (تواصلي / إعلامي) ثقافي حيث يتيح نقل المعارف والمعلومات وييسر التفاهم بين الأفراد والجماعات))[٦].

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧.

(٢) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية : ٣١ .

(٣) ينظر: الأدب وخطاب النقد، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط، ٢٠٠٤: ٤٥.

(٤) ينظر: اللسانيات والتواصل، عمر أوكان، ٢٠٠١، مجلة فكر ونقد عدد: ٣٦ سنة ٤: ١٣٠. (بحث منشور).

(٥) ينظر: نفسه: ١٣٠.

(٦) مقدمة في علم الإعلام: ٣٤.

وهناك وظيفة تعد من أهم الوظائف الإيحائية وأخطرها: للتوصيل هي الوظيفة التواصلية، ونستطيع إغفال اهميتها في زماننا هذا بصفة عامة ولاسيما عند العرب المعاصرين بصفة عامة إذ صار التواصل موضوعاً مهيمناً على آليات التفكير الحديث، ويتبوأ مركزاً مهماً في أذهان المثقفين حتى كأنّه المارد الثقافي الذي كان قابعاً بأوي وراء ستائر العلم والمعرفة، ومن ثمّ انبثق فجأة فاخترق الحجب وتسلل بين السجوف ليتبوأ صدارة الاشياء ويستبد بها مكاناً لا يتحدد[1].

ويرى جاكبسون أنّ للغة وظيفة واحدة هي التواصل، أي أن اللغة وسيلة التواصل اللساني، ولا يتم ذلك التواصل إلاّ بتوافر مجموعة من العوامل أو المرتكزات الرئيسة التي يتوقف عليها نجاح التواصل اللغوي[2]، (وهذه المرتكزات هي:

١. المرسِل: هو الباث، أو المُنتِج، أو المُخاطِب[3]، وهو مصدر الخطاب كذلك[4].
٢. المرسَل إليه: هو المتلقي للكلام الذي يفكك أجزاء الرسالة التي يتلقاها[5].
٣. الرسالة: وتعد بؤرة اهتمام المتلقي، وهي وحدة من الإشارات المنطقة بقواعد تراكيب مضبوطة يبعثها جهاز الإرسال إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة معينة[6].
٤. السياق / المرجع: وهو العنصر الرئيس الذي يشترط وجوده جاكوبسون أي رسالة لكي تكون مفهومة، فلا تفكك مفردات الرسالة ولا تفهم إلاّ بالإحالة على الظروف التي أُنجزت فيها، ليتم فهم القيمة الإخبارية وإدراكها[7].

---

(١) ينظر: الأدب وخطاب النقد: ٤٥.

(٢) ينظر: في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠٠٧: ٢٤.

(٣) ينظر: الأسلوب الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، عمان ـــــ الأردن ، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠٠٧ م : ١٣٨.

(٤) ينظر: التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، الطاهر حسن مزير، الدار العربية للعلوم، دار الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧: ٢٤.

(٥) ينظر: نفسه: ٢٦.

(٦) ينظر: نفسه: ٢٧.

(٧) قضايا الشعرية: ٢٧.

٥. **قناة الاتصال**: وهو ترابط نفسي أو فيزيقي تُمكّن كلاً من المُرسِل والمتلقي من إقامة التواصل بينهما والحفاظ عليه(١).

٦. **السَنَن**: هي اللغة التي يشترك فيها المُرسِل والمُرسَل إليه فمنها ينطلق المُرسِل في ترميز رسالته عندما يرسل رسالة حاملة لمضمون ما، فيقوم بعملية الاختيار والتأليف، وإليها يلجأ المُرسَل إليه لفهم محتوى أي رسالة فيقوم بعملية تفكيك الدوال بحثاً عن المضامين الدلالية الموجودة فيها/ فقاطعية الحدث الكلامية جاكبسون مرهونة باستخدام شفيرة مشتركة بين المساهمين فيه))(١).

وبهذا يصبح من الممكن أنْ تتمّ خطاطة العوامل الستة الأساسية بخطاطة مناسبة للوظائف(٢) هي:

مرجعية

انفعالية .... شعرية .... إفهامية

انتباهية

ميتالسانية

مخطط رقم (٢)

وظائف عملية التوصيل

ومن خلال ذلك يتضح أنّ الوظائف الستة للرسالة تجسِّد عملية الاتصال في دوائرها المختلفة، ومع تعدد الوظائف يصبح من الصعب علينا إيجاد وسائل تؤدي وظيفة واحدة، فالوظيفة الانفعالية التي ترتبط بالمتكلم من خلال استعماله لأُسلوب النداء مثلاً والوظيفة الانفعالية ترتبط بالمتلقي من خلال (جمل الأمر)، والوظيفة الانتباهية تتجسَّد من خلال الاتصال، والوظيفة المرجعية التي تجعل اللغة نفسها موضوعاً للتأكيد

---

(١) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية، ٤٧.

(٢) نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال، د. حسين خمري: ٢٦٥.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٣.

على أن المرسل والمتلقي يستعملان اللغة نفسها، أمّا الرسالة فتصوغ أبعاداً شعرية، وقد اهتم جاكبسون بالوظيفة الشعرية؛ لأنها تُعد أبرز وظائف الفن اللغوي[1].

ولابد لنا من أنْ نذكر هنا أنّ نظرية جاكبسون في التوصيل كانت من ضمن محاضرة له بعنوان ((الألسنة الشعرية)) ألقاها في ندوة عالمية عقدتها جامعة أنديانا في الولايات المتحدة الامريكية، ضمت أبرز علماء اللسانيات ونقاد الأدب، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع وكان محورها الأسلوبية[2]. تتصل وظائف التواصل اللساني هذه بوظائف التواصل اللفظي[3].

ويبقى مشروع جاكبسون هو الأكثر إحاطة وشمولية لوظائف التواصل اللفظي الرئيسية ، فهو يعتمد نموذج الاتصال السداسي ليصوغ منه تلك الوظائف[4] التي هي:

١. الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية(Lafonction expressive ouemotire): هي الوظيفة التي ترتكز على المُرسِل، وتهدف إلى التعبير[5] ((بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع (...)، وتمثّلُ صيغ التعجب في اللغة الطبقة الانفعالية الخاصة))[6].

٢. الوظيفة الإفهامية الندائية (التأثيرية) (Lafunctionconativie): ويكون مصدرها الرئيس المُرسَل إليه. ونجد أنّ هذه الوظيفة من أبرز صيغها في الأساليب الإنشائية النداء، والأمر، والاستفهام، والغرض منها هو لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه وإقناعه بالآراء، والأفكار، والقضايا التي تحملها الملفوظات والنصوص، ومقصد الإقناع هذا يستلزم فعالية لغوية ومنطقية وتنظم الخطاب بطريقة خاصة تؤثر في المتلقي، وتجعله يعيد النظر فيما كان يحمله من أفكار

---

(١) ينظر: الاسلوب والاسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، د. موسى ربابعة، إربد : دار الكندي، ط١، ٢٠٠٣: ٦٣.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٢ ، وينظر : الأسلوب والأسلوبية ، د. يوسف ربابعة : ١٢ .

(٣) ينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، د. عباس رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الأعظمية، ط١، ٢٠٠٩: ٢٠٥.

(٤) نفسه: ٢٠٦.

(٥) قضايا الشعرية: ٢٨، وينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٤٨.

(٦) المحاورة مقاربة تداولية: ٥٠.

ومعتقدات، ويدفعه إلى التحرك واتخاذ مواقف: الوعظ، والإرشاد، والتهديد، والقيام بالدعاية، أو لحملة إنتخابية.

٣. الوظيفة المرجعية: (Lafonctionre'ferentiell): وتتجه هذه الوظيفة نحو المرجع المشترك بين طرفي التواصل الرئيسيين، أي ما هو مشترك ومتفق عليه من المُرسِل والمُرسَل إليه وهو المسوِّغ لعملية التواصل[١]، وهذه الوظيفة التي تعتمد لتعيين الموضوعات كي تأخذ دلالات معينة ولذلك تسمى كذلك بالوظيفة التعيينية[٢].

٤. الوظيفة الانتباهية(Phatic): ويولدها الاتصال حيث يتغيّا إقامة التواصل بين المُرسِل والمُرسَل إليه، وتمديده أو فصمه عنه، والتّثبت من ديمومة التواصل، والتأكد من اشتغال دورة الكلام[٣]، وتتمحور هذه الوظيفة في جمل من مثل (ألو تسمعني)، وتوظف الإثارة انتباه المُرسَل إليه والتأكد من أنّ انتباهه لم يتأرجح بين فهمين أو أكثر، كاستعمال عبارات من مثل: (قل أتسمعني، أو استمع إليّ)[٤].

إليّ)[٤].

وقد أولى جاكبسون هذه الوظيفة اهتماماً بالغاً، إذ عدّها الوظيفة الأولى التي يكتسبها الطفل ويستعملها بنجاح؛ لأنّ الرغبة في إقامة التواصل تسبق عنده القدرة على التلفظ بملفوظات حاملة لدلالة إخبار معينة، ففي كلامه لا يوجد ما يحيل على مرجع إدراكي محدد، ولا يمكن لهذا التنبيه أن يتحول إلى لغة، ويتم بها التواصل، إلا بمساعدة محيط لغوي متعاون وبخاصة في محيط الأسرة، ولا تقتصر هذه الوظيفة على الإنسان فحسب، بل نجدها لدى الحيوانات الناطقة أيضاً ولاسيما الطيور[٥].

٥. الوظيفة الشعرية (Peol): وهذه الوظيفة تتمحور حول الرسالة نفسها، ويقصد بها ما يتعلّق بالجانب الجمالي البلاغي في الرسالة، ولا يقتصر وجود هذه

---

(١) ينظر: نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، د. رضوان القضماني، وأسامة العكش، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مج ٢٩،ع ١٢، ٢٠٠٧، ١٤٤.

(٢) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٥١.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٠، والانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب: ٣٠٧.

(٤) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٠.

(٥) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٥٢.

الوظيفة في مجال الشعر فحسب، أي أنّ هذه الوظيفة لها أثر ثانوي في النص الأدبي أي أن الوظيفة الشعرية ليست غائبة في التواصل اللغوي، ولكنّها لا تقوم فيه إلاّ بدور ثانوي كما هو الشأن في الشعارات السياسية، والإشهارية(١).

ويتضح من ذلك أن الوظيفة الشعرية تشمل النص الأدبي عامة شعره ونثره، ويؤكّد جاكبسون: إن ليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط الوظيفة المهيمنة والمحددة(٢)، أي أنّ تحذيراته من اقتصار الوظيفة الشعرية على التحليل الألسني لنص الرسالة ولم يمنع أغلب الاتجاهات البنيوية من التركيز على هذه الوظيفة، والإسراف في التحليل الداخلي للخطاب الأدبي بعدّه بنية ألسنية مغلقة(٣).

٦. الوظيفة الميتالسانية: (Lafunction metaling nistique).

ويقصد بها ما كان خارجاً عن السياق اللغوي، أو لنقل هو ما يخرج عن الملفوظ والمكتوب اللغوي وما يتعلّق بما وراء اللغة.

وتتمحور هذه الوظيفة حول السنن المشترك بين مركب ذلك السنن (المُرسل)، وفككه (المرسل إليه)، فتؤدي وظيفة معجمية إذ يكون الخطاب مركزاً على السنن للتأكد من أنّ طرفي جهاز التخاطب يستعملان استعمالاً جيداً للسنن نفسها، وأنّ التفاهم ناتج حاصل(٤)، ولذلك فإنّ اللغة عندما تؤدي هذه الوظيفة تصبح لغة صناعية تستعمل لتفسير لغة طبيعية ووصفها، مثال ذلك النحاة المستعملة لتقرير عمل اللغة ووصفه(٥)، وتظهر هذه اللغة في الرسائل التي يكون محورها اللغة نفسها، فتتاول بالوصف اللغة نفسها، وتحمل هذه الوظيفة على عناصر البنية اللغوية وتعريف المفردات(٦).

---

(١) نفسه: ٥٤.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٢.

(٣) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٥٤.

(٤) ينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب: ٢٠٧.

(٥) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٥٢.

(٦) ينظر: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، نور الدين رايص: ١٧.

وكان الأدباء المبدعون في بادئ الأمر يعتمدون على مرتكزات تدور في إطار ثالوث أساسي للنقد الأدبي هو[1]: المؤلف / والنص / والقارئ.

وتختلف وجهات النظر بين النقاد في التركيز على أضلاع المثلث منذ أرسطو وأفلاطون، أي التركيز على أحد أضلاع المثلث من دون الإشارة إلى الضلعين الآخرين، فتارة نجد دائرة المبدع أو المؤلف تتسع بحيث لا يقف الاهتمام عند شخصيته أو سيرته بل يتجاوز ذلك إلى عد الفنان مرآة عصره[2].

وبعد ذلك يمكننا التعبير والتفريق بين وجهات النظر المتمثلة في الاتجاهات والمدارس المتباينة عند قراءة العمل الأدبي لغرض دراستها ومن خلال المخطط البياني لنظرية التوصيل اللغوي الذي وضعه اللغوي رومان جاكبسون[3].

السياق

المرسل ————→ الرسالة ————→ المستقبل (المرسل

إليه)

الاتصال

الشفرة / المتن

مخطط رقم(٣)

مخطط عناصر نظرية التوصيل

وقد خلص أحد النقاد إلى أن[4]: ((عنصر الاتصال، يمكننا حذفه من المخطط السابق عند مناقشة الأدب؛ لأنّ هذا العنصر ليست له أهمية خاصة عنده في الأدب))(1).

الأدب))(1).

---

(١) ينظر: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة، العدد ٢٣٢ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٩٨: ٨٥.

(٢) ينظر: نفسه: ٨٥.

(٣) ينظر : نفسه: ٨٥.

(٤) ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، د. عبد الناصر حسن محمد، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (د.ط)، ١٩٩٩: ٣.

ومما ذكر يمكن أنْ يصبح المخطط على النحو الآتي:

المرسل = الكاتب (المبدع)

المتلقي = القارئ

السياق = الإشارة

الرسالة = النص

الشفرة = اللغة الوسيط المتعارف عليها بين الكاتب والقارئ

وبناء على ذلك يصبح المخطط كما يأتي [1]:

السياق

الكاتب (المبدع)   النص   القـــــــــــارئ

الشفرة

مخطط رقم (٤)

نظرية التوصيل دون وجود العنصر السادس (قناة الاتصال)

ونلاحظ التركيز على العناصر الرئيسة التي هي (الكاتب، والنص، والقارئ) مما دل على أنّ هنالك ثلاثة اتجاهات رئيسة في قراءة العمل الأدبي، أو النصوص الأدبية بعامة هي [2]:

الاتجاه الأول: قراءة تعنى بـــ(الكاتب/المؤلّف) ونجدها في المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية.

الاتجاه الثاني: قراءة تعنى بـــ(النص / الأثر الأدبي) ونجدها في المناهج النصية بعامة مثل البنائية، والشعرية، والتفكيكية، والسيميولوجية (الإشارية).

الاتجاه الثالث: القارئ ونجدها في أكثر نظريات التلقي.

وثمّة كثير من النقاد من يخالفون الدكتور عبد الناصر حسن محمد الرأي ومنهم الدكتور عبد السلام المسدي [1]، والدكتورة بشرى موسى صالح [2]، إذ يكتمل عندهم

(١) ينظر: نفسه: ٣.

(٢) ينظر: نفسه: ٤.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي: ٤.

المخطط الجاكوبسوني بوجود العنصر السادس الذي هو (قناة الاتصال) التي تعد مفصلاً رئيساً في مخطط الاتصال أو التواصلية. واقتضت الدراسة تصويب رأي رومان جاكبسون بوجود هذا العنصر الذي له وظيفة خاصة به مستقلة عن غيرها.

وثمّة ملاحظ من بعض النقاد حول نموذج جاكبسون وجهت لمخطط التواصل هي مجموعة من الانتقادات تحمل وجهات نظر مختلفة غير أنّها جميعها تشكو من ضعف في فهم تصورات جاكبسون، ومنها[3]:

أولاً: ما قاله شولز لينتقد به المخطط، ويتبنى الدكتور حسن ناظم فكرة مصطلح رسالة الذي يشير إلى أمرين مختلفين هما المعنى من جهة، والشكل اللفظي من جهة أخرى، وهي تماماً ما فنده حسن ناظم بقوله: ((والرسالة ——— حقيقة ——— إشارة تدل على الصيغة اللفظية ومضمونها الدلالي))[4].

ثانياً: عدم التمييز داخل إطار مخطط جاكبسون بين نوعي الاتصال: الشفهي والكتابي، وهذا مردود من جهة أنّ جاكبسون لم يحدد لنا طبيعة كل من قناة الاتصال والشفرة، بل جعلها عامة تشمل أنواع الاتصال كافة من دون تمييز، والغريب أنّ حسن ناظم يعد ((فكرة إيجاد أساس تصنيفي لنموذج الاتصال لدى جاكبسون، تبدو غير عملية))[5]، متناسياً بذلك أنّ النموذج عملي يعود إلى نماذج الاتصال الهندسي ، ونظرية المعلومات التي ازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية[6].

ثالثاً: يذكر حسن ناظم أنّ نموذج جاكبسون ((يسقط من حسابه، أو ليتجاهل بضع وظائف أخرى))[7]، كالوظيفة التبجيلية، أو التباعدية التي تؤشر منزلة المتكلم بالنسبة للسامع والوظيفة التوكيدية التي درس خصائصها كل من لاريوزيوس وتروبتسكوي، فطبيعة هاتين الوظيفتين، وكيفية تشكلهما لسانياً أو تواصلياً، فالأولى ليست غريبة عن

---

(١) ينظر: الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي : ١٩.

(٢) ينظر: نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح: ٢٠.

(٣) ينظر: اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، يوسف اسكندر، العراق، بغداد ——— الأعظمية، ط١، ٢٠٠٤: ٥٠.

(٤) نفسه: ٥٠.

(٥) اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، يوسف اسكندر: ٥١.

(٦) ينظر: نفسه : ٥١.

(٧) نفسه: ٥٢.

مخطط جاكبسون، بل تحدث عنها كوظيفة مشتقة فإذا كان المرسل أعلى مقاماً من المرسل إليه كانت وعظية ــــــ حسب اصطلاح جاكبسون ــــــ ويمكن التمثيل لها بصيغ الرجاء(1).

أمّا الوظيفة الثانية وهي التوكيدية، فهي ليست وظيفة تواصلية بل تستند إلى مستوى أقل من مستويات التواصل اللغوي، إذ إنّها متعلقة بالمستوى الفونولوجي إلاّ فأنّ جاكبسون نفسه قدم لنا مجموعة متنوعة من هذه الوظائف المتعلقة.

ب- مفاهيم نظرية التوصيل ومصطلحاتها عند الغرب:

هناك جذور متعددة لنظرية التوصيل نجد أولها في عد اللغة أداة التفاهم والتواصل بين بني البشر منذ أول الوجود. وهذا ما نوّه له سوسير بتعريفه اللّغة في كتابه علم اللغة العلم(2).

إذ يرى سوسير أنّ موضوع اللسانيات الوحيد هو دراسة اللغة في ذاتها، ولذاتها، واللّغة عنده شكل تُنَظّم على وفق الأصوات والمتصورات(3)، والتوصيل بحسب نظام العلامات عند دي سوسير يقوم بين قطبين رئيسين هما (أ ــــــ ب)، أي شخصين: المُرسِل الذي يقوم ببث المراسلة، والمرسل إليه أو المتلقي(4).

وعلينا أن نفصل بين التواصل اللغوي وغير اللغوي، أمّا اللغويون قبل جاكبسون، لم يعيروا التواصل غير اللغوي أهمية كبيرة، بل ركّزوا جلّ اهتمامهم على اللغة الإنسانية والتواصل الإنساني باللغة الذي هو من أهم مميزات الطبيعة البشرية، فالكلام يتكون من مجموعة منظمة من الجمل، أو المرسلات وهذه المرسلات شعرية كانت أم نثرية لا تفهم عند التحليل إلاّ من خلال دي سوسير(5)، كما في المخطط التالي:

---

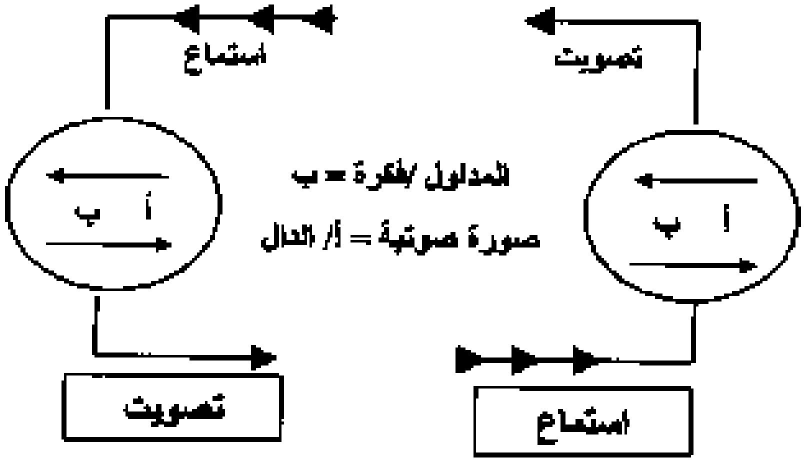
(1) ينظر: اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، يوسف اسكندر: 52.

(2) ينظر: علم اللغة العلم، فردينان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (د. ط)، 1988: 28.

(3) ينظر: نفسه: 30، وينظر: أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية، رسالة ماجستير، طاهر شارف الجزائر، الجامعة الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة محمد خضير ــــــ بسكرة، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص علوم اللسان العربي، بإشراف الدكتور صلاح الدين ملاوي، 2012-2013: 9.

(4) ينظر: نظرية الألسنية عند جاكبسون، دراسة ونصوص، د. فاطمة الطبال بركة، بيروت، لبنان، ط1، 1993: 63.

(5) ينظر: نفسه: 63.



مخطط رقم (٥)

الدائرة الكلامية عند سوسير

ولقد استعمل دي سوسير الدائرة الكلامية فمثل بقوله: إنَّ الدائرة الكلامية تحتاج إلى وجود شخصين على الأقل وهذا أقل عدد يقتضيه اكتمال الدائرة، لنفرض أنَّ شخصين (أوب) يتحدثان مع بعضهما، وبداية الدائرة هي في دماغ (أ) إذ ترتبط بالحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من الأصوات اللغوية (الصورة الصوتية) التي تستعمل للتعبير عن هذه الأفكار، فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها: وهذه الظاهرة السايكولوجية تتبعها عملية فسلجية إذ يرسل الدماغ إشارة للصورة، وإلى أذن الشخص (ب) وهذه العملية فيزياوية محضة(١).

ومن خلال ذلك المخطط نجد أنَّ جاكبسون انطلق من نموذج سوسير ليقدم نموذجاً أوسع هو تعديل لما جاء خطاباً عاماً، وهذه الرسالة تحتاج إلى شفرة وإلى قناة اتصال وتحتاج كذلك إلى سياق أيضاً، أي أنَّنا نقف أمام إختلافات واضحة تؤكد ابتعادنا عن بساطة تصوير سوسير السابق واقترابنا من تصورات أكثر تركيباً وصعوبة(٢).

ومن خلال الشبكة التواصلية التي تربط التصور العام للعلاقة اللسانية في فكر سوسير بدائرة الكلام التي تحول إلى أنموذج أساسه التواصل إذ تتخذ العلامة اللسانية

---

(١) ينظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير: ٢٩-٣٠.

(٢) ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك: د. عبد العزيز حمودة: ٧٢- ٢٧٢-٢٧٤ وينظر: نظرية التوصيل: سمر الشهوري: ٢٥.

داخل دائرة الكلام بوصفها كياناً نفسياً مجرداً يتألف من تلاحم الصورة الأكوستيكية (الدال) مع التصور (المدلول) تلاحم يترجمه مبدأ التداعي في أثناء كل عملية تواصلية[١]. وتحدد عملية التواصل بين الوضعين السابق واللاحق عن إنتاج العلامة (مثير ـــــ استجابة)[٢]، وينفي قيمة العلامة ليحولها إلى مجرد فراغ.

ت-مفاهيم نظرية التوصيل ومصطلحاتها عند العرب :-

وتجد تقسيم أنواع الإشارة في بيان الجاحظ (ت٢٥٥م) إلى خمسة أنواع هي: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والنِّصبة[٣].

١. **اللفظ**: اولى وسائل البيان وهي الكلام والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، وهي وسيلة التواصل بين افراد المجتمع والتعبير عن مشاعرهم، ويُعدّ رأي الجاحظ أصلاً اشتقت منه وسائل البيان الأخرى سواء كان ذلك من عقد وإشارة وخط[٤].

٢. **الاشارة**: وهي كل ما يقوم به الانسان من حركة بواسطة جوارحه، والإشارة نوعين الاول: كما يقول الجاحظ ((الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه))[٥]، ويبين الجاحظ اهمية الاشارة إذ هي ابلغ من الصوت بقوله: ((فلولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة))[٦]، أمّا النوع الثاني من أنواع الإشارة، فهو منفصل عن اللفظ، وكونه متصل به، فأعطى الجاحظ اهمية للإشارة وإنها لغة خاصة اشبه باللغة، فالإشارة لها نظامها الخاص الذي يشكل مواضعه الاجتماعية، تجعلها في مستواها الثاني الذي هو الانفصال عن الكلام ـــــ لغة قائمة بذاتها، وفي ذلك

---

(١) ينظر السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها :٢٨ .

(2) j.Martinet, clefs pour lasemiologie Ed. seghers. 1975 P:15

(نقلاً عن: السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها: ٢٨).

(٣) ينظر: النص والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، د. محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط١، ١٩٩٦: ١٠٨.

(٤) البيان والتبيين: ١/٨٤.

(٥) البيان والتبيين: ١/٨٣.

(٦) نفسه: ١/٨٣.

يقول: ((وقد يراك الأخرس من الناس ـــــ والأخرس أصم فيعرف ما تقول، بما يرى من صورة حركتك، كما يعرف معانيك من إشارتك))[١]

ويمكن أن يقال أنّ الإشارة هي الحركة، كما حددها الجاحظ تتميز بتشكيل نسق الصور المرئية في حيز الفضاء[٢]، يقول: ((فإنّ الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زجراً ومنعاً ورادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً))[٣].

٣. العقد: وهي ثالث وسائل البيان عند الجاحظ، والعقدُ ضربٌ خاص من الحساب، يتم بأصابع اليدين، إذ يقول الجاحظ فيه: ((القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل: الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان[٤]))[٥].

الخط: ويشمل كل وسيلة اصطنعها الإنسان من وسائل خطية تدرك بالعين في حدود سطح المكان، ولا يمكن الاستغناء عن هذه الإشارات والعلامات المكتوبة، أو المنقوشة، أو المحفورة، أو تلك التي رُميمَ بها بعض الحيوان لغرض معين، ويقول أبو عثمان: ((وليس بين الرقوم والخط فرق، وليس بين الوسوم وبين الرقوم فرق ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق، وكلها خطوط، وكلها كتاب، أو في معنى الخط والكتاب))[٦]، الخلاصة أنّ الخط أو الكتابة عند الجاحظ لغة، ولا فرق بين الحروف المجموعة في صوت اللفظ في الهواء، والحروف المصورة على الورق، فكلها صُور، وعلامات ودلالات[٧].

(١) الحيوان، كتاب الحيوان، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): ١/٤٠.

(٢) ينظر: النقد والدلالة: ١٠٩.

(٣) البيان والتبيين: ١/٧٧.

(٤) سورة الرحمن: آية : ١-٥.

(٥) البيان والتبيين: ١/٨٥.

(٦) البيان والتبيين: ١/٨٠ .

(٧) ينظر: النقد والدلالة: ١١١.

٤. النصبة: وهي الحالة الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقتصر عن تلك الدلالات)[١].

((ويُعدّ كتاب (الدلائل والاعتبار) أوضح أثر جاحظي اعتمد فيه صاحبه على الدلالة بالنّصبة، كي يقيم على أن الكون لم يوجد بالصدفة، وإنّما هو من صنع إلهي، ذلك أنّ هذا الكتاب تأمل في العالم، واستكناه للدلالة والنصبة أو الحال، ويدأ بالسماء والشمس والقمر ـــــ وانتهاء بالطير والذر والنحل، مما هو دقيق وغريب في مظهره وحياته، فيشهد على الإبداع الالهي..))[٢].

ومن خلال ذلك اتضح لنا أنّ النُّصبة بوصفها أداةً للتواصل تحمل رسالة صامتة، أو خطاباً بالحال، ومُصْدِرُ الرسالة أو باثها هو الله خالق العالم، ومتلقيها هو الإنسان الذي يتأمل الكون من حوله، فنستخلص من ذلك وجود الحكمة الإلهية[٣]، وفي ذلك يقول: ((سل الأرض فقل: مَنْ شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإذا لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً))[٤].

هذا ما التفت إليه سوسير بعد ذلك، فقد أكدّ أهمية اللغة فيما يخص الأنظمة الإشارية بوصفها النماذج المثالية التي تؤدي وظيفة التواصل، وهذا ما نلحظه فيما أحدثته محاضراته في علم اللغة من ثورة منهجية ومعرفية، أحدثت محاضراته في علم اللغة العلم ثورة منهجية ومعرفية عرضت العديد من القضايا، والمباحث المتعلقة باللغة بشكلها العام، وفي ميدان بحثه عن علم الاشارات إذ اقترح علماً يعد حياة الإشارات والعلامات، ويربط مع النواحي الاجتماعية، لهذا العلم أقر بأنّ دراسة أنظمة الاتصال (Systems of Communication) في الحياة الاجتماعية[٥]، ركّز سوسير في أبحاثه على مبدأ أنّ اللغة نظام من العلامات (Systems of sings) تعبر عن الأفكار، وعدّ العلامة كياناً ثنائياً يتكون من (الدال والمدلول) والدال يقابل الصورة الصوتية (الحسية) الذي تقدم الكلام عليه من قبل، أي مجموعة الاصوات المنطوقة والمدلول فيقابل (الفكرة)

---

(١) البيان والتبيين: ١/٨٢.

(٢) النقد والدلالة: ١٠٨–١٠٩.

(٣) ينظر: نفسه: ١٠٩.

(٤) البيان والتبيين، أبو عثمان محمد بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ): ١/ ٨١.

(٥) ينظر: النقد والدلالة: ١١٢.

أو المحتوى الذهني للدال، وكلاهما طبيعة نفسه يتحدان في الدماغ بواسطة آصرة تسمى (آصرة التداعي)، أو (الإيحاء) (connation)[١].

وهذه العلامات، أو الإشارات الإيحائية أو ما يسمى بـ(علم الدلالة) هي نواة علم السيميائية (الابستيمولجية)، وما يعنيه السيمياء أو السيميائية عند الغرب هو ((العلم الذي يدرس العلامات وبهذا عرفها كل من تودوروف، وغريماس، وجوليا كرستيفيا، وجون دوبوا، وجوزيف راي دوبوف))[٢].

أمّا ما يعنيه هذا العلم عند الباحثين والنقاد العرب فهو تفاعل الحقول المعرفية المختلفة، ولا يتم هذا التفاعل إلا بالوصول إلى مستوى مشترك يمكن من خلاله أن ندرك مقومات هذه الحقول المعرفية وهذا المستوى المشترك: هو العامل السيميوطيقي[٣]، والهدف الذي يقوم على هذا القسم من العلم هو الوصول إلى السيميوطيقا أو على الأقل الطموح في الوصول إليها وهو ما أشارت اليه الباحثة سيزا قاسم[٤].

وقد ربط سعيد علوش الثقافة ومظاهرها بقوله: ((هي دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتماداً على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع))[٥]، ممّا تقدم يتضح أنّ الجاحظ كان ناظراً، أو لنقل كان ملتفتاً إلى السيميولوجيا السيميولوجيا أو ما يسمى (علم الإشارة) واعتمادها على العلامات والاشارات والدلالات، وهذه كلها تُعدُّ وسائل للتواصل أو الاتصال السيميائي بين الاشخاص.

يعرف (فرانك دانس) الاتصال بأنّه ((العملية التي يتفاعل عن طريقها المرسل والمستقبل في إطار اجتماعي معين بانتزاع الاستجابة، باستخدام الرموز التفهمية التي تعمل كمثيرات لتلك الاستجابة))[٦].

---

(١) علم الدلالة بياغيرو : ٢٧.

(٢) الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، د. عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، (د. ط)، ٢٠٠٣ : ١٨.

(٣) ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف ــــ الجزائر، ط١، ٢٠١٠: ١٨.

(٤) مدخل إلى السيميوطيقا. السيميوطيقيا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، سيزا قاسم، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء ــــ المغرب ، ط٢ ، (د.ت) :١٣.

(٥) نفسه: ٢٠.

(٦) مدخل الى الاتصال والرأي العام. الأسس النظرية والاسهامات العربية، د. عاطف عدلي العبد عبيد، دار الفكر العربي القاهرة، ط٣، ١٩٩٩: ٢٦.

من خلال تتبعي لأصول هذه النظرية وجذورها وجدتُ أنّ لها أصلاً تراثياً يظهر عند الجاحظ وسيقه والتفاتاته المبكرة لأصولها وأسسها، ومن بعد ذلك نجد مراحل تطورها قد تجلّت عند سوسير ومن جاء بعده حتى غدت مصادر الأعلام والتواصل الاجتماعي تمثل أهم ركائزها ومصادر تناولها.

من خلال ذلك فقد قالت الدكتورة جيهان أحمد رشتي في كتابها (الأسس العلمية لنظريات الإعلام): ((إنّه مما يبعث على الدهشة عدم وجود تعريف مقبول بشكل عام لاصطلاح الاتصال فمعنى الاتصال واضح وغامض في الوقت نفسه، فالمعنى يصبح واضحاً حينما نستعمل بشكل تقليدي ضيق ولكنه يتسم بالغموض حينما نسعى لتحديد المجالات الواسعة التي يستعمل فيها، كما يرى (تشارلس موريس) أنّ اصطلاح (الاتصال) حينما نستعمله بشكل واسع النطاق يتناول أي ظرف يتوفر فيه مشاركة عدد من الأفراد في أمر معين ولكنه قصر الاتصال على توظيف الرموز واستعمالاتها لكي تحقق شيوعاً ومشاركة لها في المعنى أو المغزى أي أنّ تحقق تآلف حول قضية معينة سواء كان ذلك بواسطة الرموز أو أي وسيلة أخرى))(1).

ويشير الدكتور سمير محمد حسين إلى أنّ الاتصال هو نشاط يستهدف تحقيق العمومية، أو الذيوع، أو الانتشار، أو الشيوع، أو المألوفية لفكرة، أو موضوع، أو قضية عن طريق انتقال المعلومات، أو الأفكار، أو الآراء، أو الاتجاهات من شخص، أو جماعة إلى أشخاص وجماعات باستعمال رموز ذات معنى موحدة وموضوع بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين(2).

وهو من وجهة نظر الدكتور علي الباز الذي يبين لنا الغرض من الاتصال بقوله: ((الاتصال هو نقل صورة ذهنية معينة في ذهن وفكر المرسل يقوم بترميزها أي وضعها في رموز سواء كانت تلك الرموز هي اللغة أو الرسم أو الأفلام، وتحويلها لرسالة إلى

(1) مدخل في الاتصال الجماهيري، ونظريات التأثير، برهان الشاوي، إربد ـــ الأردن، دار الكندي، ط٦، ٢٠٠٨: ٩ ـــ ١٠.

(2) مدخل الى الاتصال والرأي العام : ١٤.

المُرسَل إليهِ حيث يقوم بفك تلك الرموز وبذلك تتجسد الصورة الذهنية في ذهن المرسل إليه))[1].

ويشمل الاتصال على عمليات تفاعل عاطفي وعقلي في ضوء تبادل التأثير بين الأطراف المشاركة فيه، وعلى هذا الأساس فإنَّ الاتصال ذو أبعاد سيكولوجية، وسوسيولوجية مرتبطة بسلوك الإنسان[2].

ث-تمثيلات نظرية التوصيل في النقد العربي الحديث :

مفاهيم التوصيل لغة واصطلاحاً عند العرب :

التوصيل لغةً :

إنَّ لفظة التوصيل مشتقة من الفعل وصل، وورد في كتاب العين: ((وَصَلَ كلُّ شيء اتصل له فما بينهما وصلة، وموصول البعير: ما بين عجزه وفخذه))[3]، وقد جاء في لسان العرب ((وصل الشيء وصل وصِلة، والوصل ضدُّ الهجران. والوصل عند ابن سيدة خلاف الفصل))[4].

وفي التنزيل العزيز: [ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ]‏[5] أي وصلنا ذكر الانبياء وأقاصيص من مضى بعضهما ببعض، لعلهم يعتبرون. ووصل الشيء بالشيء: لم ينقطع. ووصله إليه وأوصله، أنهاه إليه وابلغهُ إياه. ووَصَلَ: بمعنى اتَّصلَ وفي التنزيل العزيز:[ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ][6]؛ أي يتَّصلون. وقال الليث: كل شيء اتصَل بشيء فما بينهما وَصلَةٌ والجمع وُصَل، أي اتصال، والتوَاصل: ضد التصارُم والصلَة الجائزة العطية[7]. والوَصل: وصل الثوب، والموصول معقد للحبل في الحبل))[8].

---

(1) العلاقات العامة، والعلاقات الانسانية، والرأي العام، د. علي عجوة، الاسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1985، 94.

(2) ينظر: الاتصال الجماهيري، المنظور الجديد، د. هادي نعمان الهيتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط) 1998: 7-11.

(3) كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تح : د. محمد المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1984، مادة (وصل): 7/ 152، نقلا نظرية التوصيل: 53.

(4) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت،1956، (مادة وصل): 11/726: 31.

(5) سورة القصص، آية:51.

(6) سورة النساء، آية: 90.

(7) ينظر: المعجم الصافي في اللغة العربية مادة (وصل) 748-749.

(8) لسان العرب: 11/726 مادة (وصل): 31.

التوصيل اصطلاحاً:

وهنالك عدة مصطلحات تدل على نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث مثل (التبليغ)، و(الإبلاغ)، و(الإخبار)، و(الإشهار) أيضاً.

ومن خلال كل ذلك يتضح لنا أن (وصل) تشتق منه معاني عديدة [1]، منها الوصل: وهو الاتصال، ضد الانفصال والهجران، والتواصل: استمرار وتكرار وتبادل الاتصال، والتوصيل: هو تأكيد الإيصال والتشديد عليه، وهو بلوغ غاية ما والانتهاء إليها.

وقد وردت في لسان العرب بمعنى بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل إلى مراده[2].

ويتضح لنا أنّ معاني (بلغ) ومشتقاته هي إبلاغ شيء ما لطرف ما، وتبليغه هو تأكيد إبلاغ الشيء، والاتصال والتواصل، هو أن تقوم بتوصيل أو نقل شيء الى شخص ما، الشيء الذي يتم الاتصال به أو التواصل معه وكل اتصال يتطلب وجود شفرة ومُرسِل ومُرسَل إليه ورسالة[3].

لقد اطلعت من خلال البحث على آراء النقاد والباحثين العرب من المحدثين فيما يخص التوصيل إذ يتضح أنهم قد استعملوا تسميات مختلفة منها:

١. التواصل[4]، والاتصال[5]، وقد استعمل بعض النقاد تسمية الاتصال للدلالة على نظرية جاكبسون[6]، وأطلقوا عليها كذلك الإبلاغ[7] والتبليغ[8]، والإخبار[9].

---

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد العربي، سحر كاظم: ٥٤.

(٢) لسان العرب، مادة (ب ل غ): ٧/٤١٩ – ٤٢٦.

(٣) ينظر: معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ٩٨.

(٤) ينظر: معجم لمصطلحات النقد الحديث، حمادي صمود، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٧، ع١: ٣٩. والألسنية علم اللغة العام: ٥٩، وقضايا الشعرية: ٢٧.

(٥) ينظر: البنيوية في الأدب: ٣٦، والأسلوب والأسلوبية ـــــــ مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه: ٩٦.

(٦) ينظر: نفسه: ٣٧.

(٧) ينظر: الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب: ١٢٣.

(٨) ينظر: استقبال النص عند العرب، د. محمد رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٩، ٨١، ٨١.

واتضح للدارس أن "التواصل" أو "الاتصال" هي عملية نقل معلومات بين المُرسِل والمُرسَل إليه ويعد الاتصال المصطلح الاكثر شيوعيا وانتشاراً بين النقاد والباحثين.

وعند الاطلاع على حلقة الكلام عند سوسير والتواصل الكلامي عند جاكبسون وجد أنَّ هناك فرقاً واضحاً بينهما فقد اهتم سوسير بالبعد التبليغي بينما اهتم جاكبسون به اهتماماً كبيراً في نظرية التواصل عنده[٢]، فقد عَدَّ التبليغ والتواصل من أهم وظائف اللغة التي تتعدد بتعدد الأغراض المستعملة لتحقيقها، فاللغة تُدرس بحسب ما ذهب إليه جاكبسون من إطار وظائفها وتستلزم تحليل العوامل الستة المؤلِّفة لكل تواصل كلامي هذه العوامل بالرسالة، والمرسِل، والمُرسَل إليه، والاتصال بينهما، والمرسلة (نص الرسالة)، والمدونة هي تنتج من فك الرموز (الشفرة)[٣].

قد أرجع الدكتور عناد غزوان علاقة هذه الظاهرة النقدية بالفن الشعري وارتباطها الوثيق بعنصر الإبداع ، والذوق وهو عنصر الاستجابة والرؤية القيمة للشعر، وهو العنصر الفكري من بينها [٤].

ج-نظرية التوصيل ومناهج ما بعد الحداثة (النقد الثقافي):

تعد "الحداثة" وما بعد "الحداثة" من الظواهر التي تميز الثقافة الانجلو أمريكية والأوربية في القرن العشرين في المقام الأول، ولو أنَّها ترتبط بقدر من العلاقات المتغيرة بتلك الثقافة، فالحداثة تتجه نحو التقادم والانزواء في أركان الحضارة الغربية، أما ما بعد الحداثة فتهجر ما تعارفت عليه المتاحف، والمعارض الفنية، والمكتبات فهي

---

(١) ينظر: دراسة الادب بين علم العلامات ونظرية الاخبار، د. رضا السويسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع٨، ١٩٨٧: ٢٩.

(٢) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٩٢، ١٥، ونظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، (د-مط)، بيروت ـــــ لبنان، ط١، ١٩٩٣: ٦٢.

(٣) ينظر: أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية، الجزائر، الطالب القاهر شارف (رسالة ماجستير): ١٤.

(٤) ينظر: مشكلة التوصيل (الشاعر والجمهور)، د. عناد غزوان، جامعة بغداد، مهرجان المربد الشعري الثامن ٢٤-١/١١/١٩٨٧: ١.

بإيجاز تمثل مجتمعاً بكل ما تعنيه الكلمة من تنوع،وما إلى ذلك من سمات تميز معبوده المفضل وهو شاشة التلفزيون[1].

قد ((واصل النقاد التقليديون تعريفهم للحداثة ودراستهم لها بالسبل التقليدية المعروفة في حين كان ما بعد الحداثة يعمل على تعميق الغموض حول تحديد ماهيتها المقترحة، وكانت هي نفسها تساعد على بناء تلك الماهية بعينها باعتبار أنها لا تساعد على التفكيك))[2]، وقد ظهرت بوادر ممارسة الدراسات الثقافية والنقد الثقافي بدأت في ١٩٦٤ من بداية رسمية منذ أن تأسست مجموعة برمنجهام تحت مسمى مركز برمنجهام للثقافة المعاصرة (Birmingham Center for Contemporary cultural)[3]، ((ويرتبط تاريخ النظرية النقدية الثقافية بمدرسة (فرانكفورت) وبالمفكرين الألمان ومنهم: (هور كهايمر وادورنو) وهم ممّن عاشوا حقبة السبعينيات وفي الوقت الراهن بهابرماس وأكثر أعضائها من الولايات المتحدة وظلت أدبياتها هامشية حتى عادت إلى الظهور مرة أخرى في الستينيات والسبعينيات، وتتبنّى الخطوط العريضة للنظرية النقدية، بأنها مشروع يسعى إلى دفع قضية التحرير ضد الهيمنة التي أشاعتها مرحلة التنوير واستمرت مع كانط))[4].

والبداية الحقيقية للدراسات الثقافية التي ((ابتدأت منذ عام ١٩٧١ بوصفها بداية رسمية منذ أن تأسست مجموعة برمنجهام تحت مسمى مركز برمنجهام للدراسات الثقافية الحديثة (Birmingham Center For Contemporary Cultural Studies) ومر المركز بتطورات وتحولات عديدة إلى أن انتشرت عدوى الاهتمام بالنقد الثقافي متصاحبة مع النظريات النقدية النصوصية والألسنية وتحولات ما بعد البنيوية اياها بثلاثة مصادر هي تاريخية وفلسفية اولاً، وإلى حد ما، ثم سوسيولوجية وأخيراً أدبية نقدية كما تركز على العوامل الاقتصادية والمادية، خاصة الاتجاه المسمى بالمادية الثقافية، ومفهوم (رأس المال الثقافي) الذي طرحه(بورديو) حيث جرى تأويل كل فعل بحسب شروط الانتاج، والاحتفال بالهامشي))[5].

---

(١) ينظر: الحداثة وما بعد الحداثة، بيتر بروكر، ترجمة، د. عبد الوهاب علوب، مراجعة، د. جابر عصفور، ط١، ١٩٩٥م.

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة، بيتر بروكر: ١٣-١٤.

(٣) ينظر: النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، بيروت ــــــ لبنان، ط٥، ٢٠١٢م: ١٩.

(٤) فضاءات جديدة للنقد الثقافي، مجلة عالم التربية، عقناوي بطي، راهن العلوم الانسانية أي نموذج تربوي، المدينة الجديدة ــــــ المغرب، ع١٦، ٢٠٠٥م.

(٥) النقد الثقافي، عبد الله الغذامي: ١٩-٢٠ .

يُعدّ عبد الله الغذاميّ أشهر النقاد العرب المهتمين بالنقد الثقافي، وبعد ذلك يأتي د.عبد النبي اصطيف صاحب كتاب (نقد ثقافي أم نقد أدبي)، الدكتور صلاح قنصوه: في كتابه (تمارين في النقد الثقافي)، والدكتور محسن جاسم الموسوي: في كتابه (النظرية النقد الثقافي)، وممن اشتغلوا في الدراسات الثقافية، الجابري وعلي الوردي، ادورد سعيد ومحمد عابد، وعبد العزيز حمودة، وجابر عصفور، والريس الخضراوي، وادونيس وكريم شنيدل، وعبد الرحمن أحمد[1].

مشروع النقد الثقافي قد ((طرح خارطة طريق لمساءلة الذات اولاً منطلقاً منها إلى أبعاد مترامية في مفاصل الحياة وكغيره من المجددين في الخطاب الثقافي تعرض الى جملة من الانتقادات التي استهدفت مشروعه على الصعيد النظري والتطبيقي، غير أنّ أكثر المآخذ التي أُخذت هي أنه يتركز في استعماله للمنظومة المصطلحية التي حاول طرحها بديلاً عن النقد الأدبي، إذ قال بضرورة تجديد عناصر الرسالة عند (ياكوبسن) وأضاف إليها العنصر النسقي، وطرح مصطلحات أخرى هي المجاز الكلي، والتورية الثقافية، والدلالة النوعية، والجملة الثقافية، والمؤلف المزدوج، ولو استثنينا المؤلف المزدوج لوجدنا تلك العناصر متداخلة متماهية مع بعضها وجميعها يميل إلى (النسق المضمر)، ولم يوظف في إجراءاته سوى الجملة الثقافية، وما يتصل بها من نسق ثقافي عدّ السابع بعد عناصر ياكوبسن الستة))[2].

إنّ من أهم مناهج ما بعد الحداثة النقد الثقافي الذي جاء بعد تمحص الاجتهادات النقدية المتواصلة ومنها ظهر عدد من التيارات منها النقد النسوي، والدراسات الثقافية والتلقي والمادية الثقافية، مما افضى إلى تجلي النقد الثقافي كاتجاه نقدي رئيس.

وقد حدد الغذاميّ أسس النظرية التي أخذ بها في النقد الثقافي مما ينسجم مع رؤيته في التعريب والتأصيل التي واكبت المتراكم في المنجز النقدي، ومّما لاحظته أن الغذاميّ قد أضاف عنصراً سابعاً على ما كان متعارفاً عليه عند جاكبسون بأنها ستة، وهو العنصر النسقي، ويمكن أن نعدها إضافة الغذامي نقلة نوعية العنصر السابع لعملية الاتصال الجاكوسبونية وهو(العنصر النسقي)،أو(الوظيفة النسقية)[3].

---

(١) ينظر: النقد الثقافي، د. سمير الخليل، بغداد، دار الجواهري، شارع المتنبي، لبنان ـــــ بيروت، ط١، ٢٠١٣: ٤١.

(٢) نفسه: ٤٢-٤٣.

(٣) ينظر: نفسه: ٦٢-٦٣.

وبعد ما جاء به عبد الله الغذاميّ هو نقلة نوعية للفعل النقدي من كونه الأدبي إلى كونه الثقافي وتمر هذه النقلة النقدية بعدّة عمليات جزئية هي نقلة في المصطلح النقدي نفسه نقلة في المفهوم (النسقية) ونقلة في الوظيفة ، ونقلة في التطبيق[1].

وقد عمل النقد الثقافي على نقل الاهتمام الأدبي / الجمالي، والاهتمام بما وراء جماليات النص من أنساق مضمرة وهو انتقالة من منعطف نقدي إلى المنظومة الاصطلاحية في النقد العربي الحديث[2].

وأشار الدكتور سمير خليل إلى أنّ النقد الثقافي هو ليس بحثاً أو تنقيباً في الثقافة وإنّما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة، ويتعامل النقد الثقافي مع النص بوصفه حادثة ثقافية كغيرها من الحوادث الثقافية التي تستأثر باهتمام الدراسات الثقافية، وهو نشاط وفعالية تُعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية، والاجتماعية، والإنسانية، وبالقيم الحضارية والأخلاقية[3].

وقد تم الربط بين النقد الثقافي ونظرية التوصيل في كتاب (ثقافة الوعي المنهجي) حسب تفصيل المؤلفة[4] للمعجم النسقي ((بأنّه خريطة المعجم هو خريطة الاشتغال وآليات إيصال المعنى والاتساق مع المنظومة والمنتمي إليها، وعن طريق اللغة يدوم شفرة التواصل والاتصال مع المجموع المتحد بالقيم ذاتها، والانتماءات والمرجعيات وبما توفره مساحة اللغة من حرية إنعاش لذات مقيدة بالمجموع مرتهنة بمواصفات الآخر لها مسرباً ذكياً لمجازات ذات بعدين في الاتصال: ظاهري متسق مقبول، وباطني تثويري اتكأ على الظاهري رغم المقبول ليبلغ اختلافه عن الآخر ليس طريق المغايرة رغم شدة القيود الضاغطة والحبيبة في آن))[5].

ويمكن القول إنّ النقد الثقافي يرتبط بالنقد التفكيكي ارتباطاً وثيقاً؛ لأنّه يتوجه إلى نقض مركزية الثقافة الأوربية من خلال استراتيجية التشكيك، والتقويض للسائد والمتفق عليه عند أكثر الباحثين، وهذا ما أشار إليه المفكر اليهودي الألماني[6] "أدورنو" الذي شاركه في

---

(1) ينظر: نفسه: ٦.

(2) ينظر: النقد الثقافي، د. سمير الخليل: ٦٢.

(3) ينظر: نفسه: ٤٢.

(4) ينظر: ثقافة الوعي المنهجي، قراءة في إشكاليات الدرس النقدي الحديث، د. ناهضة ستار، دمشق، ط١، ٢٠١١: ١٢٣.

(5) نفسه: ١٢٣– ١٢٤.

(6) ينظر: التيارات النقدية الجديدة عند عبد الله الغذامي (رسالة ماجستير): ٤٦.

ذلك عدد من المفكرين والنقاد ذوي الانتماء اليهودي، كان في المقام الاول على الثقافة الغربية في ألمانيا بوجه خاص، بوصفها متصلحة مع النزوع التآمري ضد الاقليات وذوي الاتجاهات الثقافية المختلفة، ويشير أدورنو إلى توجه النقد الثقافي إلى نقد الحضارة الغربية[1].

ج-مقارنة بين مخطط جاكبسون وإضافة الغذامي .

لقد قام جاكبسون بتحديد الوظائف الستة للرسالة ومن خلال ذلك توصل إلى جمالية الأدب، أي معرفة أدبية الأدب أو الشعرية، ويضيف على ذلك الغذاميّ العنصر السابع لعملية الاتصال وهو العنصر النسقي، وينظر إلى هذا العنصر على أنّه عنصر أساس في عملية الاتصال[2]، فتكون صورة الحال مع نموذج الاتصال بعد إضافة العنصر السابع كالآتي:

مخطط جاكبسون للاتصال

السياق

المُرْسِل ← الرسالة ← المُرْسَل إليه

قناة الاتصال

السنَن

إضافة الغذامي

السياق

المُرْسِل ← الرسالة ← المُرْسَل إليه

أداة الاتصال

الشفرة

العنصر النسقي

مخطط رقم(٦)

مقارنة بين جاكبسون والغذاميّ

عند إضافة الغذامي العنصر السابع (العنصر النسقي) جعل اللغة تكتسب وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقية فضلاً عن وظائفها الست الأولى المرتبطة بالعناصر المعهودات التي هي (النفعية، والتعبيرية، والمرجعية، والمعجمية، والتنبيهية والشاعرية، الجمالية)[3].

لذا فإنّ إضافة العنصر النسقي عند الغذاميّ ليس مجرد زيادة على وظائف الاتصال الأخرى من دون فائدة، بل نستطيع من خلاله أنْ ننظر إلى الابعاد النسقية التي تتحكم بخطاباتنا ليست الرسائل حسب، وبذلك تظهر في النصوص القيم الجمالية وقيم دلالية، وما هو مفترض من ابعاد تاريخية وذاتية واجتماعية[4].

---

(١) أسئلة النص مسارات معرفية معاصرة، محمد سالم سعد الله، عالم الكتب الحديث، إربد ــــ الأردن، ط١، ٢٠٠٧: ٢٢.

(٢) ينظر: نفسه : ٦٣-٦٥.

(٣) ينظر: النقد الثقافي (الغذامي): ٦٤، والخطيئة والتكفير: ٧، والأسلوب والأسلوبية، (المسدي): ١٥٤.

(٤) ينظر: النقد الثقافي (الغذامي): ٦٤-٦٥.

أهمية العنصر المضاف (العنصر النسقي) يجعل النسق العنصر الظاهر التي تتمحور في النقد الثقافي وهو من أدوات تحليل الخطابات، ويقول الغذامي: ((إننا هنا نطرح النسق كمفهوم مركزي في مشروعنا النقدي، ومن ثمّ فإنه يكتسب عندنا قيماً دلالية وسمات اصطلاحية خاصة))[1].

ويتحدد النسق بـما يلي[2]:

١. عبر وظيفة وليس عبر وجوده المجرد فالوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وذلك حينما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب أحدهما ظاهر، والآخر مضمر، ويكون ناقضاً وناسخاً للظاهر على أنْ يكون ذلك في نص واحد، أو ما هو في حكم النص الواحد، ويشترط أنْ يكون جمالياً، وأنْ يكون جماهيرياً كذلك.
٢. الدلالة النسقية: وهي ليست من صنع المؤلِّف الفرد، ولكنها مكتسبة في الخطاب بفعل سيطرة نموذج ثقافي شامل، يقوم بضخ معلوماتية أثناء الخطابات والأنساق.
٣. يتصف النسق بأنَّه تاريخي سياسي راسخ له الغلبة في تحديد حاجات الناس تحت أغطية جمالية بلاغية في الوقت الذي يوجّه السلوك الاجتماعي العام.

ثانياً : ابن حزم الاندلسي (٣٨٤- ٤٥٦ هـ)

اسمه ونشأته:

هو ابو محمد علي بن احمد بن سيد بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي[3]، وهو عالم من علماء الاندلس وكنيته ابو محمد وجده خلف اول من دخل الاندلس من اجداده[4]، وهو النسب الذي ذهب اليه اشهر تلميذ لابن حزم هما: صاعد الاندلسي والحميدي[5].

مولده:

(١) النقد الثقافي (الغذامي): ٧٧.

(٢) النقد الثقافي من النص الى الخطاب، د. سمير الخليل:٣٢.

(٣) ينظر: وفيات الاعيان وانباء الزمان، احمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر بيروت، (د. ت): ٣٢٥:٣، وسير اعلام النبلاء، للذهبي بيروت، ط١، ١٨٨، ١١:١٩٨٢.

(٤) ينظر: طبقات الامم، صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الثعلبي، تحقيق: حياة علوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ١١٧.

(٥) ينظر: نفسه: ١٨١-١٨٤.

ولد ابن حزم في ٢٩ رمضان سنة (٣٨٤ هـ)، في مدينة قرطبة من بلاد الاندلس بالجانب الشرقي في ربض مينة المغيرة، بقصر ابيه القريب من مدينة المنصور بن عامر (الزاهرة)(١).

ويقول صاعد: ((وكتب إلي بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح، وقبل طلوع الشمس من يوم الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان الموافق السابع من نوفمبر (٩٩٤) ميلادية سنة أربع وثمانين وثلاثمائة هجرية))(٢).

عاش ابن حزم الاندلسي في كنف عائلة غنية ومترفة لكنه علا بعلمه، ولم يعد نسبه، ولقد كانت اسرته لها شأن في الوزارة في الحكم الاندلسي، وكان وزيراً لبعض الامراء، ولكنه رأى الشرف والسلام والعزة في ان ينصرف إلى العلم، فكان إماماً وفقيه ومؤرخاً وكاتباً وشاعراً(٣).

ثقافته ومؤلفاته:

كان ابن حزم موسوعة علمية في مختلف المجالات وهو المفكر الظاهري الذي شمل فكره كل الميادين من فقه وكلام وفلسفة وتاريخ ومنطق واخلاق وادب، وتاريخ أديان، والذي لقى من أهل عصره أقسى ضروب والجحود والنكران حتى اظهر في كثير من الاحيان الى الهجرة والتنقل في البلدان(٤).

كان لوالده اهمية بالغة في اطلاعه على الثقافة الواسعة، لأنه كان يقص عليه بعض الاحداث في وزارته للمنصور ابي عامر(٥)، ونال تعليمه في قصر ابيه على يد نساء مثقفات حفظنه القران الكريم وروينه الاشعار ودربنه الخط(٦)، مما يدل ان ابوه هو احد المصادر الشفوية الذي تلقى منه ابن حزم معظم معلوماته.

كان ابن حزم اكثر اهل الاسلام تصنيفاً، ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية تلميذه (صاعد)، فقد بلغت مؤلفاته في الفقه والحديث، والاصول، والملل ، والنحل، وغير ذلك من التاريخ

---

(١) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت): ٢٩٠-٢٩٣. وينظر سير النبلاء: للذهبي – تحقيق: شعيب الارنؤوط: ١١/١٨٩.

(٢) طبقات الامم: ١٨١-١٨٤.

(٣) ينظر: ابن حزم الاندلسي، حياته وعصره – أراءه وفقه، الامام محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة (د. ت): ٢٢.

(٤) ينظر: ابن حزم، حجة الوداع، تحقيق: ممدوح حقي، مقدمة المحقق: ٢٠.

(٥) ينظر: تاريخ الادب الاندلسي، عصر سيادة قرطبة، د. احسان عباس، دار الثقافة، ط٦، ١٩٨١: ٢٠٦-٢٠٧.

(٦) ينظر: طوق الحمامة: ١٢١.

والنسب، وكتب الادب، والرد على المعارضين نحو اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة[1]، إذ كان ابن حزم مكثرا من التأليف ولكن مفقود او محتجب،[2] الى جانب ذلك فقد وجد كثير من مؤلفاته التي اشتهرت كثيراً تذكر الدراسة على سبيل المثال[3]:

١. طوق الحمامة في الالف والالاف
٢. الاحكام في اصول الاحكام
٣. الفصل في الملل والاهواء والنحل
٤. رسالة من امهات الخلفاء
٥. جمهرة انساب العرب.

مذهبه:

اصبح المذهب الظاهري علامة مميزة، ميزت شخصية ابن حزم اكثر من اي شيء اخر.[4] إذ انه اعطى لهذا المذهب اكثر من مؤسسه داود الظاهري، كما انه سيادة المذهب المالكي، مع شيء من التعصب، قد اثر في نهج ابن حزم وكتاباته تأثير واضحا[5]، والظاهرية هي مذهب فقهي ظهر في بغداد اواسط القرن الثالث الهجري، انشأه محمد بن داود الظاهري (٢٠٢-٢٧٠ هـ) انعكاساً لتطرق بعض المفسرين والمؤولين والقصاص واصحاب الرأي الموسع والباطنية، ولا يقبل هذا المذهب الا القران والسنة، فهو يقوم اساساً على الالتزام الحرفي بنصوص الآيات والاحاديث والابتعاد عن التأويل والقياس والتقليد[6]، وللمذهب الظاهري اثر كبير في حياة ابن حزم، وطبع نتاجه العلمي والفكري – على تنوعه واختلافه – بهذا الطابع، فهو يذم التقليد ويأخذ ارجح الاقوال واقربها الى الكتاب والسنة والاجماع، ولا يقول بشيء إلا وله اصل في الكتاب و السنة، وعند البحث في منهجه وتقرير العقائدية الإسلامية وجدناه يسير على المبدأ ذاته، ولا يحيد عنه.[7]

---

(١) ينظر: طبقات الامم، ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي (ت ٤٦٢هـ)، مطبعة السعادة بمصر، (د. ت): ١٠٢.
(٢) ينظر: رسائل ابن حزم، مقدمة المحقق: ٧.
(٣) ينظر: نفسه: ٥-٧.
(٤) ينظر: سنن ابن حزم الظاهري، الامام ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الاندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ)، جمع وعناية وتخريج: الدكتور مجيد الطبقة، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١ : ١٦.
(٥) ينظر نفسه.
(٦) ينظر: سنن ابن حزم الظاهري: ١٦-١٧.
(٧) ينظر: سنن ابن حزم الظاهري: ١٨.

وفاته:

توفي ابن حزم الاندلسي عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة، إذ كان عمره – رحمه الله – احدى وسبعون سنة وعشرة اشهر وتسعة وعشرين يوماً،[1] (إلا ان ابا محمد عبد الله العربي الاندلسي ذكر انه قد توفي في سنة سبع وخمسين واربعمئة)، رحل ابن حزم تاركاً وراءه تراثاً ضخماً وذكراً باقياً في مضامير العلماء.[2]

نخلص مما سبق ان شخصية ابن حزم الاندلسي ذات قيمة تاريخية ومعرفية احدثت اثراً في مجال الدراسات الدينية والادبية على نحو متقارب فاصبح يستحق عناية الدارسين في المجالات الادبية والنقدية كما هو موضع عناية الدراسات الدينية والفقهية.

ثالثاً: التصنيف الموضوعي لرسائل ابن حزم الأندلسي.

يمكننا دراسة رسائل ابن حزم الأندلسي وتطبيق نظرية التوصيل عليها، واستكشاف مقاصده أو ما جاءت به هذه الرسائل، وموقف المتلقي منها، وبيان أثر السياق في تحديد دلالة نص الرسالة، ومعرفة ما تضمر تلك النصوص من مفاهيم. إذ إنّ التواصلية تصف العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[3].

وللنصوص الأدبية والشعرية / السردية دلالات متعددة تختلف باختلاف طبيعة القارئ وثقافته وتوّجهاته، فالاستعمال الأدبي يخلقُ عالماً بديلاً للواقع ((لأنّ الأدب فيما انتهت إليه النظرية الأدبية الحديثة لا يرمي إلى الإبلاغ، بل إلى التعبير والإيحاء))[4].

ولا ننسى أنْ نذكر أنّ جميع هذهِ الرسائل قد كتبت نقلاً عن ابن حزم، فمعظم الرسائل تحمل في بدايتها عبارة قال: ابن حزم علي بن أحمد في ... دلالة على وجود كاتب يدون ما قالهُ ابن حزم وسنرتبها حسب هيمنة ورودها في كتاب الرسائل.

---

(1) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، واسماء رواة الحديث واهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، والحميدي محمد بن فتوح ابن عبد الله الحميدي (٤٨٨ هـ)، مكتبة الثقافة الاسلامية، نشر وتصحيح وتعليق، (د. ت): ٢٩١.

(2) ينظر: متن ابن حزم الظاهري: ١٦.

(3) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف تون فان دايك، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة الاسلوبية، ط١، ٢٠٠١: ١٦٥.

(4) الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية، د. أحمد محمد ويس: ١٤٤.

أ- تصنيف الرسائل التاريخية (السيرية): وهي الرسائل الأكثر شيوعاً وعدداً من بين رسائل ابن حزم إذ يذكر، ويؤرخ فيها أحداثاً تاريخية كثيرة بما يخص الخلفاء عامةً وأهل الأندلس خاصة.

جدول رقم (١)

تصنيف الرسائل التاريخية (السيرية) عند ابن حزم

ت	موضوع الرسالة	المجلد	الجزء	الصفحة
١	من رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء	م١	ج٢	٤١-١١٦
٢	أول الأسماء (الألقاب) التي وقعت على الخلفاء	م١	ج٢	٤٣
٣	من ولي العهد أو قام بطلب الخلافة	١	٢	٥١
٤	من تسمى بولي العهد دون أن يسميه خليفة	١	٢	٥٣
٥	من ولي الخلافة بعهد	١	٢	٥٤
٦	من ولي الخلافة بتشاور	١	٢	٥٥
٧	من ولي الخلافة مغالبة	١	٢	٥٦
٨	من طلب الخلافة ولم يتم أمره	١	٢	٥٦
٩	من ولي الخلافة في حياة أبيه	١	٢	٥٨
١٠	من ولي الخلافة وأخوه أسن منه حي	١	٢	٥٩
١١	أربعة أخوة ولوا الخلافة (ثلاثة - اثنان)	١	٢	٦٢
١٢	أكثر ما أجتمع في عصر واحد ممن أصبحوا خلفاء	١	٢	٦٣
١٣	أعرف الناس من الخلافة	١	٢	٦٤
١٤	من ولي الخلافة ولم يتم سنة	١	٢	٦٤
١٥	من ولي عشرين سنة فصاعدا	١	٢	٦٥
١٦	المحوقات في الخلافة من النساء	١	٢	٦٥
١٧	ثلاثة تشرحوا للخلافة ماتوا في الأربعين يوماً	١	٢	٧٣
١٨	من غاب عن موضع خلافته	١	٢	٧٧
١٩	المتغلب عليهم	١	٢	٧٧
٢٠	من ولي مرتين	١	٢	٧٧
٢١	من بويع ثم خلع ثم رد	١	٢	٧٧
٢٢	من ولي بعد عمه	١	٢	٧٨
٢٣	من ولي بعد جده	١	٢	٧٨
٢٤	أكثرهم ولدا	١	٢	٧٩
٢٥	من لم يكن له ولد	١	٢	٧٩
٢٦	من انقرض عقبه	١	٢	٧٩
٢٧	من ولي منهم صبياً	١	٢	٨٠
٢٨	من ولي وقد تجاوز ستين	١	٢	٨٠
٢٩	من ولي وسنه خمسون إلى ستين	١	٢	٨١
٣٠	من ولي وسنه بين أربعين وخمسين	١	٢	٨١
٣١	من ولي وسنة بين ثلاثين واربعين	١	٢	٨١
٣٢	أطول الخلفاء عمرا	١	٢	٨٢
٣٣	أقصر الخلفاء عمرا	١	٢	٨٢
٣٤	من لم يستكمل خمساً وعشرين	١	٢	٨٢

٣٥	من لم يستكمل أربعين	١	٢	٨٣
٣٦	من خلع منهم وسلم	١	٢	٨٣
٣٧	من خلع منهم وسلم	١	٢	٨٣
٣٨	من خلع وسملت عيناه	١	٢	٨٣
٣٩	من خلع وقتل إلى مدة	١	٢	٨٣
٤٠	من خلع واقتل	١	٢	٨٣
٤١	من لم يجب إلى الخلع وأسر حتى قتل	١	٢	٨٤
٤٢	من قيم عليه فقتل ولم يدافع	١	٢	٨٤
٤٣	من خطب لبني العباس أو بني علي بالاندلس	١	٢	٨٤
٤٤	من قام بدعوة بني أمية بعد ذهاب دولتهم	١	٢	٨٥
٤٥	من تسمي بالخلافة من غير قريش	١	٢	٨٥
٤٦	من أراد أن يتسمى بها ومنعه مانع	١	٢	٨٦
٤٧	من قتل اباه من الخلفاء والمتغلبين	١	٢	٨٦
٤٨	من قتل ابنه	١	٢	٨٧
٤٩	من قام على أبيه	١	٢	٨٩
٥٠	من قتل أخاه	١	٢	٨٩
٥١	من قتل عمه أو خلعه	١	٢	٩٠
٥٢	من قتل ابن أخيه	١	٢	٩٢
٥٣	خليفتا تصالحا	١	٢	٩٢
٥٤	من قتل عبيدة	١	٢	٩٢
٥٥	موت غلب أو غلب القائد دون إصابة	١	٢	٩٤
٥٦	من عظم أمره من المتقطين	١	٢	٩٥
٥٧	من غرائب الدهر	١	٢	٩٦
٥٨	نوكي الخلفاء	١	٢	٧٣
٥٩	ذو الفتح منهم	١	٢	٧٤
٦٠	عالمهم بعد الصدر الأول	١	٢	٧٥
٦١	ادباؤهم وشعراؤهم	١	٢	٧٥
٦٢	من ولي القضاء في صباه	١	٢	٩٨
٦٣	أسماء [ألقاب] مقترحة	١	٢	٩٩
٦٤	أول من سمي بالأدواء	١	٢	٩٩
٦٥	ألقاب مضافة إلى الدولة	١	٢	١٠٠
٦٦	من مات من الخلفاء مقتولاً وأنواع قتلهم	١	٢	١٠٢
٦٧	[من ولي الخلافة وأمه أم ولد]	١	٢	١٠٤
٦٨	خليفة استخدى بعد الخلافة	١	٢	١٠٥
٦٩	من جلد قبل الخلافة	١	٢	١٠٦

ب- تصنيف الرسائل الوجدانية: وهو النوع الثاني من بين أنواع رسائل ابن حزم من حيث العدد والشيوع وهذه الرسائل تروي قصص أحداث عن ماهية الحب في ذلك العصر. ونجد أنَّ أغلب هذه الرسائل رسائل واقعية قد اطلع عليها ابن حزم نفسه خلال مسيرة حياته، ومن أهم هذه الرسائل ما يأتي:

جدول رقم (٢)

تصنيف الرسائل الوجدانية عند ابن حزم

ت	موضوع الرسالة	المجلد	الجزء	الصفحة
١	طوق الحمامة في الألفة والألاف	١	١	١٨
٢	باب الكلام في ماهية الحب	١	١	٨٤
٣	باب علامات الحُبّ	١	١	١٠٣
٤	باب من أحبّ في النوم	١	١	١١٥
٥	باب من أحبّ بالوصف	١	١	١١٧
٦	باب من أحب من نظرة واحدة	١	١	١٢٠
٧	باب من لا يحبُّ إلا مع المطاولة	١	١	١٢٤
٨	بابا من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها	١	١	١٢٩
٩	باب التعريض بالقول	١	١	١٣٤
١٠	باب الإشارة بالعين	١	١	١٣٦
١١	باب المراسلة	١	١	١٣٩
١٢	باب السفير	١	١	١٤١
١٣	باب طي السر	١	١	١٤٤
١٤	باب الإذاعة	١	١	١٤٩
١٥	باب الطاعة	١	١	١٥٣
١٦	باب المخالفة	١	١	١٦٠
١٧	باب العاذل	١	١	١٦١
١٨	باب المساعدة والأخوان	١	١	١٦٣
١٩	باب الرقيب	١	١	١٦٧
٢٠	باب الواشي	١	١	١٧٠
٢١	باب الوصل	١	١	١٨٠
٢٢	باب الهجر	١	١	١٩١
٢٣	باب الوفاء	١	١	٢٠٥
٢٤	باب الغدر	١	١	٢١٣
٢٥	باب البين	١	١	٢١٥
٢٦	باب القنوع	١	١	٢٣٠
٢٧	باب الضنى	١	١	٢٤٤
٢٨	باب السلوّ	١	١	٢٤٤
٢٩	باب الموت	١	١	٢٥٧
٣٠	باب قبح المعصية	١	١	٢٦٧
٣١	بابا فضل التعفف	١	١	٢٩٥

ت- تصنيف الرسائل الاجتماعية :

الجدول رقم (٣)

تصنيف الرسائل الاجتماعية عند ابن حزم

ت	موضوع الرسالة	المجلد	الجزء	الصفحة
١	أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها	١	٢	٦٧
٢	من غرائب المناكح	١	٢	٦٨
٣	من تزوج من الكبراء والجلة منكحا ساقطا	١	٢	٦٩
٤	من تزوج من عصار الناس في الخلافة	١	٢	٧٠
٥	أخلوفة لم يقع في الدهر مثلها	١	٢	٩٧
٦	فضيحة لم يقع مثلها	١	٢	٩٧
٧	امرأة قعدت للمظالم	١	٢	٩٨
٨	من العيب	١	٢	١٠٦
٩	من الغرائب	١	٢	١٠٦
١٠	من نكح من بني هاشم في بني امية	١	٢	١٠٧
١١	من تزوج من بني امية من بني هاشم	١	٢	١٠٧
١٢	رسالة في الرد على ابن النغريلة	٢	٣	٧
١٣	رسالة في الرد على ابن النغريلي اليهودي	٢	٣	٣٩
١٤	ذو السعد منهم	٢	٣	٧٥
١٥	مشائيمهم على قومهم وعلى الناس	٢	٣	٧٦
١٦	العور منهم	٢	٣	٧٨

ث- تصنيف الرسائل الفقهية :

الجدول رقم (٤)

تصنيف الرسائل الفقهية عند ابن حزم

ت	موضوع الرسالة	المجلد	الجزء	الصفحة
١	مجاهروهم بالانهماك في المعاصي	١	٢	٧٥
٢	هل للموت ألم أم لا	١	٢	٥٠
٣	رسالة في ألم الموت وإبطاله	٢	٣	٣٥٧
٤	رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق	٢	٣	١٢٩-١٤٠
٥	تحديد الكبائر	٢	٣	١٤٤
٦	الأعمال الموازية للسيئات	٢	٣	١٤٧
٧	السكوت بالمعروف والنهي عن المنكر	٢	٣	١٧٨
٨	وجوه التوبة	٢	٣	١٨١
٩	رسالة في الرد على الهاتف من بعد	٢	٣	١١٩
١٠	رسالة البيان عن حقيقة الإيمان	٢	٣	١٧٧
١١	رسالة الإمامة	٢	٣	٢٠٧
١٢	رسالة في حكم من قال عن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين	٢	٤	٣٦
١٣	حال الأرواح بعد الموت	٢	٤	٢١٩

١٤	رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين فيهما سؤال تعنيف	٢	٤	٢٠
١٥	يهودي يؤلف كتاباً في تبيان التناقض في القرآن الكريم	٢	٤	٤٢

ج- تصنيف الرسائل العلمية:

جدول رقم (٥)

تصنيف الرسائل العلمية والادبية عند ابن حزم

ت	موضوع الرسالة	المجلد	الجزء	الصفحة
١	مؤلفات في الفقه	١	٢	١٧٨
٢	مؤلفات في علوم القرآن	١	٢	١٧٨
٣	في اللغة والنحو	١	٢	١٨١
٤	في الشعر والشعراء	١	٢	١٨٢
٥	في الأخبار والتواريخ	١	٢	١٨٣
٦	في الطب	١	٢	١٨٥
٧	في الفلسفة	١	٢	١٨٥
٨	في العدد والهندسة	١	٢	١٨٥
٩	أقسام التآليف السبعة	١	٢	١٨٦
١٠	علم الكلام في الأندلس	٢	٣	١٨٦
١١	ابن حزم والثقافة اليهودية	٢	٣	١٥
١٢	على من يرد ابن حزم في هذه الرسالة	٢	٣	١٩
١٣	طريقة ابن حزم في الرد	٢	٣	٢٠
١٤	رسالة في مراتب العلوم	٢	٣	٢٢

ومن هنا تحاول أنْ تدرس رسائل ابن حزم من خلال محاولة تصنيفها حتى تميّز بين النصوص التاريخية والنصوص غير التاريخية، والمرجعية. لأنّ النص التاريخي ينقل الأحداث والوقائع كما هي، مثل الرسائل التاريخية السيرية التي نقلها ابن حزم إذ نقلت اخبار الخلافة والخلفاء وأسماءهم وأمهاتهم وكل ما يتعلق بهم، وهذا بطبيعته يتطلب من القارئ إعمال الفهم والاستيعاب أكثر من إعمال التأويل لمّا النص الأدبي بصفته فناً فيعتمد أساساً على وسائل بلاغية مختلفة مثل الإشعارات، والتصور الخيالي، والرسول[1].

وقد جرى تصنيفه حسب أنواعه إلى خمسة أنواع هي الرسائل التاريخية هي الأولى لكثرتها ثم بعدها تأتي رسالة طوق الحمامة في الأُلفة والألّاف تحت عنوان الرسائل الوجدانية وبعدها.

(١) من قضايا التلقي والتأويل، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٣)، ط١ ، ١٩٩٥، (تأويل النص الأدبي وتنظيرات ومناقشة الجيلالي الكريمة):٣٥-٣٦.

نلحظ من الجداول السابقة هيمنة الرسائل التاريخية (السيرية) لكثرة ورودها في طيات رسائل ابن حزم.

ونلحظ من مسرد الجداول الخمسة الآنفة الذكر أنَّ مجموع هذه الرسائل قد صنِّفت على هذه الجداول حسب شيوعها وكثرة ورودها وهيمنتها ،وقد بان لي من كل ما تقدّم ملاحظات عدة، ونتائج يمكن عدّها اولية لما أحصيتُه من تصنيفات الرسائل حسب موضوعاتها منها:

١. شكلّت الرسائل التاريخية النسبة الأعلى من بين رسائل ابن حزم، إذ بلغت (٦٩) رسالة.
٢. أمّا الرسائل الوجدانية، فقد جاءت ثانية فبلغت (٢١) رسالةً.
٣. في حين كان عدد الرسائل الاجتماعية (١٦) رسالةً.
٤. وبلغت الرسائل الفقهية (١٥) رسالة، متقدمة على الرسائل العلمية من حيث عدد ورودها.
٥. وقد جاءت اخيراً من حيث شيوعها الرسائل العلمية، إذ كان عددها (١٤) رسالة.

وبعد استقرائي لمجلّدي الرسائل وجدت هيمنةً واضحةً للرسائل التاريخية في المجلد الأول من مجموع الرسائل، وتلاها في ذلك الرسائل الوجدانية، ومن ثُمّ الرسائل الاجتماعية، وكذلك احتوى عشرة رسائل علمية وادبية، وانتشرت الرسائل الأخر في المتبقي من المجلدين.

[illegible]

الرسالة في نصوص رسائل ابن حزم

- ❖ المبحث الاول: مفهوم الرسالة ووظيفتها
- ❖ المبحث الثاني: الرسالة بين الشفاهية والكتابية
- ❖ المبحث الثالث: الإطار العام والخاص للرسالة في نصوص رسائل ابن حزم

المبحث الأول
مفهوم الرسالة

أولاً: الرسالة ومفهومها عند مفكري الغرب ونقادهم:

تختلف وجهات نظر الدارسين في التعبير عن مفهوم الرسالة، او لنقل إنّهم تباينوا من وضع مصطلح محدد متفق عليه، إلا أنّهم اتفقوا في تحديد ماهيتها فهي تعدّ عند كثير منهم المحتوى الذي يرغب المُرسِل إيلاغه للمُرسَل إليه(1)، وذهب بعضهم إلى أنّها الجانب المادي الملموس في العملية التخاطبية(2)، وتتمثّل الرسالة بالمعاني والكلمات المتبهة التي يُنتجها المصدر إلى المتلقي ليفهم القصد(3)، إذ يكون النتاج الفعليّ للمرسل الذي يضع فكرة في codes (رموز) معينة فحين نكتب الرسالة المكتوب المُدوّن هو الرسالة، وحين نتكلّم كذلك فالحدث المتكلّم به هو الرسالة(4).

ربما تجسّدت أفكار المُرسِل في صورة سمعية حين يكون التخاطب شكلاً شفهياً في حين يكون علامات خطية ملحوظة لمّا يكون النص – الرسالة – مدوّنة مكتوبة(5)، وتختلف الرسالة بحسب المواقف الكلامية التي قيلت فيها وكذا الحال مع طبيعة ما تحتوي عليه من موضوعات تتضمنها عاطفية كانت ام سياسية ام انسانية أم غيرها، وتشكل الرسالة كتلةً بنيوية متماسكة الأجزاء ولا يمكن الفصل بين أجزائها كُلاً أو جزءاً، وأية محاولة للفصل بين هذه الأجزاء يؤدي إلى اختلالها، وهو ما ينتج عنه إعادة تشكيل بنيتها ثانية(6).

وبعد ما تقدّم نأتي إلى معرفة ما يخص الرسالة في فكر النقاد الغربيين، إذ وجدت معناها العام أنّها ((وحدة من الإشارات المتعلّقة بقواعد تركيبات محددة مضبوطة يبعثها

---

(1) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: 31.

(2) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: 27.

(3) ينظر: مدخل في الاتصال الجماهير ونظريات التأثير: 29.

(4) ينظر: نفسه: 19.

(5) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: 27.

(6) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: 34.

جهاز البث (الإرسال) إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال))[1].

اصطلح الدكتور عبد السلام المسدي على مفهوم الرسالة اسم ((الخطاب الأصغر))[2] على النص أو الرسالة التي تمثل في نهاية الأمر ((محتوى الإرسال)) وتتمحور حول أطار مرجعي معين، ونستنتج أبنية نظامها في ضوء نظام لغوي مُقَنّنْ (سنن Code)[3].

وهناك ثلاثة امور يجب مراعاتها في الرسالة هي [4]:

- ❖ طريقة الرسالة (code) الرسالة.
- ❖ مضمون الرسالة (النص).
- ❖ طريقة معالجة الرسالة.

قد تنوع محتوى الرسالة فمنها الصريح ومنها الضمني، ولذلك فنجاح العملية التواصلية متوقف على اتفاق طرفي الحوار على معنى ضمني واحد؛ اي أنْ يكون هناك تطابق بين ما يقصده المرسل وما يفهمه المتلقي[5].

وتقول اندي ريشار (Indy Richard): ((طالما أنَّ الاتصال هو إيصال رسالة إلى الغير بغية تغييره، أو إقناعه بشيء ما، فإنَّ نجاحها يتوقف على إيصال المعنى الضمني لها، ليصبح فشلها التضارب بين المعنى الصريح والمعنى الضمني))[6].

يتكون الخطاب من ملفوظ ذو دلالة معينة، ((فالدلالة المعنية هنا محتواة داخل الخطاب ذاته وليست خارجه عنه، ويمكن اشتقاقها من سياق العبارة الواردة في النص، من دون الحاجة للجوء إلى تحميل بعض النصوص ما هو فائض عبر حاجاتها الأسلوبية، فالوساطة ملغاة إذا كان المقصود محتوى الخطاب ومقاصده وقيمته

(١) التواصل اللساني والشعرية: ٢٧.

(٢) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ٩٨.

(٣) ينظر: نفسه: ٩٨.

(٤) مدخل في الاتصال الجماهيري ونظريات التأثير: ١٩.

(٥) ينظر: المحاورة مقاربة تداولية: ٣٩.

(٦) التواصل اللساني والشعرية: ٢٧.

المعرفية، بيد أنّها متأصلة في نية القول، المتوجه بها صوب المرسل إليه. فالمشاركة بين الطرفين (المخاطَب/ المخاطِب، المرسِل/ المرسل إليه، المؤلف، القارئ) شرط في تحقيق الرسالة))[1].

والمعنى الذي يحمله الخطاب ((يقع على مستوى براغماتي[2] معين يمكن أن نسميه نية القول؛ لأنه يختار على اساس وضعية محدد للإقناع للحجية، للإظهار وغيره، ويقرر درجة الحضور والحديث السيال والتناغم والتشكيلية ... إلخ للمعبر عنه))[3].

والرسالة عند جاكبسون لا تتحدد بالقوانين المعيارية أي بنظام محدد – لغة معينة – بل قد تشير أحياناً إلى مجموع الأنظمة اللغوية المعروفة ويمثل التفوه اللغوي علامة معقدة الصلة بالواقع الفوق – لغوي extra – clinguistic لتنوع مستوياته، مما يدعونا لتمييز أربعة مستويات للتفوه اللغوي وهي: المستوى الفونيمي، والمستوى المورفمي، والمستوى التركيبي، والمستوى الخطابي، أي أنّ هناك ترتيباً هرمياً للمستويات اللغوية[4].

وقد بين جاكبسون ان بنيويي براغ اعتمدوا على مبدأ لساني فتبنوا محور التزامن الذي اكتشفه سوسير ولم يتجاهلوا الدراسة التعاقبية ويتضح صدى ذلك عند موكاروفيسكي في تحديده للنص من خلال بنية داخلية وبنية خارجية[5].

ميز جاكبسون بين الوظيفة الشعرية بوصفها مرادفا للنص إذ أن الشعرية علمٌ معنيٌ بالكشف عن خصائص الخطاب لا بوصفه نصاً، بل بوصفه جامعَ الضرورية لكل

---

(1) الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد العربي، د. هيلم عبد زيد عطية، دمشق، ط١، ٢٠١٢: ٢٦-٢٧.

(2) البراغماتية (Paragmatism): مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح فالفكرة الصحيحة هي الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة ، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق ، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العلمية، المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ١/١٣-٢٠.

(3) في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة باحثين، ترجمة وتقديم: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧: ٦١.

(4) ينظر: اتجاهات الشعرية الحديثة، الأصول والمقولات، سلسلة رسائل جامعية، يوسف اسكندر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، الاعظمية، ط١، (د.ت): ٤٤.

(5) التفاعل النصي، التناصية النظرية والمنهج، نهلة فيصل الاحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م: ٤٧ .

نص ادبي، فأن الخطاب الادبي لا يرادف مفهوم النص بل يقع الخطاب بالنسبة الى النص وقوع اللغة عند سوسير بالنسبة للكلام[1]، ((الخطاب في حقيقته كيان لغوي يهدف الى توصيل غرض بلاغي بين جهة (المُخاطِب والمُخاطَب)، بغض النظر كونه مقروءاً او مسموعاً ويشترط في الخطاب اشتراك المُرسِل والمُرسَل إليه مع ضرورة تأثير الأول في الثاني))[2].

يلفت انتباه السامع أي المُرسَل إليه مسميات كثيرة (للرسالة)، ففي بعض الاحيان يطلق عليه المكتوب وتارةً أخرى نجده هو عبارة عن كتاب ولكن يطلق عليها كما هو عند ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة في الألف والأُلاّف) وقد ذكر بعض النقاد الغربيين ومنهم "هلبش" أنّ (الكتاب) هو النوع الرابع من النصوص فالكتاب ينشأ بوصفه نتيجة لسلسلة طويلة من وقائع بناء النص، وبذلك يكون بالنسبة لنا نوعاً نصياً حقيقياً يعد مع ذلك غير مثالي تماماً، لأنّه مفهوم جامع لنصوص جد مختلفة، (قارن، كتاب طبخ، وكتاب تعليمي، وكتاب خرافات، وراوية، ومجلد الشعر الخ)[3] وهذا يدل على مسوغات تسميات الرسائل أو النصوص بأسماء متعددة الدلالات.

فالنص هو تتابعٌ منظمٌ أفقيٌ من الإشارات اللغوية التي تفهم على أنّها توجيهات من مرسِل معين إلى مخاطب معين وتدرك الإشارات النصية على نحو محدد، وقد يقع استيعاب النص من خلال المرسَل إليه على أساس بيانات النص والموقف والذاكرة[4].

وقد صنفت الرسائل إلى أربعة أنواع وهو التصنيف الذي جاء بها على وفق معايير وضعها "هلبش" وهذه الأنواع هي[5]:

١. الحوار اليومي
٢. المناقشة
٣. المحاضرة

---

(١) ينظر: اتجاهات شعرية، يوسف اسكندر: ٤٥.

(٢) الخطاب النقدي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي: ٤٥.

(٣) مدخل الى علم النص، مشكلات بناء النص، تأليف: زتسيسلاف واورزنياك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مدينة نصر ـــــــ القاهرة، ط٢، ٢٠١٠: ٤٩.

(٤) ينظر: نفسه: ١٩.

(٥) ينظر: نفسه: ٤٦.

٤. الكتاب

وتعد أنواع النصوص عنده هي ((أقسام بنيوية لوقائع التواصل يقابلها بأقسام وظيفية لوقائع التواصل))[١].

وتعد (الرسالة) محور دراسات النقد الحديث إذ وجهه المدارس النقدية اهتمامها نحو (الرسالة) وخير مثال على ذلك مدرسة النقد الجديد[٢]، ولكنها وقعت في أخطاء فادحة بعزل الرسالة عما سواها والنظر إليها على أنّها عمل مغلق[٣].

((فالرسالة هي عبارة عن متتالية من العلاقات بين المُرسِل والمُرسَل إليه بواسطة قناة تستعمل لنقل الرامزة، أي هي مجموعة من المعلومات المترسخة حسب قواعد متفق عليها تشكل بعداً مادياً محسوساً من الأفكار التي يرسلها المُرسِل وتحيل على المرجع العام المشترك بين المُرسِل والمُرسَل إليه ويمكن تحديد الفرق بين كل رسالة وأخرى في مدى إظهار قوة حضور كل وظيفة من الوظائف الستّ فحسب نيّة التواصل وأهدافه والظروف المحيطة في إنجاح عملية التواصل أو إفشالها)) [٤]

وقد ركزت المدرسة الشكلية في دراسة الأدب على مذهب الدلالة الاجتماعية Social signifcance وفكرة ((الرسالة)) Message وهي الهدف الذي يرمي الكاتب إلى تحقيقه[٥].

حذت البنيوية حذو الشكلانية بالاهتمام بالنص إذ كان يبدأ عملهم بالنص وينتهي به[٦]. ومما وقفت عليه أنّ الناقد الفذّ حازم القرطاجني قد أشار ولمح إلى بعض عناصر عناصر نظرية التوصيل، قبل أن يتسنى لجاكبسون بحوالي سبعمائة عام، وهذا يظهر سبق النقاد العرب القدماء إلى القول بهذه النظرية، إذ إنّهم حلّلوا ما كان خافياً على نظرائهم قبل أن يصلوا إليه، فتراه قد أشار إلى بعض عناصر الاتصال اللغوي وصلتها

---

(١) مدخل الى علم النص: ٤٨.

(٢) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة: ٧٤.

(٣) ينظر: الخطيئة والتكفير: ٢٩.

(٤) نظرية التواصل، المفهوم والمصطلح، د. رضوان القضماني، إسامة العلي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، مج٢٩، ع٤، ٢٠٠٧: ١٤٢.

(٥) ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة : ٦٨.

(٦) ينظر: في نظرية الأدب، د. شكري عزيز ماضي، دار الحداثة، بيروت ــــــ لبنان، ط١، ١٩٨٦: ١٨٤.

بالأدب فذكر أنَّ الأقاويل الشعرية (تختلف مذاهبها وانحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه او التي هي اعوان للعمدة. وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه. أو ما يرجع إلى القائل. أو ما يرجع إلى المقول فيه أو ما يرجع إلى المقول له)[1]، وبحسب ما ورده يمكن للباحثة رسم مخطط يوضح ما ذكره القرطاجني، وهو كالآتي:

ما يرجع إلى المقول فيه

(السياق)

ما يرجع إلى القائل ← ما يرجع إلى القول ← ما يرجع إلى المقول له

(المُرسِل) (نفسه الرسالة) (المرسل إليه)

مخطط (٧)

عناصر الاتصال عند القرطاجني

يركز القرطاجني على عنصر (الرسالة) والوظيفة الأدبية التي تؤديها وتوحدها مع السياق، فهما عماد هذه الوظيفة، أمَّا (المرسِل والمرسَل إليه) فيُعَدان كدعامات وأعوان لتحقيق هذه المفاعلة[2]، فيذكر القرطاجني في ذلك: ((الحيلة فيما يرجع إلى القول فيه وهي محاكاته وتخييله بما يرجع إليه أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصنعة وما يرجع إلى القائل والمقول له كالأعوان والدعامات لها))[3].

يظهر لنا مما تقدم التفاتة القرطاجني الكبيرة إلى (الرسالة) بوصفها عماد العملية التواصلية، وتتضح كذلك عنايته باللغة التي تعد مرتكز التجربة الأدبية، ويبدو لي أنَّ قراءته لأسس النظرية التواصلية يمكن عدها منطقاً عربياً صحيحاً ويمكننا الاتكاء عليه

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: ٣٤٦، نقلا عن كتاب في الشعرية العربية قراءة جديدة في نظرية قديمة (دراسة)، طراد الكبيسي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٤: ٩٩.

(٢) ينظر: الخطيئة والتكفير: ١٨.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٤٦.

في فهم معطيات النظرية التواصلية عند العرب القدماء، كل ذلك يشير إلى حقيقة فهمهم إلى غاية التواصل وأدواته التي يجب أنْ يتوافر عليها تتم بذلك التوصيلية.

تؤدي الرسالة وظيفة رئيسة ومهمة في عملية التوصيل إذ تميز الأدب من غيره من النتاجات اللغوية، ولهذه الوظيفة عدة تسميات نقدية منها[1].

١. الوظيفة الشعرية Poetique: تعد اهم واولى وظائف العنصر الثالث من عناصر نظرية التوصيل، وقد عرفها بعضهم بـــ ((مجموعة المبادئ الجمالية التي تقود الكاتب في عمله)) [2]، ويعد جاكبسون ((الاب الشرعي للشعرية، يبين ان الشعرية تهتم بالقضايا اللسانية، وبما ان اللسانيات هو العلم الشامل للبنيات اللسانية، فأنه يمكن عدّ الشعرية جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات وإنّ دراسة الشعر ليس هي الوحيدة داخل مناط عناية الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية))[3].

٢. الوظيفة الانشائية: وهي تسمية أخرى استعملها عدد من نقاد العرب منهم عبد السلام المسدي[4]، معللاً استعمال هذا المصطلح بدلاً من الشعرية بأنّ العبارة الأجنبية تدل في أصل وضعها على الخلق والإنشاء[5]، كما أستعملها الناقد فاضل ثامر في كتابه مدارات نقدية[6].

٣. الوظيفة الشاعرية: هي تسمية أخرى لعنصر الرسالة التي ذكرها الناقد عبد الغذامي، فعرفها بانها ((ابرز سمات النص الادبي وأخطرها وقد توجد الشاعرية في النصوص غير الأدبية او نص لم يقصد منشئوها ان تكون ادباً والنص يأخذ بتوظيف الشاعرية داخله ليفجر طاقات الاشارات اللغوية فيه فتتعمق ثنائيات الاشارات وتتحرك داخله))[7]، وقد اثبت النقاد ان للشعرية والشاعرية هما صفات

---

(١) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ١٨٣.

(٢) مفهومات في بنية النص:٢٣، نقلا عن كتاب الخطاب النقدي المعاصر وعلاقته بمنهاج النقد الغربي، د. هيام عبد زيد عطية: ٢٩١.

(٣) الخطاب النقدي المعاصر وعلاقته بمنهاج النقد الغربي، د. هيام عبد زيد عطية: ٢٩١.

(٤) ينظر: الاسلوبية والاسلوب نحو بديل ألسني في نقد الادب، عبد السلام المسدي: ١٥٦.

(٥) ينظر: نفسه: ١٦٧.

(٦) ينظر: مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والابداع، د. فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧: ٢٢٢.

(٧) الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي: ٢٤.

صفات متصلة في الشاعر وشعره فلا تختلف الشعرية عن هذه التسمية لأن كلاهما مماس بالشعر والشاعر.

٤. **الوظيفة الأدبية**: وهي التسمية التي أطلقها الناقد حمادي صمود كوظيفة لعنصر الرسالة[١].

وقد ذكرت الباحثة سحر الشجيري الوظيفة الجمالية و الإبداع (La poetique) كوظائف لعنصر الرسالة في نظرية التوصيل[٢].

يبين جاكبسون أنَّ هذه الوظائف هي قبل كل شيء الاجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثراً فنياً؟[٣] ويرى أنَّ الوظيفة الشعرية تهيمن في الخطاب الادبي[٤]، إذ إنَّ الأديب يبغي ((استهداف الرسالة بوصفها رسالة والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة .. وليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة، مع أنَّها لا تلعب في الأنشطة الأخر سوى دور تكميلي عرضي ومن شأن هذه الوظيفة إيضاح الجانب الملموس للدلالة ان تعمق بذلك الثنائية الأساسية لدلائل الأشياء وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن للسانيات، وهي تعالج الوظيفة الشعرية، أن تقتصر على مجال الشعر ... ومن جهة أخرى لا يمكن للتحليل اللساني أن يقتصر على الوظيفة الشعرية فخصوصيات الأجناس الشعرية المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى))[٥]، أي حضور الوظيفة الشعرية.

لذا تعد الوظيفة الشعرية هي مركز الخطاب الأدبي نظراً لإسهام عناصر أخر في البناء إلى جانب الوظيفة الشعرية، أي أنَّ هيمنتها على الرسالة تلوين المحاور الأخرى بلونها، كما أنَّ الوظيفة الشعرية ممكن أن توجد في الخطاب العلمي وفي الكلام العادي بصورة غير مقصودة لذاتها إنَّما كإسهام في التعبير[٦].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات النقد الحديث، حمادي صمود: ١/١٤١.

(٢) ينظر: نظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري: ١٨٨-١٨٩.

(٣) قضايا الشعرية: ٢٤.

(٤) ينظر: التلقي في شعر ما قبل الاسلام: ١٥٧.

(٥) قضايا الشعرية، جاكبسون: ٣١-٣٢.

(٦) ينظر: التلقي في شعر ما قبل الاسلام: ١٥٧.

هل للوظيفة الشعرية غاية في ذاتها سواء هيمنت على النصوص القديمة أم الحديثة؟

إنّ الغاية من الوظيفة الشعرية ((... تعطيل عملية تفكيك السنن أو على الأصح تبطيئها مجبرة بذلك مفكك السنن على توجيه الانتباه أكبر نحو النص وبالتالي تتبع مسار التسنين بأناة وروية، كل هذا يؤدي إلى خلق نشاط سيكولوجي لدى المتلقي ...))[1] فالمتلقي يحتاج إلى وقت يستثمر فيه طرائق عدة لتفكيك الرسالة وإعادة تركيبها لكي يحصل على دلالات عدة، لأنّ من مهام الوظيفة الشعرية عرقلة وصول دلالة التي في أسرع وقت ممكن، فضلاً عن ذلك أنّها تحمّل النص دلالات عدة فوق هذا أنّ سحر الجمال الفني وليد الوظيفة الشعرية[2].

أسند جاكبسون الوظيفة الشعرية إلى تفاعل محوري الاختيار والتأليف الذين هما أساس السلوك اللفظي في الرسالة الاعتيادية إذ نستطيع أن نؤلف جملاً متعددة من خلال اختيار – مثلاً– أسماء وأفعال مترادفة المعاني أو متقاربة دلالياً في المعنى، كقولنا: الطفل ينام، الولد ينعس الصبي يغفو، الغلام يستريح، فهي جمل متقاربة دلالياً وإن كانت متفاوتة التماثل من زاوية نظر ما، فعند استبدال معنى بمعنى متقارباً له في الدلالة كما في الجمل السابقة نحصل على رسالة عادية، فتنتج الوظيفة الشعرية من خلال استبدال كلمة متساوية لها في الوزن ومختلفة في دلالة المعنى، إذ يقول: النهر ينام، الورد يغفو، النيل ينعس، الظلام يستريح[3].

إنّ رؤية جاكبسون تجعلنا نقف على أهم دلالة للوظيفة الشعرية إذ تعد الشفاهية سمة فنية قد اشتهرت عند المتلقين في الأندلس مما جعلت السامع بذلك الوقت يتسنى وضوح الفكرة وقصر النص وترتيبها ترتيباً عقلياً لكي يتمكن من حفظها[4]، ((ولعل الشعرية تعني تركيز هذه الرسالة على نفسها واستبعادها لبقية العناصر التي تشترك معها لتكوين أية رسالة (المُرسِل، المُرسَل إليه، وسيلة الاتصال، الشفرة، المرجع)، وتتمحور الرسالة على محورين في تركيزها على نفسها (الأفق التركيبي والصعود

(١) معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير: ١١.
(٢) ينظر: التلقي في شعر ما قبل الإسلام : ١٥٨.
(٣) ينظر: قضايا الشعرية، جاكبسون: ١٥٩.
(٤) ينظر: نفسه: ٣٣.

الاستدلالي) وتتجلى الوظيفة الشعرية كما يقول جاكبسون عندما تسقط مبدأ التكافؤ في محور الانتقاء او الاستدلال، وللوظيفة الشعرية وظيفة هامة: وهي إثارة البنية الدلالية المشابهة للبنية اللغوية))(١).

ثانياً: سلطة الرسالة (النص الأدبي) وأثر المُرسَل إليه فيها:

يبدو أنَّ دور القارئ حسب التصور المنهجي خاضعاً بشكل جلي سلطة النص ذاته، فنوايا القارئ وأفكاره وخبرته، وكذلك نوايا مبدع النص نفسه لا قيمة لها، بل إنَّ رولان بارت عندما أشار إلى (موت المؤلف) ورفض الإحالة إلى مرجع خارج البنية اللغوية للنص نفسه(٢).

بيد أنَّ زمن تمتع الرسالة بفردانيتها واستقلالها وبذلك القسط الوافر من العناية والاهتمام الموجه إليها، لأنَّ سلطة النص لم تستمر طويلاً، فالاتجاهات ما بعد البنيوية، وبشكل خاص الاتجاهات التفكيكية والاتجاهات المتمحورة حول القراءة والتلقي، قد جعلت من القارئ ذا سلطة على حساب انهاء سلطة النص، إذ أصبح القارئ خالقاً للنص بعد أن كان مجرد متلق سلبي خاضع لسلطة النص وشعره(٣).

لذا نجد النص قد ذهبت مركزيته أمام القارئ الذي أصبح يمسك زمام الأمور في فك شفرات النص وقراءتها وتأويلها وتفسيرها ومعرفة ما يخفيه من حقائق ودوافع تأليف بيد أنَّ وفي أغلب الأحيان نلاحظ أنَّ للقارئ قد صنع من خلال القراءات المتعددة نصاً جديداً لربما يفوق النص نفسه.

سعى ابن حزم إلى تأسيس مذهب فكري متكامل يكون بديلاً للثقافة المشرقية السائدة، وقد ضمّت مدرسته مجموعة من العلماء والمؤرخين والأصوليين ورجال القضاء والسياسة، وقد قامت هذه المدرسة أساساً على سلطة النص مستمدة تأثيرها من منطق البرهان، أي كان عليه التحرر من سلطة النص، مستمدة تأثيرها من منطق

---

(١) تشريح النقد، عبد العزيز حمودة: ١٥٨-١٥٩.

(٢) ينظر: القصيدة والنقد، سلطة النص أم سلطة القراءة؟، فاضل ثامر، من أبحاث المربد الشعري الثامن، المحور الثاني (الشعر العربي الحديث وآليات الحضارة المعاصرة) اعداد: عائد خصباك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ط، ١٩٨٨: ٤٥-٤٦.

(٣) ينظر: نفسه: ٤٦.

للبرهان، وأنّ إعادة قراءة الأصول التي فتحت باب الاجتهاد في هذه المدرسة وعلقت صورة حرية التفكير العلمي، وكان ذلك له دور مميز للتخلص من أساليب الفهم الجاهزة، أي كان عليه التحرر من سلطة النص، وإيجاد أدوات جديدة للقراءة واعية[1].

بما أنّ الرسالة هي نص أدبي وهي أحد أنواع الأجناس الأدبية لذا تعتمد الرسالة على بناء النص الأدبي ومعرفة دلالته وتكوينه.

وتعد النصوص القائمة على التواصل ضمن إطار علم النص إذ اقترح بعض العلماء تعريفها بحسب انطلاق البحوث من افتراض رئيس نصي دلالي – موضوعي، وقد عرف العالم (فان دريك ١٩٧٢) النص المتعلق بالتواصل ((بأنّه بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية، وتعد البنية العميقة الدلالية للنص بالنسبة له أيضاً نوعاً من إعادة صياغة مجردة، تعتمد في النواة ((البنية الموضوعية للنص))[2].

((وفي إطار علم اللغة القائم على التواصل يقابل بين المفهوم الاستاتيكي للنص (النص بوظيفة محصلة لمنطوق، النص بوصفه تتابعاً متماسكاً من الجمل) والمفهوم العلمي للنص، ومن النظرة الظاهرية المحضة تجدها أيضاً، كما هي الحال فيما سبق، تعريفها موجزة مدمجة للنص من جهة، وتحديدات طويلة، مفصلة من جهة أخرى تطمح إلى كمال التعريف. وينظر إلى النص بوجه علم على أنّه (الكم الكلي للإشارات التواصلية في تفاعل تواصلي)، أو متحقق لعملية تواصلية بين محققة (منشئ النص) ومتلقيه))[3].

يتضح مما تقدم أنّ النص هو عبارة عن كم من الإشارات التواصلية التي تعين المتلقي على فهم تراكيبهُ والتواصل معه، وتعد اللغة عنصراً مهماً متمركزاً داخل الأطر النصية إذ من خلالها تظهر لنا العناصر التواصلية ويستند كل نص أدبي ابداعي إلى لغة معينة لإيصال المعلومة للمتلقي بشكل فني دقيق، على الرغم من تعدد تعاريف الأطر للرسالة، إلاّ أنّها بصورة عامة تكمن أهميتها في أساسيتها الدلالية التي تتمركز في البنية الدلالية – العميقة للنص، والبنية الدلالية – السطحية، تتحدد دلالة الألفاظ والتراكيب داخل الإطار العام للرسالة.

---

(١) ينظر: النظرية النسقية البيانية، عند ابن حزم الاندلسي: ٧.

(٢) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تأليف زتسيلاف واورزنياك: ٦١ و ٦٤ – ٦٥.

(٣) نفسه: ٦٧.

المبحث الثاني
الرسالة بين الشفاهية والكتابة

أولاً: مفهوم الرسالة الشفاهية والكتابية.

تختلف الرسائل بحسب استعمالها والغرض الذي خصصت له فهناك أنواع رئيسة للرسائل منها (الرسائل النثرية، والشعرية)، و(الشفوية والمكتوبة) والرسائل (المفتوحة والمغلقة)[1]، مع ذلك فقد تنوعت بحسب الحقبة الزمنية التي استعملت لأجلها، كالرسائل التي كتبت في العصر الجاهلي[2]، والرسائل في عصر صدر الإسلام[3]، والرسائل النبوية[4]، والرسائل في العصر الراشدي[5]، والرسائل في عصر الموحدين [6]، ...الخ.

فالرسائل الشعرية والنثرية تعد جنساً أدبياً أمّا (الرسائل الشفوية والمكتوبة) هي القناة الناقلة للرسالة التي تشترط وجود جمهور، أمّا الرسائل المغلقة والمفتوحة فهو تحديد نوع الرسائل[7].

وتنوع الرسالة وتعدد اغراضها يتجلى في أهميتها بين عناصر الاتصال في مخطط جاكبسون إذ إنّها الواسطة التي من خلالها ينقل للمتلقي وجهة نظر المُرسِل وما يريد إيصاله لذا تتمركز فيها الأهمية.

ومما يهمنا هو الرسائل المنطوقة و(الشفوية) ((وهي الرسائل التي ينقلها المرسل مباشرة بصوته أو ينيب عنه من ينقلها أو يبثها من خلال جهاز بث ونقل معين))[8].

---

(1) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ١٨٠.

(2) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الاسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ٣٠.

(3) للاستزادة ينظر: نفسه: ٤٩- ٥٠.

(4) ينظر: نفسه: ٥١.

(5) ينظر: نفسه: ٨٣-١٢٥.

(6) ينظر: النثر الأندلسي في عصر الموحدين : ٩٧.

(7) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث: ١٨٠.

(8) نفسه: ١٨١.

أمّا الرسائل المكتوبة أو المدونة فهي الرسائل أو النصوص التي يرسلها المُرسِل إلى المُرسَل إليهم من خلال الكتابة (التدوين) وقد تكون قصائد، أو دواوين خاصة تنشر في الصحافة والمجلات كالرسائل المسرحية والروائية التي تطبع كمؤلف وكتب خاصة[1].

والفرق بينهما واضح وهو أنّ كلاً منهما لها استعمال خاص بها ((لأنّ طبيعة القنوات المستعملة في كل منها: ففي حين تتعدد الأقنية المستعملة خلال التعبير الشفهي وجهاً لوجه وتشمل النواحي اللفظية والصوتية الموافقة والحركية والايحائية فإنّ التعبير الكتابي ينحصر فقط بقناة واحدة هي القناة اللفظية واللغوية))[2].

مع ذلك فإنّ الرسائل المكتوبة والمنطوقة هي صنف واحد لا يتجزأ، وهما متداخلان؛ لأنّ كلاهما يستطيع أن تصبح كالأخرى فمثلاً المنطوقة تصبح مكتوبة والمكتوبة منطوقة، مع اختلاف الصفات لكلا الصنفين[3].

هناك فارق واضح بين مفهوم النص المقروء والنص المكتوب عند كل من (رولان بارت) و(امبيرتو ايكو) هذا الفرق يخص المتلقي ودور القارئ في النص ووظيفته التي تكون أحياناً حاسمة في تحديد النص وتنظيمه ومن هنا نشأ مفهوم القارئ النموذجي، فالنص المقروء (Lisible) نص (حداثي)، محدد برسالة دقيقة يفترض قارئاً سلبياً يستقبل الرسالة ويستهلكها فقط أمّا النص المكتوب (Scriptible) فهو نص مفتوح (ما بعد حداثي) يستطيع قارئه في كل قراءة أن يكتبه وينتجه، وهو يقتضي تأويلاً مستمراً ومتغيراً عند كل قراءة فيتحول دور القارئ إلى دور إيجابي نشط يشارك في إنتاج النص[4].

---

(١) ينظر: نفسه: ١٨١.

(٢) اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، د.ط، ١٩٨٤: ٦٧.

(٣) للاستزادة: ينظر: نفسه: ٦٧-٦٩.

(٤) ينظر: ثقافة الوعي المنهجي، قراءة في إشكاليات الدرس النقدي الحديث، د. ناهضة ستار: ٢٣٩.

أي أنّ النص الحديث نص معرفي يقاوم في أعماقه اختزان معنى سطحياً أو عميقاً فهو نص حواري قائم على التعددية في المعنى تشكيلاً وتلقياً[1]، ((ولا يخفى أنّ إعادة الاعتبار للقارئ المنتج المشارك المتفاعل أحدثت تغييرات كبرى في صورة النقد الحديث بل قد يتحد ويتشارك الإبداع والتلقي في الآن نفسه بين الشاعر والناقد مثلما حدث في قصيدة (الأرض اليباب) لـ (ت . س . إليوت) هذا النص الشعري المهم صرح الشاعر بتلقيب ناقده بـ(الصانع الأمهر) ويقصد الشاعر الناقد عزرا باوند، في إهدائه القصيدة له حيث تشارك الاثنان في صنع القصيدة))[2].

شغلت ثنائية النص المكتوب والمقروء نقاداً كُثر من بينهم (فاطمة البريكي) أستاذة الأدب والتكنولوجيا في جامعة الإمارات المتحدة بكتابها المهم (مدخل إلى الأدب التفاعلي)، ((بوصف هذه الثنائية إحدى مصاديق العلاقة الرابطة بين الأدب التفاعلي والنظرية النقدية من حيث مواطن الالتقاء بين الأدب التفاعلي ومقولات النقد ونظرياته واصطلاحاته ... مثل تفاعل النص والمتلقي، وتعدد التأويلات، وموت المؤلف، والقارئ الضمني، وتعدد المبدع في النص ... إلى ما سوى ذلك من مفاهيم يمكن عدها إرهاصات وجذور ومحاضن تهيأت فيها الأذواق لتلقي هذه التجربة العصرية))[3].

أمّا الرسائل المفتوحة والمغلقة فهناك عدة آراء نقدية فيها منها ما يراه ميشال بوتور، بأنّ المجهول هو الذي يحدد نوع الرسالة مفتوحة أو مغلقة، فإذا كانت الرسالة موجهّة إلى جمهور غفير كانت رسالة مفتوحة، أمّا إذ كانت الرسالة موجهة لشخص معين (مُرسَل إليه)، فهي رسالة مغلقة[4].

يرى بارت أنّ الرسالة تكون مفتوحة إذا تعددت الأبعاد، إذ تفتح الباب واسعاً أمام مغامرة الذات ومن ثم فإنّ تعدد القراءات يكون عنوان تلك الرسالة، حينما لا تترك مجالاً

(١) ينظر: ثقافة الوعي المنهجي، د. ناهضة ستار: ٢٣٩، ينظر: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح: ٣٦.

(٢) ثقافة الوعي المنهجي: ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) نفسه: ٢٤٢.

(٤) ينظر: بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ت: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط٢، ١٩٨٢: ٢٤٠.

للذات كي تغامر في أعماقها وتكون مسطحة أحادية البعد، فيتبين من ذلك أنّها رسالة مغلقة[1].

أي أنّ كل القارئ يكون له القدرة على خلق رسالة من نوع خاص بأفكاره وطبيعة فهمه وتلقيه للنص الأدبي وبذلك فحرية القارئ تجعله يستمع ويتمتع بآفاق جديدة وجميلة من خلال قراءته للنص.

أمّا رأي الدكتور صبحي ابراهيم في معرفة نوع الرسالة والفرق بين المفتوحة والمغلقة، وهو معيار ((التناص))، فالرسالة المفتوحة عنده هي الرسالة التي حدث لها تناص مع رسائل أخر، أمّا المكتفية أو المغلقة لم يحدث لها تماس برسائل أخر، وأيضاً من حيث (الدلالة) فتعدد الدلالة لديه يعني أن الرسالة مفتوحة والرسالة ذات الدلالة الواحدة فهي رسالة مغلقة[2].

مفهوم الشفوية يتكئ على التلقي ويستمدّ شرعيته منه، والشفوية لا تعني نفي الكتابة، فقد يكتب النص الشعري كتابة ويدون تدويناً ثم لا يخرج عن إطار الشفوية والنص الشفوي يفترض وجود متلق شفوي أيضاً[3].

بعد ذلك تحول الفهم الأدبي إلى عصر جديد، فلم يعد المتلقي سامعاً على الأغلب بل أصبح سامعاً وقارئاً وكان للتطور اللغوي دور في تجديد الحياة الثقافية العربية إذ أوجد ظروفاً مناسبة لفهم دلالة النص وتحليل بنيته، بيد أنّ المتلقي لم يخضع لسلطان الكتابة حتى في العصور التي تكاثرت فيها الأقلام إذ التلقي الشعري ما زال يعتمد قناة المشافهة[4].

وتعدّ ميزة (حُسن السماع) الصفة المحببة التي تحفظ لمتلقي الشعر شخصيته وتدعم توزانه الثقافي، وظلت هذه الصفة أباً للمتلقي[5].

---

(1) ينظر: علم العلامات والنص الأدبي ((سلطة القارئ)): ٥٧.

(2) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ــــ دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة ــــ مصر، ط١، ٢٠٠٠، ١ / ٥٧ .

(3) ينظر: استقبال النص عند العرب، دراسة أدبية، د. محمد رضا مبارك: ١٠٩.

(4) ينظر: نفسه: ١٠٩.

(5) ينظر: نفسه: ١٠٩.

وشاهد على (حسن السماع) وما لها من صفة مميزة قول القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني: ((وإنما الكلام أصوات محلها من السماع محل النواظر من الأبصار))[1].

إنَّ التحولات الهائلة التي طرأت على البيئة الثقافية بظهور الإسلام، عززت مكانة السمع واتسعت دائرته، فكلام الله عز وجل ليس كلاماً اعتيادياً فهو يقتضي أول ما يقتضيه الإصغاء، والإصغاء هو المدخل لعالم الفهم والتأثير، إذ تولدت قيم سماعية جديدة، تنصت للنص الفائق فيمتلك عقلها ويسد فراغاته حتى لا ثغرة للشرود ... فالنص الجيد يجبر السامع على الإصغاء ويدفعه للتفاعل مع النص والجبر هنا ليس قيداً بل جوهرية في الاختيار[2]، ومثال ذلك قوله تعالى في كتابه الحكيم [ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ]‏[3].

كانت المشافهة قبل الإسلام تمتلك مقومات أصيلة وتستند إلى مجمل الحياة الشعرية التي تزخر بها بيئة الجزيرة العربية، كان إلى جانب المتلقي الشفوي الناقد الذي يقوِّم العمل الأدبي ويتعامل معه نقدياً، بيد أنّ الآراء النقدية خضعت للشفوية أيضاً، إذ إنّ ارتجال النقد أقل عناءً من ارتجال الشعر[4]، وتعددت هذه الآراء إلى التحليل ((إذ دخلت التطبيقات النقدية صور من التحليل ارتفعت عن مستوى التعبير الفطري الساذج والتأثير الشخصي الموقوت))[5].

من الممكن تحديد نسبة الشفاهية والكتابية من خلال معرفة (وظيفة الأدب) في الثقافة العربية، إذ كانت الشفاهية تعد ظاهرة طبيعية فطرية[6]، وأنّ النظر إلى مفهوم الكتابة من منظار الثقافة العربية لا يمكن أن يكون إلا بوصفه نتاج ثقافة، وأنّ هذا

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦هـ)، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البيجاوي، ط٢، ١٩٥١ : ٤١٣.

(٢) ينظر: استقبال النص عند العرب: ١٠٩–١١٠.

(٣) سورة الزمر: آية (١٧ – ١٨).

(٤) ينظر: استقبال النص عند العرب : ١١٠.

(٥) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين، د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة، (د.ط)، ١٩٧٩: ١٢٣.

(٦) ينظر: الشفوي والمكتوب، د. محمد لكتشر معكال، ضمن مجموعة بحثي: أعمال الملتقى الدولي حول الشفاهيات الافريقية، ١٩٩٢: ٩.

المفهوم قد تشترك في الثقافات في وجوده ، لكن ليس بالضرورة أن تشترك في كيفياته[1].

فإنّ أول خطوة لمعرفة الكتابية أو الكتابة استخراج معاني مادة (كَتَبَ) بحسب قول ابن منظور[2]، إذ يمكن قراءتها في ضوء تمثيلها لأحد أنماط الكتابة في الثقافة العربية، وهي أنّ الكتابة هي كتابة لأنّها عملية رصف أو جمع حرف إلى حرف مثلها مثل أي عملية جمع بين شيئين عرفها العرب (تكتبت الخيلُ أي تجمعت)، ويقال: اكتُبْ نعلتك، وهو أن تضم بحلقه)، هذه هي ماهية الكتابة، أما كيفيات استعمالها في هذا النمط من أنماطها، فتجد أنّها: الخط (كتبه: خطه) والنسخ (الكتبةُ : اكتتبك كتاباً تنسخه)، والإملاء (اكتبني هذهِ القصيدة أي أملها عليّ)، وهذا النمط في الكتابة هو قرين المعرفة والعلم، وقد فسر ابن منظور ذلك بأنّ الغالب على من كان يعرف الكتابة، يكون ذا علمٍ ومعرفة، وقد استمر هذا الربط بين مفهومي الكتابة والمعرفة وإن تغير كلا المفهومين عبر تاريخ الثقافة العربية[3].

وقد توصل (سيد إسماعيل ضيف الله) إلى أنّه لا يمكن تقيد مفاهيم الكتابة في الثقافة العربية، لأنّ الظواهر الثقافية لا تتبع خط سير الزمن السياسي، وعلاقات مفاهيم الكتابة بين بعضها من ناحية وبينها جميعاً، وبين مفاهيم الشفاهية لا تنتمي الزمن السياسي الذي يحدد به قيام دولة وسقوط أخرى، كما يقول (سيد إسماعيل) أن كل شكل من أشكال الكتابة، وكل شكل من أشكال الشفاهية كان موجوداً في لحظة تاريخية مضت، إنّما هو موجود كذلك في اللحظة التاريخية الراهنة، غير أنّ هيمنة شكل من أشكال الكتابة وهيمنة شكل من أشكال الشفاهية هي التي توهم بعد وجود بقية أشكال الكتابة وأشكال الشفاهية[4].

وطبيعي أن تختلف أشكال الشفاهية فالكتابة التي عرفها العصر الحديث حاضرة في اللحظة التاريخية، عن التي مضت من تاريخ الثقافة العربية، ولكن من المؤكد أن

---

(١) ينظر: آليات السرد الشفاهية والكتابية: ٢٢-٢٣.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (كَتَبَ): ١/٧٠١.

(٣) ينظر: آليات السرد بين الشفاهية والكتابية : ٢٣.

(٤) ينظر: نفسه: ٢٣ -٢٤.

يحصل تشابك وإشكال بينهما مع البنيات الاجتماعية الذهنية والثقافية، إذ يفضي إلى إنتاج أشكال جديدة لم تكن ممكنة قبل لحظة التشابك أو في أثنائها، وإنّما أعلنت عن نفسها لهذا التشابك، ومن الممكن تحديد الشكل المهيمن من بين أشكال الكتابة في محطات الثقافة العربية، حتى يمكن تحديد أشكال التأليف الكتابي في الثقافة العربية. إذ تحدد أو تقسم على ثلاث محطات[1]:

١. الكتابة باعتبارها مخطوطة Manuscript.

٢. الكتابة باعتبارها الممكن طبعه Printable.

٣. الكتابة باعتبارها المعلوماتية In formats.

إذ تعد هذه الأشكال الدارجة استعمالها في اللحظة الراهنة لكن الشكل المهيمن هو (الكتابة باعتبارها الممكن طبعه، Printable).

إذ إنّ لكل شكل من أشكال الكتابة خصائصه الأسلوبية، ونموذجه الجمالي وسمات خاصة لمؤلفه وقارئه[2].

أمّا ادونيس فقد اطلق على الشفاهية والكتابية تعبيراً خاصاً ((الثورة الكتابية الأولى)) ليصف لحظة معرفية مهمة في تاريخ الثقافة العربية وهي لحظة نزول الوحي، ويذهب إلى أنّ القرآن نهاية الارتجال والبداهة ... نهاية البداوة وبدء المدنية، إنّه بداية المعاناة والمكابدة و((حالة الفكر)، القرآن إبداع بالوحي (من حيث أنّه تصور جديد للعالم) وتأسيس له بالكتابة[3].

وعند العرب بتمعن يتضح لنا أنّ رسائل ابن حزم يتجلى للباحث أنّ الرسائل نقلت بعضاً منها شفوياً إذ ما يدل على ذلك وجود عبارة قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي[4] ، هذا ما جاء في بداية رسائل نقط العروس إذ يتضح من ذلك امران:

(١) ينظر: نفسه: ٢٤.

(٢) ينظر: آليات السرد بين الشفاهية والكتابية: ٢٤.

(٣) ينظر: الثابت والمتحول، بحث في الابداع والاتباع عند العرب: ١٩/٤.

(٤) ينظر: رسائل ابن حزم: ١ /٢.

١. إمّا أنّها قد نقلت عن ابن حزم نقلاً شفوياً عنه من مقابلة أحد شفوياً عن ابن حزم.
٢. أنّها قد دوّنت من أحد كان يستملي عليهم ابن حزم كما دُوّنت مؤلفات الجاحظ من قبل كتاب البيان، والحيوان بكتب للجاحظ، في البيان والتبين أو كتاب الحيوان.

ولكن نجد معظم الرسائل التي وصلت إلينا لم يذكر فيها قول ينبئ على نقلها شفهياً بل كتبت وارضت وتناقلت ودونت في زمن ابن حزم وأثناء تأليفه لها.

وما ينقل شفاهة القصائد الشعرية أكثر من النصوص النثرية لسهولة حفظه وإيحائه وتصويره لصورة.

وبعد التمحيص والبحث في كلا الأمرين لم أجد ما يرجّح كفة النقل الشفاهي، لأنّني لم أرَ من رسائله ما وصل إلينا منقولاً شفاهياً كما هو الحال في التراث الحكائي العربي، أو الغربي، ولكنّي وجدت أنّ أكثر تراثه من الرسائل قد وصلنا مدوّناً مكتوباً، وهذا ما يمكن عدّه دليلاً يستبعد كون رسائله قد وصلتنا مشافهةً بكثرة وهو الذي استندتُ إليه في أنّ أكثره كان مدوناً مع وجود القليل منه كان منقولاً شفاهياً.

وتأسيساً على ما تقدّم ذكره صار عندي أنّ أكثر ما وصلنا من رسائله قد كان مدوّناً إمّا من خلال إملائه على أحدهم، أو من خلال مَنْ نقل عنه ممّن أتى بعده.

ثانياً: فاعلية الشفاهية والكتابية في رسائل ابن حزم.

أ. الرسائل التاريخية (السيرية):

بتأمل للرسائل وابتداءً من المجموعة الأولى للرسالة وهي الرسائل التاريخية يتجلى لنا بوضوح دور الشفاهية والكتابية حينما نتسأل هل هنالك علامة دالة في نصوص الرسائل تدلل وتبين ما أن كانت قد نقلت لنا شفاهية أم كتابية؟

كل ذلك يتطلب معاصرة أو الرجوع إلى من كان قد عاصر ابن حزم في مجالسه، وممكن أن يُستدل عليها من خلال السياق الذي نقلت فيه، أول هذه الرسائل التاريخية هي (رسالة نقط العروس)[١] إذ تبدأ هذه الرسالة بالبسملة والصلاة على محمد وآل محمد ثم بعد ذلك بذكر كيف نقلت الرسالة بالابتداء بـــ((قال أبو محمد بن علي بن أحمد

---

(١) ينظر: رسائل ابن حزم: ١ / ٢: ٤١.

بن سعيد بن حزم الأندلسي))[1]، هذا يدلل على أنّ الرسالة قد نقلت شفوياً عن لسان ابن حزم، نستدل على ذلك من فعل القول الذي جاء في بداية نص الرسالة، وفي رسالته التاريخية الأخرى التي عنوانها (رسالة في أمهات الخلفاء)[2] يدرج فيها أسماء أمهات الأنبياء والخلفاء ابتداءً من الرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ تبدأ نص رسالته أيضاً بالقول)، ((قال أبو محمد بن حزم / أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ...))، هذا ما يدلل على أنّها قد سمعت من ابن حزم ودونت أي كانت الشفاهية أصلاً بوجود هذه الرسالة.

ولكن في نص رسالة ((أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم))[3]، إذ كانت هذه الرسالة مكتوبة منقولة بالتدوين إذ لم تبتدأ بالقول وبدأت بنص سردي يسرد لنا أسماء هؤلاء الخلفاء.

ب. الرسائل الوجدانية :

لقد بدأت الرسائل الوجدانية بـــ(قال أبو محمد عفا الله عنه)[4] وهي بداية لرسالة طوق الحمامة في الألفة والألاف إذ كانت الشفاهية عنصراً رئيساً في نقل هذه الرسالة وأبوابها وتفاصيلها، هذا ما هو ظاهر في (صدر الرسالة) لكن عند النظر ويتمعن لبعض العبارات والتراكيب، يتضح عكس مثال ذلك قوله: ((وكلفتني – أعزك الله – أن اصنف لك رسالةً في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه))[5].

يبدو لي أنّ ابن حزم الأندلسي بهذه الكلمة (كلفتني) تدل على أنّه قد كتب الرسالة أو كتبت عنه في نفس الوقت ونقلت مكتوبة.

---

(1) نفسه: ٢/١: ٤٣.

(2) ينظر: نفسه: ٢/١: ١١٩.

(3) نفسه: ١ /٢: ١٣٧.

(4) ينظر: رسائل ابن حزم: ١/١: ٨٤.

(5) نفسه: ١/ ١: ٨٦.

أمّا أبواب الرسالة فكلها نقلت مكتوبة لاشك في ذلك لأنّها كانت بمثابة رد على طلب صاحب ابن حزم وذلك يتطلب منه الرد بسرعة.

وعند النظر لما جاء في ملاحق كتاب (رسائل ابن حزم) ظهرت الشفاهية بوضوح في نقل هذه الملاحق، وقد ابتدأ الملحق الثاني الذي عنوانه (ذكر أوقات حكم الحكام من بني إسرائيل)(1) ونص الرسالة هو: ((قال أبو محمد ابن حزم رضي الله عنه دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر أمرهم (عليه السلام) إثر موت موسى (عليه السلام)، ومع يوشع العازار ابن هارون (عليه السلام) صاحب المرادق بما فيه، وعنده التوراة لا عند أحد غيره بإقرارهم))(2). هذا ما يدل على أنّ الرسائل بعدما كملت ودونت جاء أحدهم ليضيف عليها بعض ما سمع من كلام ابن حزم الأندلسي لذا فهي تضم النقل الشفاهي وكذلك الأمر في الملحق الثالث الذي عنوانه (شذرات من الروايات التاريخية)(3)، إذ تعد من الرسائل الشفوية ويفهم ذلك من سياق الكلام إذ بدأت بقولهم: ((حدثني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الفقيه وأملاه عليّ بالأندلس قال: حدثني أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري، قال حدثني أبو علي حسن بن الأشكري...))(4)، فكلمة حدثني تدل على نقل الحديث من شخص لآخر عن طريق الحفظ أي الشفاهية، إذ إنّ الملحق للرسائل بمثابة اضافة إلى شيء اكتمل وأغلب هذه الإضافة قد حصل عليها عن طريق الشفاهية والتناقل بالحديث بين مجالس أهل العلم في الأندلس.

وفي الملحق نفسه قولهم: ((أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال، أخبرني أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين قال، وجدت بخط أبي قال: أمرنا الحكمُ المستنصر بالله رحمه الله، بمقابلة كتاب ((العين)) للخليل بن أحمد مع أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي))(5).

---

(1) ينظر: نفسه: 1 / 2: 209.

(2) نفسه: 1 /2: 209.

(3) نفسه: 1 /2: 219.

(4) نفسه: 1 /2: 219.

(5) رسائل ابن حزم: 2/1: 223.

إذ إنَّ سياق الكلام الذي ابتدأ بـــ(أخبرني) يدل على تناقل الحديث شفاهياً، وتكرار فعل الإخبار يدل على تعدية نقل الحديث من شخص إلى آخر إلى أن وصل لابن حزم وروي عنه، كما هو الحال أيضاً في قولهم: ((وأخبرني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفقيه)، أنَّ المنصور أبا عامر لما فتح شنت ياقب، أو غيرها من القلاع الحصينة التي يقال إن أحداً لم يصل إليها قبله، استدعى أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج))[1]، نلتمس في النص شفاهية واضحة متجسد بفعل الإخبار لذا فإنَّ الفرق واضح بين النصوص التي قد نقلت كتابة والتي قد نقلت شفاهية من خلال السياق الكلامي للنص.

افادت الدراسة ان الرسالة التي تُنقل كتابياً تكون ادق من تلك التي تُنقل شفاهياً لان الشفاهية تعتمد على ذاكرة المُرسَل إليه اي انها لا تصل مباشرةً من المبدع بل بواسطة المُرسَل إليه.

المبحث الثالث

الإطار العام والخاص للرسالة في نصوص رسائل ابن حزم

التأطير: تعد الرسالة بوصفها نصاً ادبياً ذات مفهوم واسع يحتاج الى تأطير اذ لا يكفي ان يكون مجرد منظر خارجي للأثر بل هو اطار معقد ومتشعب فكل مجالات التفكير

(١) نفسه: ٢/١: ٢٢٥.

البشري توظفه وتستعمله، الامر الذي قد يدفع الى الظن بانه في غير الحاجة الى الضبط والتحديد[1].

اما في وجهة نظر بارت ((فيحتل النص مكانة خاصة في التصورات النقدية الحديثة نظراً لما اثاره ويثيره من نقاش ولجرأته في تناول مفهوم النص وبناء تصور جديد له، فهو يعتبره ذات اطار منفتحٌ على كل الأوليات اللغوية وكيلما كان توسع مجالها الإيحائي، ومفهوم النص عند بارت لا يدرك الا في مقابل الاثر الادبي فالنص عند بارت تعددي، ولا يعني ذلك إنه يحتوي معاني عدة وانما يعني لامكانية توزيع وتعديد التأويلات فيه فهو خاضع لتفجير اكثر من تأويل))[2].

أمّا تعريفه اصطلاحاً: فهو ((الاختيار والتركيز استخدام عناصر بعينها في النص لبناء حجة أو برهان على المشكلات ومسبباتها وتقييمها وحلولها))[3].

بعد توضيح الرسالة العامة أو الإطار والرسالة التفصيلية نجد ذلك يتجسد في رسائل ابن حزم المتنوعة إذ نجد في كل نوع من الرسائل يتميز بوجود رسالة تعد هي الإطار ورسالة اخرى تعد تفصيلاً وتوضيحاً لتلك الرسالة الأم ومن ذلك نستدرج بعض الأمثلة ابتداءً من الرسالة التاريخية (السيرية) لغاية الانتهاء إلى الرسائل العلمية لنا تطبيقاً مدى وجود ذلك الإطار في الرسائل:-

١. الرسائل التاريخية (السيرية):

يعد كتاب (نقط العروس في تواريخ الخلفاء)[4] عنوان الرسالة الإطار أي العامة التي تحتوي على كل ما يخص الخلفاء والخلافة أي تعد جامعة لعدة فروع من الرسائل التفصيلية التي خصت الخلفاء واعتنت في دراسة أمور الخلافة ومعرفة

---

(١) ينظر: استراتيجية القراءة والاقراء، محمد حمود، منشورات ديداكتيا، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٣: ٢٤.

(٢) إشكالية مقاربة النص وتعدد قراءته عتبة العنوان، نموذجاً د. محمد التونسي جكيب، (بحث منشور): ٥١٨.

(٣) أثر الأيديولوجية السياسية للدولة في بناء الأطر الاخبارية، دراسة مقارنة لموقع BBC، وقناة العالم الايرانية جمال أحمد، المجلد الثامن، ٢٣، (المجلة المصرية لبحوث الرأي العام جامعة القاهرة كلية الاعلام ، يوليو / سبتمبر ٢٠٠٧): ١١٣-١١٤، نقلا نظريات الاعلام: ٢٣.

(٤) رسائل ابن حزم: ٢/ ٢: ٤٣.

أدق التفاصيل التي تحيط في كل خليفة تسنم الخلافة مع ذكر وقت خلافته لقد قام ابن حزم الأندلسي بمعرفة وعرض أدق التفاصيل التي ربما تجاهلها بعض المؤرخين، والمتلقي عندما يقرأ عنوان هذه الرسالة يجد فيه شيئاً من الجدة والحداثة إذ ربط نقط العروس في تواريخ الخلفاء هذا شيء مميز بحد ذاته.

بعد ذلك نجد الرسالة التفصيلية وهي ما جاء بها ابن حزم من أخبار الخلفاء وتتدرج ضمن عناوين متنوعة ومن بين هذه الرسائل التفصيلية التي تنقل لنا أهم ما حدث في زمن الخلفاء منها: ((أول الاسماء التي وقعت على الخلفاء (رضي الله عنهم) وهم: ((الراشدون، العباسيون، الأمويون بالمشرق، الأمويون بالاندلس، ومن بني علي (رضي الله عنه)، ومن الأدعياء اليهم))[١]، فبعد أن أعطى عنوان لرسالة ذكر تفصيلاً القاب وأسماء الخلفاء وتقسيمهم في الوطن العربي ككل بما فيهم الأندلس.

أمّا الرسالة الأخرى التفصيلية فهي: ((من ولي العهد وتسمى أو لم يتسم له أمر، ومن قام بطلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره وقد سمي أو لم يسمّ))[٢] بعد ذلك يبدأ بذكرهم:

١. من بني أمية
٢. من بني العباس
٣. من بني أمية بالاندلس

وهكذا في الرسائل الأخرى جميعها التي فصّل فيها القول ابن حزم تحت إطار علم، ودقة ابن حزم تتضح من خلال طيات الرسائل إذ لم يترك شاردة أو واردة إلا ذكرها وأرّخ لها، يتفاوت في حجم الرسائل فهناك بعض الرسائل التاريخية والسيرية نجدها أكثر تفصيلاً وأطول من غيرها، وذلك لكثرة الخلفاء في حقبة زمنية واحدة ومعرفة أسمائهم وألقابهم وما يتعلق بهم.

كما نلاحظ الفرق في طول الرسالة واحتوائها على أكبر عدد من الأسماء وأيضاً كثيراً من الأخبار مقارنة بالرسالة التي بعدها وهي ((رسالة أمهات الخلفاء))[٣] إذ ذكر

(١) نفسه: ١ /٢: ٤٢–٥٠.
(٢) نفسه: ١/ ٢: ٥١.
(٣) رسائل ابن حزم: ١ / ٢: ١١٧.

ابن حزم أمهات الخلفاء شارحاً ومفصلاً لكل منها ومثال على ذلك قال في أولهم: ((أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة))[1]، وبعدها ذكر قائلاً: (أم عمر، (رضي الله عنه)، حَنتَمَةُ بنتُ هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزم بن يقظة بن مرة؛ كافرة))[2]، و((أم (الإمام) علي (عليه السلام)، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، مسلمة فاضلة، مهاجرة))[3]. فهذه الرسالة على الرغم من قصرها مقارنةً بالذي قبلها لكن ما ذكرت من أخبار وأسماء لأمهات الانبياء والخلفاء نجد فيه أهمية كبيرة ودقة في النقل.

وبعدها يذكر أم الحسن (عليها السلام) فاطمة بنت رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم)[4]، إلى أن ينتهي بتفاصيل تلك الرسالة بذكر ((أمهات[5]،أمراء بني أمية بالأندلس))[6].

٢. الرسائل الوجدانية:

بنى ابن حزم طوقه على رواية أخبار المجتمع الأندلسي الذي يعيش فيه، وقد استعمل ابن حزم أسلوباً يتناسب مع المادة المسرودة، فاتصف أسلوبه بشعرية النثر.

فالرسالة الإطار تقع تحت عنوان (طوق الحمامة) الذي عني كثيراً بالنسب للمتلقي قبل معرفة ما بداخل هذه الرسالة وما تعالجه من قضايا فلا يتضح له فكرة الرسالة إلا بعد الغوص في تفاصيل هذه الرسالة ليجد أنّها توضح علامات الحب وأسراره فالرسائل التفصيلية قد كان لها اهمية لأفهام المتلقي ماذا تعني رسالة طوق الحمامة ؟ ذات عنوان مميز.

روى ابن حزم أخباره على شكل أبواب وكل باب فيه خبران أو أكثر بحسب العنوان وارتباطه بالرسالة، واستعماله لأساليب مغايرة لأجل شدّ القارئ وكسر افق

---

(١) نفسه: ١ /٢: ١١٩.

(٢) نفسه: ١ /٢: ١١٩.

(٣) نفسه: ١ /٢: ١١٩.

(٤) نفسه: ١ /٢: ١١٩.

(٥) في الأصل: أولها، ولا معنى له، إذ انه سرد جميع أمراء بني أمية.

(٦) ووجهت اسماء امهات الامراء الأمويين بالأندلس على ما جاء في الجذوة، وهو مستفاد أيضاً من ابن حزم، وينظر: رسائل ابن حزم: ٢/١: ١٢٢.

التوقيعية وإمتاعه، فنجد الوصف، والاستفهام والتعجب وغيرها كلها أساليب تدخل المتعة عند القارئ[1].

تعد دلالة رسالة طوق الحمامة عتبة يفهم من خلالها مقصد ابن حزم إذ يحمل هذا العنوان على دلالة رمزية، فالطوق لغة: هو حلي يجعل في العنق وكل شيء استدار فهو طوق كطوق الرحى الذي يدير القطب، والطوق: جمعه الاطواق، والمطوقة الحمامة التي في عنقها طوق[2].

أمّا الحمامة فهو رمز ((ارتبط بالسلام منذ مشهد سفينة نوح حيث كانت الحمامة الممسكة بمنقارها غصن الزيتون رسول السلام ، وعرفت كهذه الرمزية في عصرنا حظاً كبيراً، يكفي الإشارة إلى حمامة (بيكاسو والاعلانات)) والطوابع البريدية، وأخيراً أنصار السلام من هذه البلاد أو تلك الذين يسموتهم حمائم بمقابل الصقور الأكثر شراسة))[3].

مما دل على أنّ ابن حزم الأندلسي كان شخصاً مسالماً اتخذ من رسائل طوق الحمامة عنواناً للتعبير عن ذاته إذ إنّ مشاعر الحب الصادقة تنبع من احساس الشخص نفسه بالأمان والطمأنينة اتجاه محبوبته.

وما يميز هذا الكتاب من غيره من رسائل الحب المتعددة أنّ حرص ابن حزم على ذكر مشاهداته عن حقائق الحب، والحديث عن البيئة والنظر إلى الأمور من خلال منظاره[4].

كما يتحدث عن نفسه في هذه الرسالة بنواح متعددة، بعضها تصوير لطباعه وأخلاقه، وبعضها حديث عن تجاربه وآرائه، وبعضها اعتراف بمواقف وحكاية لأحداث، وأول ما نلاحظه في حديث ابن حزم عن نفسه أنّه يصور لنا صورة طليق الفكر المتحرر من التقليد الذي لا يعول إلا على عقله وتجربته، فهو يرفض أن ينتهج نهج الذي سبقوه أي الأقدمين في تأريخهم للأخبار الشائعة والروايات المشهورة إذ كانوا يملؤون بها الصحائف دون التحقق من صدقها ومناقشتها، ويخرج عن هذا النطاق في عبارة

---

(1) ينظر: شعرية النثر، طوق الحمامة أنموذجاً، دنا عبد اللطيف سليم حمودة، اشراف د. محمد خليل الخلايلة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١ – ٢٠١٢م: ٣٤-٣٥.

(2) ينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، باب (الطوق): ٢١٥.

(3) الرموز في الفن الاديان الحياة ، فيليب سيرنج، ترجمة: عبد الهادي عباس: ١٨٩-١٩٠.

(4) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي : ١/ ٢٦٠ .

ضائقة: ((ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم))[١].

٣. الرسائل الفقهية :

تعددت أطر الرسائل الفقهية لأنَّ ابن حزم كان فقيهاً ذا آراء فقهياً واضحة المعالم لها تأثير ووقع في المتلقي في ذلك الوقت وخاصة عند معظم أهل الأندلس لثقتهم العالية بعلمه وتفقهه وكانت هذه الأطر تحتوي على تفصيلات دقيقة كثيرة توضح للمتلقي من كافة طبقات المجتمع الأندلسي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة رأيه بتلك الأمور الفقهية، بيد أنَّ في بعض الأحيان نجده قد يتعارض مع آراء فقهاء عصره، مع ذلك كان لرأيه دورٌ في تحديد بعض المواضيع الفقهية.

فله آراء في المنطق معززة بشواهد فقهية عرضها من خلال كتابه ((التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية))[٢] بيد أنَّه لم يدع لنفسه شيئاً من الابتكار في المنطق، بل صرح بأنَّ كتابه هذا يقع تحت النوع الرابع من المؤلفات وهو النوع الذي يتناول شرح المستغلق[٣]، فهو يقول ((وكتابنا هذا واقع من الأنواع التي لا يؤلف أهل العلم والتميز الصحيح إلاَّ فيها تحت النوع الرابع منها، وهو شرح المستغلق وهو المرتبة الرابعة من مراتب الشرف في التواليف، ولن نعدم، إن شاء الله أن يكون فيها بيان تصحيح رأي فاسد يوشك أن يغلط في كثير من الناس وتنبيه على أمر غامض، واختصار لما ليس بطالب الحقائق إليه ضرورة، وجمع أشياء متفرقة مع الاستيعاب لكل ما يطلب البرهان إليه أقل حاجة.))[٤].

---

(١) طوق الحمامة: ٢.

(٢) الله والعالم عند ابن حزم الاندلسي: د. مهدي طه مكي: ٩.

(٣) ينظر: نفسه: ١٠.

(٤) التقريب لحد المنطق، ابن حزم الأندلسي تح: إحسان عباس، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت(د.ت)، المقدمة: ١٠.

من بين هذه الرسائل الفقهية وتحت إطار((رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء))[1]، تجد عدداً من الرسائل التفصيلية أولها هي((مجاهروهم الانهماك في المعاصي واللذات))[2]، إذ تجسد هذه الرسالة الواقع الذي عاشه بعض خلفاء ذلك العصر، ومن بينهم (يزيد بن عبد الملك، وابنه الوليد، الأمين، المتوكل (إلاّ أنّ إظهاره السنة ومعلاته ستراً عليه)، المقتدر، القاهر، المستكفي))[3] فمنهم من جاهر بالمعصية ومنهم من تستر تحت ستار الخلافة غارقاً باللذات تاركاً امور الخلافة ومن بين من تستر بستار السنة هو الخليفة المتوكل.

إطار الرسالة هنا أخفا في داخله رسائل تفصيلية لم يتوقعها المتلقي فعندما تقرأ (رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء يتبادر في أذهاننا أنّ هنالك احداثاً وتواريخ داخل هذا الإطار للخلفاء إلاّ أنّها ظاهرة فقهية قد أثارها ابن حزم موثقاً أهم هؤلاء الذين جاهروا ولم يبالوا من تماديهم بذلك تحت ستار الخلافة أو امتلاكهم للسلطة.

نوهت هذه الرسالة الاطار إلى وجود كثير من الرسائل التفصيلية واحتوائها على أمور لم تذكر من قبل، ولربما ذكرت لكن أقل وضوحاً وتفصيلاً.

قد يكون استنكار ابن حزم لما فعله هؤلاء الخلفاء جعله يؤرخ هذه الأحداث مع ذكر أسماء الخلفاء الذي لم يتكرر فعلهم من بعد ومن بينهم، (الحكم الربضي)[4].

فرسالة ألم الموت من أحد الرسائل الفقهية التي أثارت انتباه المتلقين والقراء ومدى صحة وجود (ألم أم لا) عند خروج الروح من الجسد وهذا ما التفت إليه أغلب الناس لأنّ الموت بحد ذاته هو شيء مخيف لبني البشر ويهمهم ويثير انتباههم معرفته إن كان هنالك ألم أم لا وكان ابن حزم قد ذكر قضية في ذلك يعلل فيها إن كان هنالك ألم وذلك بقوله: ((اختلف المتقدمون من اصحاب الطبائع في الموت: هل له ألم أم لا ألم له، فقالت طائفة إنه لا ألم له أصلاً وبهذا نقول، لبرهانين أحدهما حسي والآخر ضروري عقلي راجع إلى الحس أيضاً . فأمّا الأول فهو أنّه كل من رأينا يموت؟ وهو في عقله،

(١) رسائل ابن حزم: ١ / ٢ : ٤٢ .

(٢) نفسه: ١ /٢: ٧٥.

(٣) نفسه: ١/ ٢: ٧٥.

(٤) ينظر: رسائل ابن حزم: ١/٢ : ٧٥، ينظر: المغرب ١ : ٤٤ حيث ينقل عن نقط العروس، والنص فيه: ((ومن المجاهرين بالمعاصي المستلمين لدينا الحكم الربضي ...))، ينظر: النفح ١ : ٣٤٢ نقلاً عن ابن حزم: ١/٢ : ٧٥ .

إذا سئل عما يجد فإنّه يقول: لا شيء إلا الانحلال فقط، ولأنّ من يحس عند ذلك ألماً فإنّه ألم المرض الذي كان فيه، كالوجع المختص بمكان واحد، وما أشبه ذلك، حتى إنّه لابدَّ من شيء يسميه الناس راحة الموت؟ ثم لا يكون بين حكايتهم وبين زهوق أنفسهم إلا لمحة يسيرة جداً))[1]. من نص رسالة ابن حزم ومن أول برهان لألم الموت نجد رأيه واضحاً إذ برر بعدم وجود ألم وإن وجد فهو ألم المرض ما أصاب جزء معين من الجسم الإنسان.

فالرسالة الإطار أو العامة هي توصيل وتوضيح قضية فقهية طالما تحير بها أذهان الناس لأنّ الموت هو هادم اللذات فبعد التفكير فيه باستمرار شيء واضح وكأنّ ابن حزم أراد أن ينزل الطمئنينة في نفوس أبناء قومه بقوله في البرهان الأول ((لا شيء إلا الانحلال))[2] وبتعليل منه أنّ الألم صادر عن المرض ليس إلا.

وهذه البراهين تعددت تفصيلاً للرسالة الأم، وبذلك نجد البرهان الثاني كان أكثر تفصيلاً بقوله: ((فإنّه لا يكون ألم للشيء المألوم البتة في حين وقوعه ولا يكون إلا في ثاني وقوعه، وليس للنفس بعد الموت بقاء بحيث يصل إليها الألم الجسدي أصلاً، لأنّها قد فارقت الجسد، وأكثر ما يكون القلق الشديد، والشوق المرعب، لمن فارق عقله، وقد يعرض مثل ذلك القلق لمن يبرأ من مرضه، فإذا برئوا وسئلوا عن ذلك اخبروا أنّهم لم يكونوا يجدون شيئاً))[3]، وهذه المشكلة تعرض لها الفلاسفة منهم الكندي الذي أسهب في جلائها مسكوية في تهذيب الاخلاق عندما تحدث عن ((الخوف من الموت))، ولم يضف ابن حزم شيئاً جديداً، ولكن إثباتها هنا بين رسائل ذات طابع فلسفي أمر ضروري لأنه يوضح طبيعة المشكلات التي كان يحاول علاجها[4].

كان حريصاً على ربط المشكلة بحديث الرسول: ((إنّ للموت سكرات)) مبيناً فهمه الخاص لذلك الحديث، ونجد بعضهم قد لجأ إلى التفريق بين المشكل وبين الموت إذ قالوا عنه إنّه ((سر يصعب حله والفرق بين المشكل والسر، أنّ المشكل نلتقي به خارج ذواتنا

---

(١) رسائل ابن حزم: ٢ /٤: ٣٥٩.

(٢) نفسه: ٢ /٤: ٣٥٩.

(٣) نفسه: ٢/ ٤: ٣٥٩.

(٤) ينظر: نفسه: ٢ / ٤: ٥٠.

فنصطدم به، أمّا الثاني فيتخلل كل حياتنا ووجودنا ونرتبط به كل الارتباط، فالموت بالنسبة لنا سر، لأنّه ينفصل عن وجودنا، ما دام ذلك الوجود يسير حتماً إلى النهاية))[1]، لذا لجأ الإنسان إلى الأديان ليطمئن أمام تلك المخاوف التي تنتابه بذكر الموت وطلوع الروح من الجسد.

قد نقل ابن حزم في نص رسالته هذه قضية مهمة جداً ويجسدها عنصر الرسالة الإطار والتفصيلي في آن واحد إذ حوت هذه الرسالة على فكرة الموت ككل وألمه وهل هناك مبررات في عدم وجود ألم وصحة ذلك الرأي وتفعيل آراء الفقهاء والفلاسفة، متبعين بذلك النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي بمنزلة رسالة وإبلاغ للإنسان وتحريره عن قيود المخاوف والتوتر النفسي.

ويتجلّى الإطار العام للرسالة في نص رسالة ((رسالتان أجاب فيها عن رسالتين سئل منهما سؤال تعنيف))[2] فقد تضمنت هذه الرسالة العديد من المسائل الفقهية إذ تطرق للمسائل الدينية منها (التعليل والاحتجاج) وكان نص هذه الرسالة هو الالتزام بالشيوخ الثقات بقولهم ((فإنْ خصمك يحتج أنّه لا يلزمه الخروج عما قيده الشيوخ الثقات عنهم، وتضمن ذلك كتبٌ حجة هي معلومة مشهورة مسموعة رواية رواها الثقات عنهم وهم في حملتهم عدد كثير إلى قول واحد يطلب التعليل والاحتجاج ويردُّ بالمنطقي على الشرعي))[3]، أي أنّهم يحتجون بما لا يلزمهم الخروج عما قيده الثقات[4]، وكذلك قولهم بأنهم رأوا أنّ التعليل والاحتجاج، قد مزجوا الكذب بالصدق، والباطل بالحق، وأعوذ بالله أن نرى التعليل، بل قد رمونا هاهنا برأيهم...))[5].

وهذا نص الرسالة يشير إلى الاحتجاج الذي أثاره في زمن ابن حزم وشغل أذهانهم ولكن الرجوع في تلك الأمور إلى الثقات في رواية الحديث هو أفضل بكثير، إذ هنالك الكثير في الثقات. أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل وآخرون ..[6].

(1) الموت والخلود في الأديان المختلفة، د. عزت زكي، القاهرة، دار النشر للكنيسة الاسقفية، ١٩٧٢: ٥٢.
(2) رسائل ابن حزم: ٣/٢: ٧٢.
(3) نفسه: ٢/ ٣: ٧٢.
(4) ينظر: نفسه: ٢ / ٣: ٧٤.
(5) ينظر: نفسه: ٢ / ٣: ٧٤.
(6) ينظر: نفسه: ٢ / ٣: ٧٤.

ثم طرح عليه سؤال آخر عن الشرع، فما هو الشرع وما هي أنواعه؟

والسؤال وقولهم: ((الشرع إنّما هو مسموعٌ متبعٌ معمولٌ به))[1]. فكان جواب ابن حزم هو ((أنّ هذا حقٌ صحيح، ولكن يلزمهم تبينُ مَنْ هو الشرعُ منه مسموع وهو المتبعُ في الشرع مَنْ هو المعمول به، فإن قالوا: إنّه لا يُسمع إلا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله تعالى، ولا يُتّبع في الشرع أحدٌ سواه عليه السلام، ولا يجوز العمل إلى بشرعه، صدقوا وهو قولنا، ولله الحمد واتفقنا وانقطع الخلاف))[2]، أي بذلك قد أجاب عن سؤال في نص رسالته هذه، وكانت إجابته وافية اتبعوها والتزموا بها.

وهناك عدد من الأمور الفقهية قد سؤل عنها ابن حزم إذ كانت هذه الأمور تعنى بأعمال الفرد اليومية إتجاه ربه إذ منها ما تكون واجبة وأخرى جائزة، ومن بين هذه الأمور (الأخلاق، والاستدلال، الاستغفار، الأمر بالمعروف الإيمان، البداء، البر، البرهان، البسملة، البحث، التأويل، التعليل، التفريغ، التكبير، التقليد، الجنة، التوبة، الجهاد، الحديث)[3].

٤. الرسائل الاجتماعية :

وتعدُ ((رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء))[4] هي الرسالة الإطار للرسائل الاجتماعية التي تقع ضمنه وتشكل نسبة أربعين بالمائة من رسائل نقط العروس حيث ذكرت أهم ما جاء من وقائع اجتماعية وأمور الخلفاء.

أمّا الرسائل التفصيلية فهي تلك الرسائل المتعددة التي تشكل جزءاً لا يتجزء من رسالة نقط العروس ومن بين هذه الرسائل التفصيلية ما قاله ابن حزم ذاكراً فيها أهم

---

(١) رسائل ابن حزم: ٢ / ٣: ٧٥.

(٢) نفسه: ٢/ ٣: ٧٥.

(٣) ينظر: نفسه: ٢ /٣: ١٣٤ – ٢٠٢.

(٤) نفسه: ١ /٢: ٤٢.

الأمور الاجتماعية منها: ((أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها))[1]، بعد ذلك يدخل في تفاصيل الرسالة يذكر أسم هذه المرأة ((أم خالد بنت (أبي) هاشم بن عتبة بن ربيعة هي أم معاوية بن يزيد، تزوجت مروان بن الحكم بعد موت ابنها معاوية))[2]، وهذا مما يدل على أنّ الرسالة هي عنصر توصيلي غاية بالدقة والأهمية لإكمال إيصال المعلومة بشكل وافٍ إلى المُرسَل إليه وبصورة سريعة الالتقاط لكي تكتمل عنده الجملة أو الإبلاغ عن قضية ما.

أمّا في الرسالة الأخرى (من غرائب المناكح)[3] هي تفصيلية توضيحية توضح قضية ما، الأكثر أنّها لم يرد في زماننا هذا مثلها، بعد ذلك يبدأ ليذكر أهم هذه الغرائب الذي عنها سبعة من بينها ((رجل تزوج بناته أربع خلفاء: عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان تزوج بناته الوليد وسليمان ويزيد وهشام))[4].

5. الرسائل العلمية:

الرسالة الإطار هنا هي (رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها)[5]، فبدأ نص الرسالة مثل الرسائل التي سبقها وهذا أسلوب ابن حزم وأغلب الكُتب في عصره إذ يبدأ النص بالحمد والثناء لله، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه اجمعين، بعد ذلك يأتي التفصيل لنص الرسالة لمعرفة ما جاء بها ومدى تطابق العنوان مع محتوى الرسالة، فقال في بداية نص الرسالة ((أمّا بعد يا أخي يا أبا بكر[6]، سلامٌ عليك، أخ مشوق طالت بينه وبينك الأميال والفراسخ، وكثرت الايام والليالي، ثم لقيك في حال سفرٍ ونقله، ووافقك من خلال جولة ورحلة، فلم يقض مجاورتك أرباً، ولا بلغ في محاورتك مطلباً))[7]، فهذا النص بيّن لنا أنّ نص الرسالة كان لغرض لقائه بصديقه

---

(1) نفسه: 1/2: 67.

(2) نفسه: 1 /2: 67-68.

(3) رسائل ابن حزم: 1/2: 68.

(4) نفسه: 1/2: 68.

(5) ينظر: نفسه: 1/2: 171.

(6) هو أبو بكر محمد بن إسحاق صديق ابن حزم ، والمتنقل معه في الاندلس، والمحتقل معه على يد خيران، (ينظر (ينظر الجذوة : 42، وطوق الحمامة في الجزء الاول: 112، 113، 120) .

(7) رسائل ابن حزم: 1/2: 171.

ورفيق دربه أبي بكر ووصفاً لحاله في لحظة لقائه في تنقل وسفر وترحال هذا ما يعد بإطار الرسالة التي جاءت بذكر فضائل رجال الاندلس بقوله: ((إنَّ علماء بلدنا الاندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف، فإنَّ هممهم قد قصرت على تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم ...))[1].

تمثل ذلك انتقاد لرجال الأندلس لتقصيرهم في بعض الأمور التي تعنى بمكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وكان الاولى بأن تذكر[2].

بعد ذلك يذكر قائلاً: ((ثم لمّا ضمّنا المجلسُ الحافلُ بأصناف الآداب، والمشهدُ الآهل بأنواع العلوم، والقصرُ المعمورُ بأنواع الفضائل، والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيمة من دقيقة المعاني وجليل المعالي، قرارة المجد ومحل السؤدد، ومحط رحال الخائفين، وملقى عصا التسيار، وعند الرئيس الأجل الشريف قديمه وحديثه ... فحسبي بذنيك العلمين دليلاً على سعيه المشكور وفضله المشهور، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت[3]))، يدل هذا نص الرسالة على تفضل وذكر رجال أهل الأندلس مع ذكر أسمائهم وأحسابهم وأنسابهم فقد اهتم ابن حزم اشد اهتمام برجال وخلفاء الأندلس وإنجازاتهم في مدة خلافتهم.

تعددت الرسائل العلمية وتنوعت ومن بين هذه الرسائل التي تعد تفعيلاً للرسالة الإطار هي رسالة في تفسير القرآن إذ كتب فيها أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد؛ وقد قيل في كتابه ((إنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره))[4]. نص الرسالة هنا يدلل على امتياز (أبي عبد الرحمن بقيّ بن مخلد) من غيره في تفسير القرآن.

---

(1) نفسه: ١/٢: ١٧١.

(2) ينظر: رسائل ابن حزم: ١/٢: ١٧١.

(3) البونت (El puente) قرية من اعمال بلنسية، استقل فيها بنو قاسم بعد الفتنة واولهم عبد الله بن قاسم الذي توفي سنة (٤٢١) وخلفه ابنه محمد الملقب بيمن الدولة، وبقي فيها والياً حتى ٤٣٤ (أعمال الأعلام: ٢٠٨)، وينظر رسائل ابن حزم: ١/٢: ١٧٢.

(4) رسائل ابن حزم: ١/٢: ١٧٨.

وكذلك في أحكام القرآن، امتاز كتاب (ابن آمنة الحجازي)، وذكره ابن حزم قائلاً: ((ومنها في أحكام القرآن: كتاب آمنة الحجازي، وكان شافعي المذهب بصيراً بالكلام على اختياره...))[1].

أراد ابن حزم إيصال ما تميز به رجال الأندلس عن غيرهم وكثرة مؤلفاتهم وتنوع معارفهم من خلال نص الرسالة وذكره أهم الكتاب فمنهم من برع باللغة وألفَّ منها وهو (اسماعيل بن القاسم) ويحتوي كتابه على لغة العرب [2]، ومنهم من برع بالشعر مثل (عبادة بن ماء السماء) في اخبار شعراء الأندلس، ومنهم من برع في التاريخ ونقل الأخبار مثل تواريخ أحمد بن محمد موسى الرازي ....الخ[3].

نلخص من ذلك أنَّ عنصر (الرسالة) هو بؤرة مخطط التواصل الجاكبسوني إذ يعد ذا أهمية مميزة يتضح من الجانب التطبيقي بداخل نصوص ابن حزم الاندلسي التي قد وصلت للمتلقي بطريقتين الشفاهية والكتابية، بحسب الحقبة الزمنية وتعدد المتلقين، إذ كان من الضروري ان تكون لغة الرسالة مشتركة بين المُرسِل والمُرسَل إليه لتسهيل عملية الاتصال، وتعد جاذبية الرسالة لها أثر في المستقبل والجمهور، وتتضح هذه السمة من نصوص رسائل ابن حزم التي تميزه بالندرة والجدة والغرابة، مما يجذب المتلقي إلى قراءة الرسالة.

(١) نفسه: ٢/١: ١٧٩.
(٢) ينظر: رسائل ابن حزم: ٢/١: ١٧٩.
(٣) ينظر: نفسه: ٢/١: ١٨٢-١٨٣.

الف[illegible]

❖ المُرسِل والمُرسَل إليه في رسائل ابن حزم

❖ المبحث الأول: المُرسِل في رسائل ابن حزم

❖ المبحث الثاني: المُرسَل إليه في رسائل ابن حزم

المبحث الأول

المُرسِل في رسائل ابن حزم

أولاً: المُرسِل المفهوم والوظيفة

هو مصدر الخطاب والباعث الاول لأنشائه[1]، وهو المنتج، أو المخاطِب، أو الباث الذي يقوم بإنشاء الرسالة، ويمثل الدور الرئيس أو المركز في عملية الاتصال، والذي يمتلك القدرة على نقل الأفكار في أشكال وطرائق متنوعة وبوسائل أسلوبية متعددة تكشف عن نمط تفكيره، فهناك توحد تام بين الأسلوب وصاحبه، ومع أنّ الأسلوب يتمثل في النص إلاّ أنّ المُرسِل محكوم به[2]، والمُرسِلُ هو مصدر المعلومات المرسلة وقد يكون فرداً يتكلّم، أو يكتب، أو ينشر، أو أفراداً أو مؤسسةً إعلامية تمتلك محطات للإذاعة أو التلفزيون، ولكن غالباً ما يكون الإنسان هو الممول والمجهز للمعلومات[3].

ترتبط عملية إنتاج الرسالة بالمنتج أي مجموعة العمليات الذهنية والفيزيائية عند إنتاج الرسالة وكذلك يرتبط به الأسلوب الذي هو قوام الكشف عن نمط التفكير عند صاحبه، ذلك أنّ النص ((الرسالة)) معانٍ مرتبة في ذهنه قبل أنْ يُكوّن ألفاظاً متسقة يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم[4].

ويشغل المُرسِل موقع الريادة في المشاركة بالعملية التواصلية، فهو تارة المُرسِل وتارة أخرى المتلقي، فنحن نرسل رسائل عندما نكتب أو نتبسّم كما أنّنا نستقبل رسائل أيضاً عندما ننصت أو نقرأ جريدة، أو نشم رائحة ... إذن، فبقدر ما نُرسِل رسائل نستقبل أخر[5].

قال 'كوفمان' إنّ التواصل نشاط اجتماعي، فهذا يفرض وجود المُرسِل والمتلقي في كل مسار تواصلي، والمتلقي قد يكون خزيناً، وقد يكون متضمناً في حسبان المُرسِل،

(1) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الطاهر بن حسين بومزبر: ٣٩.

(2) ينظر: الاسلوب والاسلوبية، عبد السلام المسدي: ١٧، والأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، عمان ـــــ الاردن ـــــ دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ : ١٢٨.

(3) وسائل الاتصال الجماهيري، د. جبار العبيدي، د. فلاح كاظم : ٣١.

(4) ينظر: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية، د. أحمد الشايب، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦: ٤٠.

(5) ينظر: الاتصال الفعّال في العلاقات الانسانية والإدارة، مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٠: ٢٦.

إذ كلما أراد المرسل بناء خطابه الذي سيتوجه به إلى المتلقي كلّما وضع في حسبانه استعدادات هذا الأخير الذهنية والنفسية[1].

إنّ المتلقي بهذا المعنى بمثابة مراقب ضمني، وهذا ما يجعل المُرسِل حريصاً على انتقاء الألفاظ الملائمة، وأنّ حضور المُرسِل أيضاً مسألة ضرورية بالنسبة للمتلقي، ففي الوقت الذي يقوم فيه المتلقي بفك شفرات ورموز الرسالة التي استقبلها، وانطلاقاً من تخميناته، وتوقعاته يختار العبارات الملائمة لها[2].

ومن ذلك تتضح لنا أهمية وجود المُرسِل في عملية التواصل، أي أنّ الرسالة أمر يشترك فيه المُرسِل، والمتلقي إذ يقومان بدورين متكاملين متزامنين في الوقت نفسه.

ويعد المُرسِل الطرف الأول في عملية التوصيل كما أشرتُ إلى ذلك من قبل. وأطلق النقاد والباحثون عليه عدة تسميات – كما ذكرها جاكبسون ومنها:

المُرسِل[3]: إذ ترجمها الباحثون العرب بما يمكن أن يُعدّ مصطلحاً وهو بالإنكليزية (sender) ويقابله في اللغة الفرنسية المصطلح (destinateur) ويعد جاكبسون المُرسِل من العوامل الاساسية للتواصل[4].

ونلحظ تعدد تسميات المرسل إذ أطلقت على المُرسِل أسماء:

١. الباث[5]: ((هو من يبث أو يرسل وهو الذي ينتج الرسائل وفي الاغلب يمكن ان يكون المُرسِل مستقبلاً للرسائل أو مُرسَل إليه))[6].

٢. المتكلم[7]: ((هو الذي يستعمل اللغة فعلاً))[8].

---

(١) ينظر: المحاورة ومقاربة تداولية: ٣٢.

(٢) ينظر: نفسه: ٣٣.

(٣) ينظر: قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣: ١٠ او١٢.

(٤) ينظر: وقضايا الشعرية: ٢٧، والخطيئة والتكفير (الغذامي): ٧.

(٥) ينظر: اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي: ١٤٣، وقاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: ترجمة: السيد إمام: ٤٩.

(٦) معجم النقد الادبي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري: ١٦٣.

(٧) ينظر: الاسلوب والاسلوبية، (منذر عياشي): ١٠٨.

(٨) معجم النقد الادبي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري: ١٦٤.

٣. المُخاطِب[١]

٤. المتحدث[٢]

٥. المُوجِّه، المصدر، المُؤتي[٣]

وحين نمحص في التسميات نجد أنّ الدكتور صلاح فضل استعمل تسميتين مختلفتين للدلالة على هذا العنصر من عناصر نظرية التوصيل عند جاكبسون التسمية الأولى (المُرسِل)[٤]، أو استعمل بعد ذلك في مؤلّف من مؤلفاته تسمية (المُتكلِّم)[٥].

من خلال الوقوف على مخطط جاكبسون ودراسته وتمحيص ما فيه من تأكيد أطراف العملية التواصلية نجد أنّه قد وضع لكل عنصر من عناصر التوصيل وظيفة خاصة به تختلف عن سواه من العناصر الأولى داخل المخطط.

ويشغل المُرسِل الوظيفة الأولى في عملية التوصيل وقد أُطلق على هذه الوظيفة عدة تسميات في النقد الحديث منها:

١. الانفعالية[٦] Emotive Function: وقد استعمل هذه التسمية بوهلر١٩٣٤ وجاكبسون١٩٦٠[٧].

٢. التعبيرية Expressive Function: يتضح من خلالها المُخاطِب (المُرسِل المتكلم) حيث يبوح عن مشاعره ويعبر عن افكاره ويستعمل اللغة للتعبير عن احساسه واغراضه ويُبين عنها، وعند تبادل الادوار يصبح المُخاطَب مُخاطِباً ويعبر هو الاخر عن شعوره وما يدور في خَلَده من افكار[٨].

---

(١) ينظر: استقبال النص عند العرب، محمد رضا مبارك ومدارات نقدية، فاضل ثامر: ٢٢٠-٢٦١.

(٢) ينظر: قضايا شعرية: ٣٠ و معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، ترجمة: محمد عناني: ٣٦.

(٣) ينظر: نظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري: ١٠٨ – ١١١ .

(٤) ينظر: النظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة ــــــ بغداد، ط٣، ١٩٨٧: ٣٨٥.

(٥) ينظر: علم الاسلوب، د. صلاح فضل: ١١٧.

(٦) ينظر: نظرية المتلقي وتطبيقات، بشرى موسى صالح: ١٤٠.

(٧) ينظر: قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة السيد إمام: ٦٤.

(٨) ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦: ٣٦.

التعبير: ((هو احد مستويين لأي نظام سيميوطيقي الـ "كيف" التي يصبح بها الشيء دالاً، في مقابل الـ "ماذا" التي تمثل المدلول، والتعبير يستخدم في السرد ويكون مساوياً للخطاب في مقابل القصة))[1].

استعمل النقاد مصطلحات أخرى درج استعمالها بين الباحثين العرب للدلالة على الوظيفة التي يقوم بها المُرسِل في نظرية التوصيل منها: التأثرية، والعاطفية[2].

وقد اعتاد النقاد على تسمية وظيفة المرسل بالتسمية الأكثر تداولاً، وهي التي شاع استعمالها أكثر من غيرها وهي(الانفعالية)، ووظيفة المُرسِل الانفعالية تتجلى في رسالته إذ يحاول أن ينقل لنا تجربته التي خاضها مثلونة بإحساس، وأفكار، وانطباعات، فهو يعبِّر عن شعوره وانفعاله وذاته[3] أو يتم التعبير عن هذا على المستوى اللغوي باستعمال حروف تعجب أو ضمائر عناصر لغوية تعبِّر عن حضور الشخص الناطق وتأكيدات وأحكام، أو خلال التطويل أو المفاجاة [4].

والمُرسِل بطبيعة الحال هو الطرف الذي يتولَّى مهمَّة توجيه مجموعة من العلاقات المحمَّلة بمعانٍ محددة بقصد إثارة رد فعل معين لدى طرف خارجي (المخاطب)[5] وهو أيضاً مصدر الرسالة ويكون إمَّا شخصاً، أو جماعة، أو جهازاً، وقد يكون مرسلاً ومتلقياً في الآن نفسه كما هي الحالة في الخطاب الداخلي (Monologue). وأثر المرسل بهذا المعنى تسنين (Le codage) في داخل نسق في الإنساق التواصلية على وفق قواعد كل مجموعة إنسانية ومن ثَمَّ فالمرسل: هو محور التواصل إذ يرتكز دور الكلام على الذات المرسلة لتحديد نوعية التواصل – والمرسل هو الذي يوجه العملية التواصلية، ومن ثَمَّ فهو الأساس فيها[6].

---

(1) ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي: ٩٤.

(2) ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة ، محمد عناني: ٣٦ ، ونظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري: ١١٤–١١٥. ١١٥.

(3) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الادبي الحديث، سحر الشجيري: ١١٥-١١٦.

(4) ينظر: مدخل الى التحليل البنيوي للنصوص: ٢٠–٢١.

(5) ينظر: الاتصال الفعال في العلاقات الانسانية والإدارة، مصطفى حجازي: ٢٦.

(6) ينظر: اللسانيات والتواصل، مجلة فكر ونقد، ع ٣٦: ١٢٠.

ونجد أنّ أثر المرسِل لا ينحصر في مجرد النقل مثل الآلة، بل ((إنّ النقل الذي يمارسه المرسِل في الأقل نقلان اثنان: أحدهما صريح يتعلّق بالمعاني الظاهرة والحقيقية المستقلة عن مقامات الكلام، والثاني ضمني: يتعلّق بالمعاني المضمرة والمجازية غير المستقلة عن المقامات))[1].

وهناك وظيفة طيّعة متمازجة بين حالتين أولاهما معنوية ترتبط بمعاني ما يُرسل من ضمن رسائل خطابية، أو كتابية تمثّل رسائل كلامية مهما كان نوع الكلام أو جنسه مكتوباً كان أم مسموعاً، فهو مرتبط بمعاني نصوص المرسِل، لذا فالمرسِل يُخرج بها عن النسق المتغيّر؛ لأنّ كثيراً من المعاني ولدلالاتها اللّغوية، أو التي ترتبط بها تكون أقرب إلى الثبات، أمّا ما يحتمل أنْ يكون متغيّراً نسبياً، فهو ما تتضمنه تلك المقولات، أو ما يمكن أنْ نسمّيها الرسائل بحسب ما تصل بها من معانٍ مجازيةٍ، أو صور مُضمرة في ذهن المتلقي؛ لأنّها تشكّل الخزين المعرفي لكل مستقبل للنص (الرسالة)، ومن هنا جاء التغيير؛ لأنّ المتلقي متفاوت بحسب الثقافة، أو المعرفة التي يحصل عليها كل متلقٍ يتلقى النص، وكذلك حال المعاني المتغيّرة – يقصد المعاني المجازية- لأنّها متفاوتة أيضاً إذ ان الفهم عند الكثير، وإذا صحّ ذلك ظهرت صحة ما ورد في النص من أنّ دور المرسِل لا يكون مجرّد ناقل لرسائل مختلفة[2].

إنّ للمرسل علاقة وثيقة مع بقية عناصر النظرية ـــــــ مثلاً ـــــــ يرتبط المُرسِل بـــ(المُرسَل إليه، والرسالة، والشفرة، والسياق، وقناة الاتصال)، ولهذه الصلات أثر بعيد المدى في تحديد طبيعة عملية التوصيل ونجاحها أو فشلها[3].

ومن أولى هذه الصلات هي علاقة المُرسِل بالمُرسَل إليه أي علاقة المبدع بالمتلقي وشهدت هذه العلاقة تحولات كبيرة إذ كان التصور ما قبل البنيوي يقدّم لنا سلطة المبدع قوية فهو متعالٍ على النص والمتلقي معاً، والمبدع هو صاحب النص أمّا

---

(1) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1998: 216.

(2) ينظر: نفسه: 217.

(3) ينظر: نظرية التوصيل: 118.

المتلقي فليس سوى مستهلك وما عليه سوى التوصل إلى معنى للمبدع المتواري وراء النص[1].

وبعد ما جاءت البنيوية أصبح للنص هو الأول والأخير إذ تقوم البنيوية على تحليل العلاقات بين الأشياء لا الأشياء نفسها حتى إنّ بعض الأدباء والنقاد الأوربيين المهتمين بالدراسات البنيوية يرى أنّ: ((الأدب ليس فقط تجمعاً من الآثار المستقلة أو التي يؤثر بعضها على بعض نحو سلسلة من المصادفات المنفردة لكنه أيضاً جملة متماسكة، فسحة متجانسة تتلامس الآثار داخلها وتتنافذ، ثم إنه بدوره قطعة مترابطة بالأخرى في مدى أوسع، مدى الثقافة، إذ يجد قيمته بالقياس إلى الجملة الثقافية))[2].

قدّم لنا العهد الثقافي ما بعد البنيوية العناية لأمر المتلقي والعناية به من خلال نظرية القراءة والتلقي، والتلقي الأكثر سعة فسحة لحركة المتلقي[3]، ومن هنا جاء اهتمام النقاد بالمتلقي، وفهم أبرز ما عني به وهو ((اهتم بالتفاعل القائم بين المتلقي والنص وعوّل كثيراً على نتائج هذه العلاقة الخفية القائمة بصمت بين هذين الطرفين، إذ رأى أنّ من شأن علاقة كهذه أن تنتج نصاً مختلفاً عن النص الأصلي الذي وضعه المبدع))[4].

وعلى الرغم من اختلاف آراء النقاد في ارتباط المتلقي بالنص، ولكنهُ أمرٌ واضح؛ لأنّ أي مبدع حين يبدأ بكتابة نص، فإنّه سيرسم في ذهنه المتلقي ومدى استجابته للنص واندماجه في النص مع الانتباه إلى التفاوت بين أذهان القرّاء، ولكنّ التفاعل يتضح من خلال استعمال الأديب لأسلوبٍ قريب من المتلقي.

((ونستطيع القول بأن علاقة المُرسِل بالرسالة علاقة خَلْق وتكوين وتشكيل فالرسالة تولد بدءاً فكرة في ذهن المُرسِل وتصير هاجسه حتى تكتمل في ذهنه في حين

---

(١) ينظر: من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٥: ١١٨.

(٢) التحليل النقدي والجمالي للأدب، د. عناد غزوان، دار آفاق عربية، ط١، بغداد، ١٩٨٥: ٨٦.

(٣) ينظر: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، د. أمجد حميد التميمي، لبنان، ط١، ٢٠١٠: ٧٥-٧٦.

(٤) ينظر: نفسه: ٧٦.

موعد تحولها من ابداع ذهني الى ابداع مادي مرئيا ومسموع، اي يعطيها المُرسِل شكلها اللفظي فيصوغها بأسلوب ويشكلها بقدرته ومهارته))[1].

أمّا الشفرة (Code) فهي اللغة المتعارف عليها بين الكاتب، والقارئ[2] ترتبط بالمرسل وعلاقتها ائتلاف، وتسخير إذ يُسخِر المُرسِل الشفرة (اللغة) لتكون واسطته اللفظية التي يستعملها في توصيل آرائه، وأفكاره وانفعالاته، ومن خلال ذلك تكون قدرة الفرد على الاتصال تتوقف إلى حد كبير على حصيلته من المفردات، والتراكيب اللغوية[3].

ثانياً: فاعلية المُرسِل في رسائل ابن حزم.

١- الرسائل التاريخية (السيرية).

كانت الرسائل التاريخية (السيرية) أكثر عدداً وشيوعاً من بقية الرسائل إذ أولى لها ابن حزم اهتماماً كبيراً، ونجد أنّه دوّنَ أغلب أمور عصره والعصر الذي قبله، وكان أغلبها حول خلفاء الأندلس، وأمرائهم فيذكر ألقابهم، وأسماء أمهاتهم وزوجاتهم أي انسابهم مفتخراً بهم أيّما افتخار، موضحاً كيفية توليهم للخلافة.

مثال على ذلك ما قاله في رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء إذ قال أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء (رضي الله عنهم): ١.الراشدون ٢.العباسيون ٣.الامويون بالمشرق ٤.الامويون في الاندلس ٥. ومن بني علي (رضي اللهُ عنه) ٦. ومن الأدعياء إليهم[4].

مما تقدّم يتضح لنا إنه اخبرنا عن خلفاء الذين حكموا الدولة الإسلامية أنّ المُرسِل هو ابن حزم كان يدون أسماء الخلفاء ويصفهم حسب الحقبة الزمنية، أي مدّة توليهم للخلافة.

ضمن الرسائل التاريخية (السيرية)، هي (تَوَكّي الخلفاء) فهو يذكرهم قائلاً: ((من بني العباس: الأمين (بن زبيدة)، المعتمد، القاهر، المستكفي، ومن بني أمية: المستكفي،

(١) نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، عبد الناصر حسن محمد: ٨.

(٢) ينظر: نفسه: ٨.

(٣) ينظر: الاتصال، د. احمد ابو زايد، عالم الفكر، م١١ ، ع٣ ، ١٩٨٠م : ٥، نقلا عن: نظرية التوصيل: ١٢٠.

(٤) رسائل ابن حزم: ٢/١ ٤٠-٥٠.

إلا أنّ القاهر من هؤلاء كان ثوكه ممزوجاً بسلاطة، وما كان هشام المؤيد بدونهم إلّا أنّه كان متمسكاً لا يؤذي أحداً، ولا يمنع أحداً من أنّ يؤذى. وكان أبعدهم من كل خير، وأجمعهم لكل خلة سوء المستكفي والمستكفي))[1]، والمُرسِل هنا أيضاً ابن حزم إذ يذكر (نَوكَى الخلفاء) ويقول النوكه هو القاهر من الخلفاء، أي الخليفة المتسلّط.

ما يلفت انتباه للمُرسَل إليه هنا هو كيف أطلق عليهم هذه التسمية التي تميل إلى الغرابة، وتحققت مهمة المُرسِل الذي يعد أول عناصر نظرية التوصيل ومهمتُه التوصيلية التي تجعل من عناصر الاتصال جميعها متوافرة في تلك النص لما تحملهُ الكلمة من غرابة، ودقة تصوير لحالة الخلفاء النَوكَى.

يذكر أيضاً ابن حزم في الرسائل التاريخية السيرية سيرة هؤلاء الخلفاء الذين حصلوا على الخلافة من دون تعب أو عناء في رسالته: ((ذوو السعد منهم (أريد بذلك من سعد منهم بغير استحقاق، ولا تعب ولا عناء: السفاح، والمتوكل))[2].

ذكر في بعض رسائله عن الخلفاء (من غلب عن موضع خلافته): إذ يذكر الخلفاء الذين بويع لهم بالخلافة ولم يأتوا إلى موضع خلافتهم إلاّ بعد مدة طويلة، ومنهم "المأمون" بويع له ببغداد ولم يدخلها إلى (نحو من) عشرين شهراً المعتدّ بويع له بقرطبة، ولم يدخلها على (نحو) ثلاثة أعوام))[3].

بعد ذلك يذكر ابن حزم رسالة في من تسمّى بالخلافة من غير قريش (من غير الخوارج) فذكر منهم: ((محمد بن الفتح المعروف بواسول بن ميمون، المعروف بالأمير ابن مدرار صاحب سجلماسة وكان غاية في إظهار العدل، وتسمى الشاكر لله وإليه تنسب المثاقيل الشاكرية، وذلك سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، ثم أسره جوهر قائد أبي تميم، وحمله على المهدية وبقي بسجلماسة ابنه يخطب لأبيه على أن مات، وقد أنكر بعض أهل العلم بالخبر قصة محمد بن الفتح هذا، وقال: إنه كان صفرياً من الخوارج وهذا خطأ، وإنما أتي في هذه من قبل أن آباءه كانوا صفرية، وأما هو فسني مالكي المذهب مشهور بذلك، طلب الفقه بالأندلس وحضر غزوة الخندق، عبد الرحمن بن

(1) نفسه: 2/1: 72.

(2) رسائل ابن حزم: 2/1: 76.

(3) نفسه: 2/1: 77.

محمد بن أبي عامر: تسمى بالخلافة يوماً واحداً في غزاته الشتوية، وخرقا ثيابه طرباً إذ سمع النداء بذلك، ثم بدا له فترك ذلك، وهذا أحمق ما سمعت))[1].

عبارة ((أحمق ما سمعت)) التي أقرَّ بها ابن حزم لما سمعة عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر، تدل على شخصية المُرسِل في هذه الرسالة لما نتلمس وجوده أثناء الرسالة حاضراً مهيمناً في توجيه ما ظهر منها وما بطن في عباراتها، وذكر ابن حزم خبر: ((خليفتان تصالحا: وهو أمرٌ لم يسمع في الدنيا بأشنع منه، ولا بأدلُّ على إدبار الأمور يحيى بقرطبة، والقاسم بإشبيلية))[2].

يتضح لنا من ذلك تعبير بصفة مباشرة عن موقف المتكلِّم اتجاه ما يتحدث عنه، وهو تقديم انطباع عن انفعال معين، وقد نص عليه جاكبسون في قضايا الشعرية حينما يتحدث عن الوظيفة الشعرية[3].

يتجسَّد ذلك في هذه النصوص النثرية التاريخية التي يهدف ابن حزم إيصالها إلى المتلقي، إذ إنّ خطابه كان يتميز بالتراسل والسهولة والطلاقة، إذ إنَّه يعمد إلى استعمال العبارات الواضحة.

من رسائله التاريخية (رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها)[4] على الرغم مما لحق به من الأذى وتركه الأندلس بسبب معارضته لبعض رجال السلطة جاء هنا ينوه ويذكر فضل الاندلس ويفتخر برجالها، لأنَّه مهما جرى عليه تبقى الأندلس هي تربته ومنبع حياته، وفيها يقول: ((إنّ علماء بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكُّم على وجوه المعارف، فإنّ هممهم قد قصرت عن تخليد مآثرهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم ...))[5].

كذلك صوَّر ابن حزم بعض المدن ومن تلك بغداد والبصرة التي جاء على ذكرها، فصوَّرها بأبهى صورة .يقول: ((وهذه بغداد حاضرةُ الدنيا، ومعدن كل فضيلة، والمحلّة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق

(1) نفسه: ٢/١ :٨٥.

(2) نفسه: ٢/١ : ٩٢ .

(3) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٨.

(4) رسائل ابن حزم: ٢/١ :١٧٠.

(5) نفسه: ٢/١ :١٧١.

والنباهة والذكاء وحِدّة الأفكار ونفاذ الخواطر، وهذه البصرة وهي عين المعمورة))[1]، ومن خلال هذه الرسالة ذكر ابن حزم مكانة بغداد والبصرة، وفخامة حضارتها وما يجب أن يكتب عنها.

٢- الرسائل الوجدانية .

لمّا دققتُ النظر في طوق الحمامة وهو مجموع رسائله وما كتبه ابن حزم في الألفة والأُلاّف وجدتُ أنّه قد كثُرت موضوعاتها وتعددت، حمّلها ما عاشه من تجربة، أو ما رآه وسمعه، وبدا لي جليّاً أنّه كان مُرسِلاً مهيمناً في رسائله الوجدانية وغيرها، فقد أضمر كثيراً ظهوره بوصفه مُرسِلاً حاضراً في نصوص رسائله وعباراته، التي كانت تدل على دقّة تخيّره لتلك الألفاظ.

ونبتدئ من حيث بدأ ابن حزم برسالته التي يُلتَمسُ منها وضوح الطابع الوجداني (العاطفي)، على أنّه حين كتب ما في طوق الحمامة من رسائل كتبها، وهو على عجل، مُوْجِزاً ما أراد من قول في رسائل خفية تدل على أنّه أراد تلبيته من شعور ملم ورغبة طارئة[2].

وحين التمعن في طوق الحمامة نجد أنّ الظاهر في رسائل صديقه الأثير المجلب، ولكن ذلك لا يَبْعدُ معه أنْ يكون هذا الصديق رمزاً أراد منه بثّ رسائله إلى متلقيه على اختلاف ثقافاتهم، وتباين مداركهم وأفكارهم.

بعد ذلك يذكر ابن حزم أنّ صديقه كلفه بتصنيف الرسالة في وصف الحبّ ومعانيه وأسبابه وأغراضه، وما يقع فيه وله، مشيراً إلى أنّ الوصف يكون واقعاً حقيقياً لا متزايداً ولا مفتناً[3]، وذكر أيضاً موطن صديقه من مدينة المريّة وابن حزم يسكن بحضرة شاطبة، فحدّثه عن الود الذي كان بينهما والنشأة والمحبة والحبّ[4].

إذ جعل ابن حزم من العلم الصادق، والرواية الواثقة سبيله لمعالجة ما يعرض له، أي نقل الحقائق الواقعية مبتعداً في ذلك عن الظنون والخيالات والأساطير، ويعد ابن

---

(١) نفسه: ١/٢ :١٢٦ .

(٢) ينظر: دراسة الحب في الأدب العربي، د. مصطفى عبد الواحد، دار المعارف، مصر ــــــ القاهرة ، (د.ت): ١٢٧.

(٣) ينظر رسائل ابن حزم: ١/٢ :٨٦ .

(٤) ينظر: دراسة الحب في الأدب العربي: ٢/٢٣٧ .

حزم أول أديب يعرض لدراسة العاطفة العذرية من دون أن يلقي بالاً للأخبار الحاشدة عن عشاق العرب وأقاويل شعرائهم، ولا يعول إلاّ على تجاربه ومشاهداته، وما أخبر الثقة مما يتأكد له وقوعه[1].

كما ورد في رسالة طوق الحمامة، إذ قال بعد ابتدائه بحمد الله عز وجلّ والصلاة على نبينا محمد عبده ورسوله: ((فإنّ كتابك وردني من مدينة المريّة[2] على مسكني بحضرة شاطبه، تذكر من حُسن حالكَ ما يسرُّني، وحمدتُ الله عز وجل عليه واستزدته فيك، ثم لم ألبث أن اطلع على شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد المشقة وتنائي وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق، ودون هذا ما سلّى المشتاق، ونسّى الذاكر إلا من تمسك بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة ووكيد المودات وحق النشأة، ومحبة الصبا، وكانت مودته لله تعالى))[3].

من خلال نص الرسالة الذي جاء في كتاب طوق الحمامة، وكتاب رسائل ابن حزم نجد وضوح شخصية المُرسِل الصديق ومدى معاناتهِ وتحمّله عناء السفر والمشقةَ إلى موطن ابن حزم، وعلى الرغم من كل ذلك فإنّ المتكلّم الظاهر للمتلقي أنّه شخص غير ابن حزم وهو صديقه، وأرى أنّه وظّف تلك الشخصية التي لا يبعد أن يكون وجودها حقيقياً ليكون صاحب القصد من ورائها الواضح للعيان هو ابن حزم ولكن يذكر صديقهُ كرمز يتخفّى فيه عن الأنظار إذن ما نجدُ أحق بشخصية (المُرسِل) هو نفسه ابن حزم.

إنّ افتتاح ابن حزم بالكلام في ماهية الحبّ، حتى بدا يسترسل في الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين وهذا يوضّح لنا شيئاً واحداً ألا وهو (المُرسِل) إذ ذكر قائلاً: ((الحب – أعزك الله – أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة))[4]، وبعد ذلك بدأ يذكر ما أحب الخلفاء بقوله: ((وقد أحب الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير))[5]، ومن ثمّ توّصل ابن حزم إلى معرفة ماهية

---

(1) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي: ٢/٢٢٨، ورسائل ابن حزم: ١/١: ٨٤.
(2) للاستزادة ينظر: رسائل ابن حزم: ١/١ : ٨٧ .
(3) رسائل ابن حزم: ١/١: مقدمة المحقق: ٨٩.
(4) نفسه: ١/١ : ٩٠.
(5) نفسه: ١/١ : ٩٠–٩١ .

الحب وقد اطلع على آراء الناس إذ قال: ((إنّه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع))[1].

نرى كثرة ما يتخلّل الرسائل من شعر ربط أكثره بما كان يجول في خاطره ونفسه ، ولم يكن يورد لغيره شيئاً إلاّ مضطراً في مواضع قليلة، وعلى الرغم من صراحته وجرأته نجده في بعض الأحيان يتعثّر في أذيال الحياء، وهو يعرض لموضوع الحب[2]، فالحبّ عنده اتفاق في الصفات وليس في الأشكال والهيئات، فيخالف في ذلك ابن داود في فكرته عن الحب بقوله: هو التشاكل والاتصال ويحصل (في هذهِ الخليقة)، فهو يراها كأنّها كرة مقسومة[3] يصل إلى أنّه لم يأت((اثنان يتحابان، إلا وبينهما مشاكلة، واتفاق الصفات الطبيعية، لابد من هذا وإن قل، وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكّدت المودة))[4].

وتجلّى أسلوبه باتجاهه إلى الترسّل وتحرره من الالتزام بالسجع، فهو يعمد إلى البساطة والبعد عن التكلف، والعناء وإنْ وجد السجع عنده ففقراته قليلة ومحتمل قد جاء بها للطرفة والحلية، ولثبات قدرته في هذا المجال[5].

نجده يقول في باب علامات الحُبِّ: ((فأولها إدمانُ النظر، والعين باب النفس الشارع)) يجب أنْ تخرج من الرسائل وقوله شعراً[6]:

[من الطويل]

فليـــــــــس لعينـــــــي

عنـــــد غيـــــرك

موقـــــــــــفُ

كأنّــــــــك مــــــا يحكمون من

(1) نفسه: 1/1: 93.

(2) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي: 229 .

(3) ينظر: مظاهر التحضر في شعر الغزل الأندلسي من عصر الخلافة حتى نهاية عصر الطوائف، عدنان رحمن حسان القريشي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2009 : 108.

(4) طوق الحمامة في الألفة والأُلاّف، ابن حزم الأندلسي، ط2، ترجمة: د. طاهر مكي، دار الهلال،1994: 96

(5) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي: 2 : 196.

(6) رسائل ابن حزم الأندلسي، 1/1 : 102.

حَجَر البَهَـــــــــت[1]

أصرفهـــــــــــا

حيـــــــــث التصــــــــــرفت

وكيفمـــــــــــــــــا

تقلبـــــــت كالمنعـــــــوت

فـــــــــي النحـــــــو

والنعـــــــــت

ممّا تقدم يتضح أنَّ شخصية ابن حزم قد وضحت في هذه الأبيات بوصفه علامات الحب، وكأنّه يصف حاله وهو متيم بمحبوبته، ونستطيع أيضاً أنْ نطلق عليه أنّه المُرسِل في أكثر الأحيان.

كأنه ما طرأ عليه من معاناة في الحب، ومن خلال الغوص في طيات رسالة طوق الحمامة تتضح شخصية ابن حزم فيها بجلاء وجود شخصية ابن حزم بوصفها عنصراً مهيمناً في الرسالة إذ يأخذ دور الريادة في كافة أبواب رسالة طوق الحمامة.

من خلال هذا فإنّه يروي ما أخبره به بعض الأصدقاء، أو العشاق، والمعجبين من أمورٍ صعبت عليهم تخطيها، ومثال ذلك ما قاله في (باب مَنْ أحب في النوم) وهو ثالث بابٍ من أبواب الرسالة، ولربما لأهميتهِ ولربما كان السبب في ذلك كثرة دورانه بين الشعراء أو نقل لأهميته عندهم قدّمه على غيره يقول: ((ولابد لكل حبّ من سبب يكون له أصلاً ... فمن أسبابه شيء لولا أنّي شاهدته لم أذكره لغرابته))[2].

بعد ذلك يجري في عرض تلك الأسباب على الترقي في مراتبها، إذ ذكر الأبعد والأهون، ويلي ذلك الأقوى والأشهر، فيبدأ بسبب لولا أنّه شاهده لم يذكره لغرابته، فقد دخل يوماً على أبي السري عمّار بن زياد مولى المؤيد فوجده مفكراً مهتماً، فسأله عما به، فتمنّع ساعة ثم قال: لي أعجوبة ما سمعت قط، فحكى له أنّه رأى في نومه جارية

(1) البهت: حجر يوجد في ساحل المحيط الاطلسي (بحر الظلمات) وهو مشهور عند اهل المغرب الاقصى، ويباع الحجر منه بقيمة جيدة لاسيما في بلاد لمتونة، وهم يحكون عن هذا الحجر ان من امسكه وسار الى حاجة قضيت له بلوغ غاية، وهو جيد عندهم في عقد الالسنة على زعمهم (الادريسي: صفة المغرب وارض السودان، تحقيق دوزي ودي خويه، ليدن ١٩٦٩: ٢٨-٢٩، وينظر رسائل ابن حزم: ١/١: ١٠٣.

(2) رسائل ابن حزم: ١/١: ١١٥، وينظر: طوق الحمامة: ١٩.

فاستيقظ وقد ذهب قلبه فيها وهلم بها، وبقي على هذه الحالة أياماً طوال أكثر من شهر مغموماً مهموماً لا يهنئه شيء إلى أن نصحه ابن حزم أن لا يشغل نفسه بوهم؛ لأنَّ الوهم هو شيء معدوم غير حقيقي[1].

ذكر ابن حزم أنَّ بعضاً من حديث النفس وأضغاثها وهو داخل في باب التمني وتخيل الفكر[2]، ومع أنَّ هذا الباب من النوادر وليس ممّا يشيع بين الناس أو ممّا يؤثر، إلاّ أنّه اهتمّ به؛ لأنّه رأى فيه حدثاً واقعياً، وتجربة مرّ بها شخص ما في ذلك العصر، فكان أن استحقت الذكر عنده.

أمّا السبب الطبيعي لنشوء عاطفية النظر، إذ خلال هذه النظرة ينشأ (الاستحسان والميل وهو سبب وقوع الحب، فيبدأ بأضعف أحواله، وهي وقوعه من نظرة واحدة[3]، وفيه قال: ((إنَّ من أحب من نظرة واحدة وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة، فهو دليل على قلّة الصبر ومخبر بسرعة السلو، وشاهد الظرافة والملل، وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نموّاً أسرعها فناءً، وأبطؤها حدوثاً أبطؤها نفاذاً))[4]، إذ يرى المُرسِل (ابن حزم) إن الحب من نظرة واحدة هو اسرع فناءً، كما ان ابطؤه حدوثا ابطؤه نفاذاً.

والذي يراه دائماً ثابتاً لا يحيك فيه مر الليل، فهو الذي يقع بعد طول المخافة وكثير المشاهدة، أي أنَّ ما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً، وخير دليل على ذلك أنَّ الحبَّ بمثابة رسالة تتمركز فيها كل عناصر الاتصال هو حديثه عن ماهية الحب، فالحب فيما يراه اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلوي، فإنَّ مغزى ذلك القول أنَّ الحب حقيقة ثابتة لا تكتسب بطول اللقاء ولا يزيدها الوداد ولا ينقصها الجفاء[5].

والدليل على ذلك أنَّ ابن حزم يعد مرسلاً مهيمناً في باب من أحب من نظرة واحدة بما ضمّنه من رسالة في نص كلامه الآتي: ((ولولا أني لم أقصد في رسالتي هذه كشفَ الحيل وذكر المكايد لأوردت مما صحّ عندي أشياء تحيّرُ اللبيب وتُذهلُ العاقل،

---

(1) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي، ١/٢ : ٢٤٢.

(2) ينظر: طوق الحمامة : ٢٠.

(3) ينظر: دراسة الحُبّ في الأدب العربي:٢/ ٢٤٣ – ٢٤٤.

(4) طوق الحمامة : ٢١.

(5) ينظر: دراسة في الحب:٢/ ٢٤٤.

أسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين بمنّه، وكفانا))[1]، وفيه نجد وضوح الجانب الشعوري الذاتي، إذ كان يروم فيه إبداء صفاته وحديثه عن نفسه، وأخلاقه طيات الرسالة حديثه عن نفسه ولخلاقه وطباعه وبعضها حديث عن تجاربه وآرائه، واعتراف بمواقف وحكاية لأحداث[2]، وهذا مما دل على عيشهِ في ترف بين الملوك والنساء مُذْ كان صغيراً إذ تعرف بذلك على أسرار الملوك قصص الذوات التي لم يكن أحد يعلمها من أبناء الأندلس، فأخذ يرويها متوهاً ومبيناً بانه قد شاهد، أو سمع بنفسه من صاحب هذا الحدث يكتب رسائل قد وقعت أكثر ما وقعت في بيت الإمارة أ أو أحد بيوت أهالي الأندلس الأثرياء.

٢- الرسائل الاجتماعية:

وهذه الرسائل عدة وفي بعضٍ منها شيء من الغرابة، أو أنّه غير مألوف ومن هذه الرسائل من غرائب المناكح[3]:

١. امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء: عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها الوليد، وهشام، ومروان بن محمد.

٢. رجل تزوج بناته أربعة خلفاء[4]: عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان تزوج بناته الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

٣. منيحة العربية: تزوجها يعقوب بن الليث ثم اخوه عمرو بن الليث.

تعد هذه الرسالة من الأخبار الاجتماعية التي نقلها ابن حزم لذكر شيء من الأمور التي ربما لا يعرفها الناس.

فيعد المُرسِل وهو ابن حزم أول العوامل التي ساعدت على وصول مثل هذهِ الامور الاجتماعية المتخفية بين طيات الكتب والتي اطلق عليها ابن حزم (بالغرائب) أي غير موجود والتي لا يوجد لها مثيل، وطريقة ايصاله واضحة تتميز بالسهولة والسلاسة مراعياً بذلك المستوى الثقافي للمُرسَل إليه.

---

(١) رسائل ابن حزم: ١/١ : ١٢٣ .

(٢) ينظر: دراسة في الحب :٢/ ٢٦٠.

(٣) رسائل ابن حزم: ١/٢ : ٦٨.

(٤) ذكر ذلك ابن الجوزي في المدهش: ٦٣.

بعد ذلك يذكر عدة رسائل أخرى فيها حدث اجتماعي منها ((أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها: ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد، وادعى أنه هو، فبويع له، وخُطب له على جميع منابر الاندلس في أوقات شتى وسفكت الدماء، وتصادمت الجيوش في أمره))[1]، ولعلّه أراد من ذكر هذا الأمر أنّه ابن حزم اراد ذكر امر لم يتكرر في الدهر هو ادعاء شخص، أو تقمصه شخصية خليفة مات منذ سنين، وبعد ذلك بايعوه، مع غرابة الهم صدقوه وبماذا استندوا حتى بايعوه على انه الخليفة هشام، وكان ثمن ذلك سفك دماء وحروب وقتل كثير من الأبرياء.

ذكر في رسالةٍ أخرى كان عنوانها: ((فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها): ((أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يتسمى بإمرة امير المؤمنين ويُخطبُ لهم في زمن واحد، وهم: خلف الحصري بإشبيلية على أنه هشام بن الحكم، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة [الخضراء]، ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود بمالقة، وإدريس بن يحيى بن علي بن حمود بببشتر))[2].

كان ابن حزم يذكر النساء ذوات الشخصيات المميزة التي طالما تكن لها الريادة والصدارة بين أفراد المجتمع وذلك بقولهِ ((امرأة قعدت للمظالم: ثمل القهرمانة: قعدت للحكم بين الناس بالمظالم، وحضر مجالسها القضاة والفقهاء))[3].

هناك رسائل اجتماعية مثل ((من مصائب الدنيا: أنّ القاضي يحيى بن أكثم قاضي القضاة ببغداد ولّى الديلميُّ محاسبته عما جرى على يديه من الأوقاف وغير ذلك صاعدَ بن ثابت النصراني الكاتب))[4].

٤-الرسائل الفقهية :

كان لابن حزم آراؤه الفقهية الخاصة به، وكان ذا مذهب ظاهري[5] إنّ اختيار ابن حزم للمنهج الظاهري معزى في نفسه، لأنه المذهب الذي يستمد من الكتاب والسنة

---

(١) رسائل ابن حزم: ١/٢: ٩٨.

(٢) نفسه: ٢/١: ٩٧.

(٣) نفسه: ٢/١: ١١٢.

(٤) رسائل ابن حزم: ٢/١ : ١١٢.

(٥) ينظر: ابن حزم حجة الوداع، تحقيق ممدوح حقي، (مقدمة المحقق): ٢٠، وعن الظاهرية في دائرة المعارف الاسلامية، محمد ثابت الفندي وآخرون، المجلد الخامس عشر، د.ت.

قوته منه، ولأنه كذلك لا يتكلف ولا يتساؤل بل يأخذ الألفاظ بظواهرها اللغوية، ولا يحاول تعليل الأحكام، ولا يستخرج العلل بل يأخذ المعنى الظاهري؛ ولذلك كان للظاهرية منهج خاص واتجاه معين نحو تلك المصادر العليا للإسلام يخالف منهاج غيرهم من العلماء والمجتهدين[١].

كان في الأندلس خلق كثير ينسبون إلى مذهبه يقال لهم الحزمية[٢]، ومما يظهر من الرسائل الفقهية مثالاً رسالته (في الرد على الهاتف من بعد)؛ وهي إحدى الرسائل الفقهية إذ يكون المُرسِل فيها الهاتف، ويوضِّح لنا الدكتور إحسان عباس بقوله: ((فإنَّ الهاتف من بعد امرؤ غاضب يعتمد الشتم والبذاءة أكثر مما يعتمد الاحتجاج))[٣].

يوجه هذا الهاتف إنْ صح القول اتهاماً لابن حزم قائلاً: ((أنائمٌ أنت أيها الرجل؟ بل مفتونٌ جاهل أو متجاهل))[٤]، وقد اعتنى ابن حزم بلفظة الهاتف حين وصفه بالجاهل المفتون ورأى في ذلك دلالة على الترفع من ابن حزم بما أُحيط به من قذف لاعتناقه مذهباً يعتني بظواهر الأمور، إذ ربّما تكون هذه بعض ما ضمنه في شخصية المرسِل بدليل أنّه عدّ هذا السبّ والشتم شيئاً من الهراء خبيث السريرة ضعيف العقل قليل التميز[٥].

٥- الرسائل العلمية:

عني ابن حزم بالجانب العلمي، فذكر كثيراً من الرسائل بهذا الصدد ومنها مؤلفات في الفقه[٦]، ومؤلفات في علوم القرآن[٧]، وفي اللغة والنحو[٨]، وفي الأخبار والتواريخ[١]، وفي الطب[٢]، والفلسفة[٣] والعدد والهندسة[٤].

---

(١) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد محمد علي محيي الدين التميمي المراكشي، (ت ٦٤٧هـ) الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، (د.ط)، ١٩٦٣: ٩٤.

(٢) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت٤٥٦ هـ)، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٤٥ هـ: ٩٣.

(٣) رسائل ابن حزم : ٣/٢ :٢٦.

(٤) نفسه: ٣/٢: ١٢١ .

(٥) ينظر: رسائل ابن حزم: ٢/ ٣ :٢٦.

(٦) نفسه: ٢/١ : ١٧٨.

(٧) نفسه: ٢/١: ١٧٨.

(٨) نفسه: ٢/١ : ١٨١ .

ومن هذه الرسائل رسالة في الشعر والشعراء، ومنها ((وهما ألف في الشعر[5]: كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار الشعراء الأندلس[6]، كتاب حسن، وكتاب الحدائق لأبي عمر أحمد بن فرج[7] عارض به كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود (رحمة الله تعالى)، إلا أنّ أبا بكر إنّما أدخل مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت، ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد، فبلغ الغاية، وأتى الكتاب فرداً في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب[8]، وهو حي بعد، ومما يتعلّق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي، وهو حسن جداً[9]))[10].

أمّا في رسالة الفلسفة فقد ذكر ابن حزم الأندلسي رسالته التي منها: ((وأمّا الفلسفة: فإنّي رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار، دالة على تمكنه من هذه الصناعة[11]، وأمّا رسائل أستاذنا أبي عبد

---

(1) نفسه: 2/1 : 183.

(2) نفسه: 2/1 : 185.

(3) نفسه: 2/1 : 186.

(4) نفسه: 2/1 : 186.

(5) لم يذكر هنا كتاب أشعار الخلفاء من بني أمية لعبد الله بن محمد بن مغيث وقد شيخه يوسف المعروف بابن الصفار. ينظر: الجذوة: 235: إذ ذكر قصة هذا الكتاب نقلاً عن ابن حزم.

(6) عبادة بن ماء السماء : ترجمة له في الجذوة : 274 والذخيرة : 1/1 : 468 لأبي حيّان الأندلسي في المقتبس، منقول عن كتاب عبادة. وكذلك نقل ابن سعيد في المغرب عن كتابه في طبقات الشعراء، ينظر المغرب: 115-125.

(7)الجذوة، ترجمة احمد بن فرج: 97، والصلة 1:42، والمغرب 2:56، والتيمية 1 : 398 وقلائد العقيان: 79، ولم يصلنا كتاب الحدائق ولكن الحميدي وابن الأبار في التكملة وابن سعيد في المغرب نقلوا عنه كثيراً .

(8) علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب: ترجمته في الجذوة : 29.

(9) الجذوة : 142.

(10) رسائل ابن حزم: 2/1 : 186-187.

(11) الجذوة، ترجمة سعيد بن فتحون السرقسطي: 216، وطبقات الأمم: 78 والذيل والتكملة: 40 وله تأليف في الموسيقى ورسالة في المدخل إلى علم الفلسفة سماها بشجرة الحكمة، رسالة في تعديل العلوم: منحة أيام المنصور بن أبي عامر فهاجر إلى صقلية وبها توفي.

الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة))[1].

يعد علم الفلسفة أهم العلوم الذي برع فيها ابن حزم الأندلسي، إذ علي كثيراً بشؤون هذا العلم؛ لأنّه كان فيلسوفاً متميزاً.

أمّا في الهندسة فقد صرّح ابن حزم تمكنه من هذا العلم وذلك من خلال الرسالة: ((وأمّا العدد والهندسة علم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ، ولا تحققنا به، فلسنا نثق بأنفسنا في تميز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا))[2].

بعدما تقدم فيما يخص هذه الرسائل العلمية، اتضح ان بن حزم كان له دور في نقل واستقصاء الرسائل العلمية بوصفه ملماً بتلك العلوم؛ لأنّه في كثير من هذه الرسائل يتعرّض لذكر حقيقة علمية، أو أنّه كان يقوم بإثبات ما جاءت به تلك العلوم وأصحابها في عصره، أو في عصر سبقه، ويعضد صحّة ما توصلت إليه الدراسة في ذكره رسائل تخص الشعر والشعراء والغدّ والهندسة كذلك، واهتم بالفلسفة التي تظهر اجتهاده وتفانيه فيه فنجد هيمنة واضحة لشخصه بوصفه مرسِلاً فيها، وهو أقرب إلى ذكر القضايا العلمية منه إلى التصرف بمفاهيم الرسائل التي كان يصوغ محتواها.

المبحث الثاني

المُرسَل إليه في رسائل ابن حزم

اولاً : المُرسَل إليه المفهوم والوظيفة :

يُعدّ المُرسَل إليه أهم أركان العملية الإبداعية؛ لأنّه القارئ والمستقبل للعمل الإبداعي والحاكم عليه، فأصبح المرسل إليه مشاركاً فاعلاً في النص ومنفعلاً به، إذ لم يعد قارئاً منقاداً، مستسلماً لنص وكاتبه حسب، بل صار القارئ الحقيقي أو هو تركيب:

(١) رسائل ابن حزم: ١/ ٢ :١٨٥.

(٢) نفسه:١/ ٢ :١٨٥.

قارئ مثالي أو قارئ تضفي عليه المثالية، يشبه نوعاً ما القارئ الناضج، أو القارئ المخبر (in formed reader)[1].

القارئ المخبر هو متكلم كفء للغة التي تتبنى منها النص، المستحوذ – تماماً – على المعرفة الدلالية التي يحتثها المستمع[2]، وهو قارئ يمتلك قدرة أدبية، أي أنّه قارئ يجرّب بما فيه الكفاية ليستبطن خصائص الخطابات الأدبية[3]، ومهمة المُرسَل إليه الكشف عن الموضوع وخفاياه وربما يعمل على خلقه، فيصيّره مكتشفاً في الخلق، ويخلقه بهذا الاكتشاف[4].

ويُعدّ المُرسَل إليه الطرف (العنصر) الثاني من عناصر نظرية التوصيل، و((هو الطرف الذي يستقبل المعلومات والمعاني من المرسِل، وهو بذلك مكمل دائرة التواصل؛ حيث يعمل على تفكيك الرسائل التي يبعث بها المُرسِل، ومن ثمّ فإنّ دوره لا يقل عن دور المُرسِل، بل إنّه أساس في العملية التواصلية؛ وذلك لأنّ الوضع التواصلي يستلزم علاقة تسنين (le codage)، وفك التسنين (decodage) التي يقوم بها المتخاطبون كل بطريقته))[5].

أمّا علاقة المرسَل إليه بالرسالة فهي أول ما يلفت الانتباه القارئ، أي علاقة النص بالمتلقي وما يتركه الجيد من أثر عميق في إطار عملية الاستجابة [6].

---

(١) ينظر: ثنائية المُرسِل والمتلقي مقارنة في ضوء مرجعيات نظرية المتلقي، د. هاتف بريهي شياع، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، كلية الآداب ـــــ جامعة القادسية، م١، ع٤، تشرين الاول ــــ كانون الاول ٢٠١٢: ٢١.

(٢) ينظر: نفسه: ٢١.

(٣) ينظر: نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية ، تحرير جين ب. تومكنز، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، ١٩٩٩: ١٦٢.

(٤) ينظر: ما الأدب، جان بول سارتر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة للطبع والنشر، مصر، (د. ت): ٤٩.

(٥) السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولودال، ترجمة: د. عبد الرحمن بو علي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠: ٨٩.

(٦) ينظر: استقبال النص عند العرب، دراسة أدبية، د. محمد رضا مبارك، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ١٠٤.

مع تعدد المصطلحات التي تطلق على المرسَل إليه أو المرادفة للمرسَل إليه نجد تسميات كثيرة في الدراسات الحديثة التي ترجع معظم جذورها إلى ترجمات للكتب الغربية.

مما يجدر ذكره هنا أنّ للمُرسَل إليه مصطلحات عدّة مختلفة إلا أنّها تدل على مفهوم واحد هو المرسل إليه، فقد أطلق النقاد المحدثون عليه تسميات منها:

المُرسَل إليه: استعمل المصطلح الأجنبي ((Destinataire))، للدلالة على المرسَل إليه، وهو مصطلح فرنسي يقابلهُ بالإنكليزية المصطلح ((Remittee))[1].

وقد شاعت تسميته بـــ((المُرسَل إليه))[2] بين كثير من النقاد والباحثين، ويطلق عليه نقاد آخرون اسم (المُستقبِل)[3]، ويُسَمى المُرسَل إليه أيضاً:

١. المتلقي[4]، التلقي: هو عمل ادبي من قبل الجمهور التي تتلقى النص، فيول الفكرة من خلال قراءة العمل الادبي ويعطي التلقي للقراء دوراً حيوياً[5].
٢. المستقبِل[6]
٣. المخاطب[7]
٤. المُوَجَّه إليه [8]
٥. المُستلم[9]

ونستطيع القول إنّ المُرسَل إليه هو المقصود الأول في عملية التواصل.

---

(١) قضايا الشعرية: ٢٧ و ١١٢.

(٢) نظرية التوصيل في النقد العربي الحديث :١٢٨ .

(٣) ينظر: معجم المصطلحات النقد الحديث، حمادي صمود: ق١ /١٤٠، والاسلوبية والاسلوب (المسدي): ١٣٣، ١٥٣، وأثر اللسانيات في النقد الحديث، توفيق الزيدي: ٦٤، الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي: ٧، ونظرية التلقي اصول وتطبيقات، بشرى موسى: ١٤، والسيميائات العامة اسسها ومفاهيمها : ٣٠.

(٤) ينظر: دينامية النص تنظير وإنجاز، د. محمد مفتاح : ١٩٧.

(٥) ينظر: معجم النقد الادبي ترجمة وتحرير كامل عويد العامري: ٣٤٩.

(٦) ينظر: دراسات الأدب بين علم العلاقة ونظرية الإخبار: ٢٩، والأسلوبية والأسلوب (المسدي): ١٥٤.

(٧) ينظر: مدارات نقدية ، د. فاضل ثامر: ٢٩.

(٨) ينظر: مدخل إلى التحليل البنيوي للنّص، دليلة المرسلي : ١٩، و نظرية التوصيل: ١٢٩.

(٩) ينظر: معجم النقد الادبي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري:٣٤٦.

مع تزاحم تسميات المُرسل إليه وتسابق الباحثين إلى ابتكار تسميات جديدة وإن كانت تحمل شيئاً من الغرابة مثل (الملتقط، والموجَّه إليه، والمؤاتي) لكن تبقى التسمية الأكثر قبولاً واستعمالاً وتداولاً بين النقاد والأدباء هي تسمية (المرسَل إليه).

مثلما للمرسل وظائفه فإنَّ المرسَل إليه له أثرٌ ووظيفة يؤسسها في عملية التوصيل وبما أنَّ الخطاب الأدبي يعني التواصل بين المبدع والمتلقي، والوسيط النوعي بين الاثنين النص والقصيدة، إذن المتلقي هو ذو أهمية ووظيفة تواصلية واضحة بعملية الاتصال، إذ إنَّ الوظيفة الافهامية هي الوظيفة المقابلة والملازمة للمُرسَل إليه التي تثبت بمخطط الاتصال[1].

بعد ذلك تعددت التسميات التي أُطلقت على هذه الوظيفة في الدراسات النقدية الحديثة ومن هذه التسميات[2]:

١-الإفهامية: conative: وهي الوظيفة الخاصة بالمُرسَل إليه ((والتي تبنى على اي فعل من افعال التواصل (اللفظي) عندما يتركز فعل الكلام على المُرسَل إليه))[3] أي التركيز على المروي له، إذ تسعى بدورها لافهامه مفهوم الرسالة والتأثر بها[4].

٢-التأثيرية[5]: وهي رباط الوصل في الحديث اللساني بين الباثّ والمتقبل[6] وهذا الرباط الذي يوصل بينهما ينبغي أن يضيف له المرسِل ((بصمة التأثيرية في من يتلقاه))[7]، وتعتمد هذه الوظيفة على عنصرين هما ((المفاجأة والتشبع))[8].

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٣.

(٢) نظرية التوصيل في الأدب العربي الحديث: ١٣٢.

(٣) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام: ٣٦.

(٤) ينظر: نفسه: ٣٦.

(٥) ينظر: إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، يورغن هابرماز، ترجمة وتقديم: د. محمد ميلاد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠: ١٢.

(٦) التواصل اللساني والشعرية: ٤٠.

(٧) الأسلوبية والأسلوب، (عبد السلام المسدي): ٨٦.

(٨) وردت هذه الفكرة المتقابلة (المفاجأة والتشبع)، في كتاب عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص٨٦، هو يتناول الخطاب الذي يبنى على المخاطب.

٣-الإبلاغية: وهي الخطاب المرسل والموجه إلى جهاز الاستقبال، وقد استعمل من النقاد، إذ دل على وظيفة المُرسَل إليه في نظرية التوصيل، وأيضاً على جعلها صفة لكلمة (التواصلية) أو (التواصلية الإبلاغية)(١).

٤- الخطابية: تتحقق هذه الوظيفة عندما يوجه الخطاب نحو المُخاطب (المتلقي = المُرسَل إليه) لتثير وجدانه وردود أفعال معينة حركية او ذهنية او لغوية مثلما هو الحال في مقام المهرجانات السياسية ومقام الوعظ والارشاد(٢).

تعددت تسميات وظيفة المرسل إليه بكثير، فاستعمل النقاد العرب والباحثون كثير من المصطلحات والتسميات الأدبية التي لم يكن لها ظهور من قبل ومن هذه التسميات:-

النزوعية(٣)، (وهي الصيغة التي تشير إلى النزعة أو الرغبة)(٤)، والندائية(٥)، والايحائية(٦)، والطلبية، والإيعازية، والبلاغية، والمعرفية، والإرادية (٧).

تتولد الوظيفة الافهامية عن المُرسَل إليه في عملية التوصيل وتهدف إلى ((التعبير النحوي الأكثر خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب، عن المقولات الأسمية والفعلية الأخرى(٨).

والدكتور عبد السلام المسدي وضح مقولة جاكبسون، إذ يشير إلى أنَّ الوظيفة الإفهامية (تتجسم خير تجسيم في صيغة الدعاء وصيغة الأمر، وهما صيغتان متميزتان

---

(١) ينظر: نظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري: ١٣٢.

(٢) ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي: ٣١.

(٣) ينظر: مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني نموذجاً، محمد سالم سعد الله، جامعة الموصل، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، إربد، ٢٠٠٧ : ٣٨.

(٤) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني: ٣٦.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات، د. روشان القضماني: ٤٥.

(٦) ينظر: النظرية الأدبية المعاصرة ، رامان سلدن، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٩٩٦: ١١.

(٧) ينظر: نظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري.

(٨) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٩.

في تركيبها وأدائهما ونبرة وقعها، ومعلوم أنّهما في البلاغة العربية صيغتان تدرجان فيما يسمى بالأساليب الإنشائية الكلية(1).

والوظيفة الإفهامية للمرسَل إليه هي الوظيفة التوسلية التي تسعى متوسلة باللغة إلى إثارة انتباهه أو الطلب إليه القيام بعمل ما(2). والإفهامية تلفت انتباه المتلقي وتجعله وتجعله يُعيد النظر فيما كان يحمل من أفكار ومعتقدات(3).

أساليب الدعاء والتوسل والنداء والأمر يتضمنها عدد من الوسائل مثل: انظر أو اسمعْ أو الآن. انظر هنا ... أو أنا أقول(4).

ومن مميزات الوظيفة الإفهامية في الخطاب المرسَل والموجه هي (التأثير والاقناع، والامتاع، والإثارة) (5).

أ- التأثير: تركز على معادلة ذات طرفين متعاكسين هما ((المفاجأة والتشبع))(6).

ب- الإقناع: وهو من أساليب التأثير على المتقبل وتزداد هيمنة التأثير الإقناعي بصفة واضحة في الخطاب الحجاجي الذي يعتمد على موضوع النص لاعلى النص حيث يستعمل وسائل الإقناع التي ((تكتسب صبغة الإكراه ولا تُدرجُ على منهج القمع وإنّما تتبع في تحصل غرضها سُبُلاً استدلالية تجرُّ الغير جرّاً إلى الإقتناع))(7).

ت- الإمتاع: هدف الرسالة الإمتاعية يختلف جذرياً عن الإقناعية بحسبان أنّ الأولى ترمي إلى جر المُرسَل إليه نحو مقاصد المنتج للنص الخطابي بينما الرسالة الامتاعية إلى إدخال النشوة في نفس المستقبل(8)، إذ يتحول الكلام ((إلى قناة تعبرُه المواصفات التعاطفية، فينطفئ عندئذ الجدوى المنطقي العقلاني في الخطاب

(1) الأسلوبية والأسلوب (د. عبد السلام المسدي): 155.

(2) ينظر: مدخل إلى اللسانيات، د. رضوان القضماني، وأسامة العقلي: 45-46.

(3) قضايا الشعرية : 99.

(4) ينظر: البنيوية وعلم الاشارة : 79.

(5) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: 39.

(6) الأسلوبية والأسلوب، (عبدالسلام المسدي): 87.

(7) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: 30.

(8) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: 40.

وتحل محله نفثات الارتياح الوجداني))[1]. وتصير الرسالة الموجهة محاولات متتالية لاسترضاء وجدان وعاطفة المتلقي[2].

ث- الإثارة: وتتولد من خطاب ما[3]،عندما يتحول إلى ((عامل استفزاز يُحَرِك في المستقبل نوازع ردود فعل))[4].

تُعدُّ وظيفة المُرسَل إليه ذات مهمة واضحة في التمييز بين مواصفات القارئ، إذ إنَّ هذه الوظيفة حددت موقع المتلقي من النص، وأوجدت مراتب اجتماعية وتذوقية في نظرية النص، فالقارئ التاريخي يظهر للوساطة المستوعبة للمزايا النصية، وهي وساطة قادرة على نقل تلك المزايا من المتلقي غير المثالي ضمن مراتب القراءة المتحققة أو التاريخية، فإنَّ أفعال التأويل وضعت المتلقي غير المثالي في مواجهة النص مباشرة، وبهذا تكون وظيفة المتلقي اكتشاف النص وليس كشفه[5].

يعد المُرسِل إليه منتهى عملية التوصيل ولكن على الرغم من ذلك فإنّه تربطهُ علاقة وثيقة بين كل عنصر من عناصر الاتصال.

فللمرسَل إليه علاقة مع المرسل ومهيمنة ذهنية، إذ إنَّ ((في ذهن كل قائم بالاتصال صورة للشخص الذي يتلقى رسالته والقائم بالاتصال يأخذ في اعتباره وهو يضع رسالته، الشخص الذي يستقبل تلك الرسالة))[6].

وهناك مخطط يوضح علاقة المرسِل بالمرسَل إليه (المستقبل) قد ذكره برهان شاوي في كتابه (مدخل في الاتصال الجماهيري ونظريات التأثير) إذ نجده قد وضع نقطة اتصال للمرسَل والمرسِل إليه، إذ رمز للمرسِل بالرمز (م) والمرسَل إليه (مس) كما في المخطط الآتي[7].

---

(1) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: 82.

(2) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: 42 .

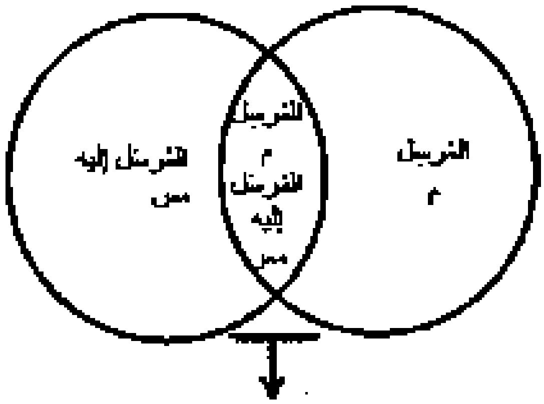
(3) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، (عبد السلام المسدي): 81.

(4) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 82.

(5) ينظر: التأويل وقراءة النص، في دراسات الاعجاز القرآني دراسة في الهرمينوطيقا الأدبية الإسلامية، د. سرحان جفات، دار ينابيع، طباعة، نشر وتوزيع، ط1، 2010 : 156-157.

(6) الأسس العلمية لنظريات الاعلام، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب اللبناني بيروت ــــــ لبنان، ط1، د.ت 268-269، نقلا عن نظرية التوصيل: 139.

(7) مدخل في الاتصال الجماهيري: برهان الشاوي: 137.



مخطط (٨)

يوضح علاقة المُرسِل بالمرسَل إليه

إنَّ تَسلُّب السلطة المطلقة من المُرسِل على إصدار خطابه بعجرفة أو لا مبالاة نحو الآخرين هو شأن علاقة الحضور الذهني هذه، وتدلخل في دائرة القواعد الضمنية أو العلائية المعنية وأن تجعله يكيف خطابه على قدرة عقل متلقيه ليحصل التفاعل وكسب استمالة المُرسَل إليه ورضاه[1].

وضح النموذج الذي ذكره برهان الشاوي مدى ارتباط المُرسِل بالمُرسَل إليه إذ لا يمكن إيصال اي رسالة إلا عن طريق وجود هذين القطبين وتتجسد العلاقة بالترسيمة التي ذكرها، إذ ربط بين العنصرين بنقطة التقاء تجمع كلاً منهما لكن مع ذلك اهتمامه بعناصر ثلاثة من المخطط التوصيلي الذي يرجع للثالوث الأول عند سوسير يختلف عن جاكبسون إذ جعلها ستة عناصر ووضع لكل عنصر وظيفة تثبت وجوده في ذلك المخطط، ويمكن أن نرى الفرق واضحاً عندما نقارن بين المخططين:-

---

(١) ينظر: دينامية النص (تنظير وإنجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت ــــــ لبنان، ط١، ١٩٨٧: ٥٠.

مخطط جاكبسون[1]

السياق

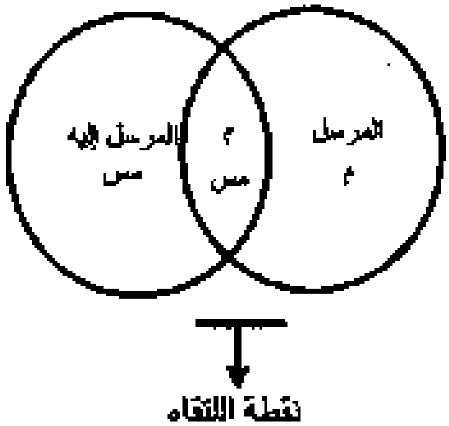
الرسالة

المرسل ـــــــــ المرسل إليه

قناة الاتصال

السنن (الشفرة)

مخطط ذكره برهان الشلوي



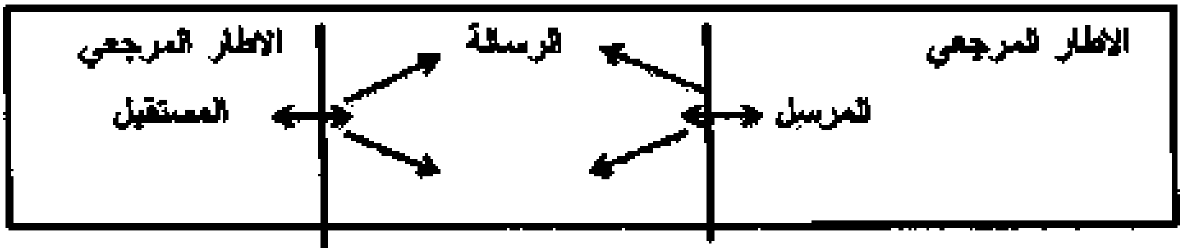
مخطط رقم (٩)

مقارنة بين مخطط جاكبسون وبرهان الشاوي

لنظرية التوصيل

من خلال الاطلاع على كلا المخططين وجدت الأرجح هو المخطط الذي وضعه جاكبسون إذ ثبت العناصر الستة من إعطاء وظيفة لكل عنصر، وكان برهان شاوي له الفضل في توضيح العلاقة أو الارتباط القوي بين هاتين العنصرين، رغم اقتصاره على ثلاثة عناصر رئيسة في المخطط وهم المُرسِل، الرسالة، المُرسَل إليه (المستقبل).

أمّا حسب الإطار المرجعي فقط وضعة المخطط الآتي إياه اعتمد جميع العناصر على عنصر الرسالة وهو العنصر الرئيس الذي يتركز عليه اهتمام النقاد والكتاب وترى ذلك واضحاً في المخطط أدناه[2]:



(١) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧.

(٢) ينظر: مدخل في الاتصال الجماهيري، برهان شاوي: ١٣٧.

الرسالة

مخطط رقم (١٠)

الإطار المرجعي لنص الرسالة

وهذا المخطط يوضح كيفية إختيار الإنسان لنص الرسالة المناسب بناءً على الإطار المرجعي:-

مع ذلك فقط نرى أنَّ جاكبسون قد أمعن النظر في المخطط ووضع عناصره بدقة وحرص على اداء وظيفية كل منهم إذ لكل عنصر دوره الخاص به وارتباطه بالعناصر الأخرى، بيد أنّ، الدكتور برهان شاوي قد لفت أنظارنا على مدى ارتباط العناصر جميعها بالنص (الرسالة) المختار من قبل المُرسَل إليه (الإنسان).

والمرسل إليه عنصر مهم في الأدب بنوعيه الشعر والنثر وله أثر في الوصول إلى تحديد معنى جديد للنص لأنَّ النص لا يحمل معنى جاهزاً القارئ هو الذي يملأ ثغرات النص وبياضاته، ويشارك في الكشف عن المعنى، لذا أصبح المُرسَل إليه هو الذي يقود النص ويوجه قراءته وليس العكس، أي أنَّ وظيفة القارئ هي إنتاج الإبداع الأدبي[1].

أنواع القراء.

يعدُّ تنوع القرّاء عنصراً رئيس في نظرية الاتصال (الاستقبال) أو التلقي وهذا التنوع يقوم على ماهية القارئ وخبرته وذكائه لمعرفة مقصد المتكلم وهذه الأنواع هي ثلاثة[1]:

١- القارئ الكفء.

وهو أهم وأول عنصر في نظرية القارئ ويعبر عنه (القارئ س) أو أي صفة يقترحها الناقد لنفسه بوصفهِ قارئاً للأدب، مثل (الأفضل)، و(المُعلم، المخبر) و(المثالي)

---

(١) ينظر: النص المفتوح في النقد العربي الحديث (نقد الشعر أنموذجاً)، عزيز حسين علي الموسوي، أطروحة مقدمة إلى قسم اللغة العربية في كلية التربية ــــــ جامعة القادسية: ١٩٨.

(٢) التداولية والسرد، جون ــــــــ ك أمز : ٤٥.

و(الأمونجي)[1]، وهذه المصطلحات تشير إلى خصائص القارئ ومؤهلاته، أو إلى ما يحتاج إليه كي يقرأ النص الأدبي على نحو مناسب، أي إلى الكفاية الأدبية وفهم يجري داخلياً لخصائص الخطاب الأدبي وعمليته[2].

القارئ الكفء هو نعت للقارئ المتمكن وسبب ذلك هو تملكه للكفايات التي تمكنه من قراءة أي نص أدبي بمهارة وتمعن[3].

كما تحدث "بوكراند" القارئ الكفء بقوله ((هي القدرة على انتاج أو تفسير الاستعمال الشعري للغة))[4] ويمكن تصنيف كفايات اخرى ضمنها مثل كفاية البناء التي تدل على قدرة تحفيز بنيات اللغة لإنتاج وتفسيرها النصوص[5].

ويرتبط القارئ الكفء بالقراءات الشعرية والأجناس الأدبية حصيلة خبراته وكفاءته لتناول النص بالطريقة التي ينفرد بها غيره من أنواع القرّاء كما أنّ القواعد والأعراف هي التي تنبع منها خصائص القرّاء، والحقبة الزمنية التي ينتمي إليها القارئ، وأنماطه التقليدية، فالقارئ المتمكّن يتخطّى صعاب النص ليغوص في غماره ويبحر في عالمه ويتمازج مع جزيئاته فاهماً كل عبارات النص الصريحة والغامضة عارفاً بمعاني العبارات والتراكيب التي في داخله لكونه على درجة ورقي ثقافي يؤهله لذلك، فعندما يقرأ النص ينتج من خلاله نص جديد فالقارئ الكفء هو المبدع الذي يستطيع أن ينتج من نص واحد عدة نصوص من خلال قراءته[6].

والقارئ الكفء هو الذي تتوفر فيه مواصفات ادبية ونقدية ويمكن ان تتوافر تهلك الصفات عند كل شخص وفي كل زمان.

٢- القارئ التاريخي :

---

(١) ينظر: نفسه: ٤٦.

(٢) ينظر: نفسه: ٤٦.

(٣) ينظر: نظرية القارئ، دراسة في دور مترجم النصوص الأدبية، د. مها طاهر عيسى الإبراهيمي، منشورات ابداع النجف الأشرف، (د.ط)، ٢٠٠٨: ٨٩.

(4) Rpbert de Beaugrende ; factors in atheory of poetic Translating . Von Gorcum, Assen, 1978. see P.22.(نقلا عن نظرية القارئ: ٨٩)

(٥) ينظر: نظرية القارئ، د. مها طاهر عيسى الإبراهيمي: ٨٩.

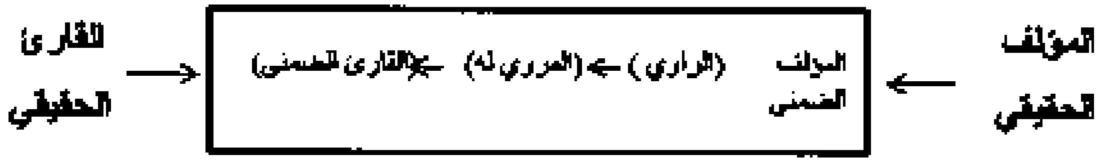
(٦) ينظر: نفسه: ٩٠-٩١.

وهو عنوان علم لأي قارئ باستثناء الناقد نفسه، و(القارئ التاريخي) هو شخص حقيقي، قرأ النص ثم ناقش الناقد قراءته، وهناك مقتربات تجعل القراء التاريخيين يختلفون حسب الحالة النفسية والاجتماعية والأدبية، وينتج عن ذلك وجود قارئين: القارئ التاريخي، الذي يقرأ نصاً واحداً فينتج عنه نصاً آخر والناقد الذي يقرأ النصين كليهما[١].

يتجلّى القارئ التاريخي في رسائل ابن حزم لكونها قد قرأها العديد من القرّاء والنقاد في ذلك العصر مع اختلاف تأثيرهم النفسي والاجتماعي في نصوص الرسالة واختلاف درجاتهم الثقافية وتطلعاتهم، فعندما يقرأ أحدهم رسائل طوق الحمامة يعجب بها لربما لميل نفسي وعاطفي لكونها تروي حقائق الحب وعلاماته، فذلك (الحوار المؤدب) الذي يستهوي القراء التاريخيين هو الاطار العام لرسائل الحب (العشق) لتكن لكل من قرأها ما يراه في نفسه من مشاعر وأحاسيس اتجاه محبوبته.

ومثال ذلك ما ذكر في باب الوصل[٢]، في قوله ((ومن وجوه العشق الوصل ، وهو حظ رفيعٌ ومرتبة سريّةٌ، ودرجة عالية، وسعدٌ طالع، بل هو الحياة المجدّدة، والعيش السنّي، والسرور الدائم))[٣]. فوصف الوصل بأنّه أحد أوجه العشق لا بل أعلى حظاً ومرتبة من مراتب العشق يجعل القارئ أكثر تقرباً إذ إنّه يستشعر بذلك حين يقرأه.

٣- **القارئ الضمني:** تعد مكانة القارئ الضمني والمؤلف الضمني راسخة في النظرية السردية، واقترح (Chatman) في (القصة والخطاب) المخطط الآتي لتوضيح مكانة (القارئ الضمني) وأطلق عليه تسمية ((موقف التواصل السردي))[٤]:



(١) ينظر: التداولية والسرد، جون ـــــــه لنز : ٤٦ –٤٧.

(٢) ينظر: رسائل ابن حزم: ١/١ : ١٨٠.

(٣) نفسه: ١/١: ١٨٠ .

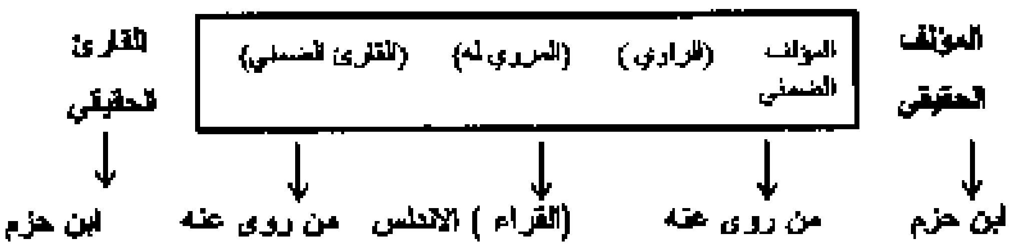
(٤) ينظر: التداولية والسرد: ٥٦.

مخطط رقم (١١)

موقف التواصل السردي

يتبين من ذلك أنّ المؤلِّف الضمني والقارئ الضمني هما فقط الملازمان للسرد، والراوي والمروي له اختياريان[١]، وكلاهما في مخطط جاتمن أهم من الراوي ومقابلة المروي له، لأنّهما ضروريان لـ(موقف التواصل السردي)[٢].

يبدو لي أنّ القارئ الضمني كان متجلياً في رسائل ابن حزم وبالأخص الرسائل الوجدانية في طوق الحمامة إمكانية وجود عناصر موقف التواصل السردي للقارئ الضمني في كتاب (التداولية والسرد لـ(جون – ك – آمز)، فعندما نضع المخطط الذي يجسد موقف التواصل السردي وعناصر رسائل ابن حزم الوجدانية يتضح:



مخطط رقم (١٢)

موقف التواصل السردي تطبيقاً

المؤلِّف الحقيقي في رسائل ابن حزم هو ابن حزم نفسه أمّا الضمني فهم الذين ساهموا بحال ببعض أفكارهم لابن حزم فصاغها كرسائل منمقة ذات ديباجة جميلة، وكذلك (الراوي) فهو ابن حزم واحياناً يكون من نقل عن ابن حزم (المروي له) هو المتلقي وهو متعدد ومتنوع ومتطور عبر الأزمان.

فعندما ألف ابن حزم رسائل (طوق الحمامة) كان بدافع من زميلٍ له وتلبية لرغبته، لكن مع ذلك يروي في طيات هذه الرسائل بعض القصص التي شاهدها بنفسه، وبعض ما نقلت له من مصدر موثوق يوضح علامات الحب ويذكر أمثلة لكل علامة من هذه العلامات.

---

(١) ينظر: نفسه: ٥٢.

(٢) ينظر نفسه: ٥٢.

ويرتبط تنوع القرّاء بنقل النص الأدبي، ويرتبط التلقي بعدة عوامل منها العامل النفسي، والعامل الاجتماعي[1].

فالعامل النفسي هو ما نادى به العالم (فرويد) وارتباطه بالعقل الباطني إذ يعد محور دراسات النظريات الأدبية والنفسية الجديدة في القراءة والاستقبال التي جعلت القارئ محوراً للاستقطاب والتحقق، والعناية بالمتلقي ترجع إلى علم الأسلوب من خلال العناية بلغة التعبير وفن الصياغة، وأسلوبية المُرسل إليه هي دليل على تلك العناية[2]، كما يذهب إلى ذلك (أماد وألونسو) إذ قال (المبدأ الذي يعتمد عليه هو أن كل خاصية لغوية في الأسلوب تطابق خاصية نفسية)[3].

إذ توضح هذا القول من (ألونسو) بنقطة جوهرية مهمة هي العلاقة بين الدلالة والتعبير، فهي تتجلى في النص الأدبي وعند المتلقي بشكل خاص، ويصح أن يقال إنّها تعني متلقي الخطاب الأدبي وتعني منتجيه أيضاً[4]. أي أن المحتوى النفسي لدى القارئ يتعلق بالقيمة التعبيرية في الخطاب الاعتيادي، إذ تصل الشحنة إلى أوج توقدها في الخطاب الأدبي بعد استعمال المؤشرات الأخرى كالموسيقى والنبر والاستعمال الخاص للمفردة والتركيب[5].

لذا فإنّ المذاهب الأدبية الحديثة وضعت (المُرسل إليه) في مقدمة أهدافها سواء تعاملت معه سلبياً ايجابياً والدافع لظهور المذاهب الأدبية هي التحولات الهائلة الحادثة في البنية الاجتماعية[6].

وقد حاولت نظرية الاستجابة والتلقي السعي إلى توسيع دائرة القراءة عن طريق إظهار حقيقة الأدب والجهد الذي يجب أن يبذل لاكتشافه، فهو لا يحقق تأثيره إلا بعد جهد ومعاناة وتأمل[7]. أي ((أنّ القراءة السريعة لا تجدي نفعاً بل هي مشوهة، لأنّ

---

(1) ينظر: استقبال النص عند العرب: ٦١-١٠٥.

(2) ينظر: استقبال النص عند العرب: ٦٢.

(3) علم الأسلوب، د. صلاح فضل: ٨٥.

(4) استقبال النص عند العرب: ٦٣-٦٤.

(5) ينظر: نفسه: ٦٤.

(6) ينظر: نفسه: ٧٤.

(7) ينظر: نفسه: ٧٨.

التفاعل مع النص يقتضي ملء فجواته، وهو جهد لا يقل عن عمل الكتابة والأبداع ذاتها))[1].

ومن خلال المشاركة النفسية بين المبدع وجمهور المتلقي وإذا كان الناقد مطالباً تعليل تقبله للنص أو رفضه فإنّ الجمهور غير مطالب بذلك، إذ عد تقبل الناقد مختلفاً عن تقبل الجمهور.

لماذا علينا الاهتمام بالجمهور أو المتلقين بصورة عامة؟

يرجع السبب الرئيس لذلك لأنَّهم هم أحد الأطراف المهمة التي تحدد تقبل النص أو رفضه والجمهور هو الطرف المهم في عملية الإيصال الأدبي[2].

ثانياً : فاعلية المرسَل إليه في رسائل ابن حزم.

ويُعدُّ المُرسَل إليه عنصراً رئيساً في الرسائل ولولاه لا تكتمل عناصر الإرسال، إذ بوجوده يفهم مقصد المُرسِل من بث تلك الرسالة وقد يتنوع المرسَل إليه بتنوع الرسائل والمغزى من تلك الرسالة فيختلف المرسَل إليه في الرسائل التاريخية (السيرية) عن المرسَل إليه في الرسائل الفقهية، وعنه في الرسائل الوجدانية، والرسائل العلمية ... الخ.

١- الرسائل التاريخية (السيرية).

غالباً ما يكون المُرسَل إليه غير واضح أي مضمر أو قد يكون مستقبلاً عاما غير محدد وبعض الأحيان يظهر بصورة واضحة في الرسائل.

يبعد عن أنظار القارئ معرفة قصدية ابن حزم الأندلسي في رسالته (نقط العروس) ولكن مع تمكن الباحث ودقة النظر إلى النص أو العمل الأدبي التي هي ((أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء (رضي الله عنهم)[3]، بعد أن قسم ابن حزم الخلفاء حسب الحقبة الزمنية وفي نص رسالته ٢-العباسيون: ((ثم لم يتسمَّ ولا سمي أحد الخلفاء بشيء لازم له، حتى ولي بنو العباس رضي الله عنه، ونحن الآن ذاكرون أسماءهم على نسق، ونذكر الأسماء التي اشترك فيها اثنان [...] أسماء الخلفاء، وإن

(١) نفسه: ٧٨.

(٢) ينظر: استقبال النص عند العرب: ٨٠.

(٣) رسائل ابن حزم: ٢/١ :٤٣.

كان الأمر قد رذل غاية الرذالة في المشرق والمغرب، والله المستعان، فيسمى بأسماء الخلفاء من ليس منهم))[1]. يبين ابن حزم مدى استيائه من الأمر إذ يقول (والله المستعان) فالمُرسَل إليه يتضح بهذه الرسالة بقوله ((من ليس منهم)) ويحتمل عدة وجوه، ويقصد بعبارة (من ليس منهم) المستثنى منهم من الخلافة أي يحتمل ان يكون هناك خلفاء يفترض من خلافتهم لكن لم ينصب للخلافة.

أو يحتمل كل ما وضعت فيه صفات أن يكون خلفية النص يحتمل دلالات متعددة، ولربما تتغاير المعاني بسبب الأثر الذي ترتب عليه تعددية المتلقين.

فينبه ابن حزم المُرسَل إليه بقوله (من ليس منهم) أي أبعد هؤلاء الذين ليست من الخلفاء بل تسموا بها.

٢- الرسائل الوجدانية:

وتتجلى الرسائل الوجدانية في (طوق الحمامة) إذ نجد تنوع أبوابها وتعدد المرسل إليه، ففي بعضها يتضح لنا المرسل إليه (المتلقي) في الرسالة أمّا في بعضها الآخر فهو متعدد اعتماداً على القارئ أي متلقي الرسالة.

وفي (صدر الرسالة وأبوابها والكلام عن ماهية الحب)[2]، يذكر فيها رغبة صديق أثير وأخ مجاب النداء[3]، موطن صديقه في مدينة مرية، ومسكن ابن حزم في حضرة شاطبة[4]، ذاكراً في نص الرسالة بقوله: ((تذكر من حسن حالك ما يسرني وحمدتُ الله عز وجل عليه واستدمته لك، واستزدته فيك؛ ثم لم ألبث أن اطّلع عليّ شخصك وقصدتني نفسك ...))[5].

نجد أنّ الضمير المتصل (الكاف) في (حسن حالك، استدمتهُ لك، استزدته فيك، شخصك، نفسك)[6]، هذا ما يدل على تجسد شخصية المتلقي في نص الرسالة وهو صديق ابن حزم، وتأليفه لكتاب طوق الحمامة تلبية له.

---

(١) نفسه: ١/٢: ٤٣.

(٢) رسائل ابن حزم: ١ /١ : ٨٤.

(٣) ينظر: دراسة الخبة في الحب العربي : ٢/١٠٢.

(٤) ينظر: رسائل ابن حزم : ١/١ : ٨٤.

(٥) نفسه: ١/١ : ٨٥.

(٦) نفسه: ١/١ : ٨٥.

إذ يتضح المُرسَل إليه في صيغة الخطاب (الكاف) مما يدل أنَّ هنالك مخاطباً معيناً ومحدداً في نص الرسالة، فالمُرسَل إليه هنا يحتمل وجهان:

الأول: هو صديق ابن حزم المُرسَل إليه المعلوم.

الثاني: المُرسَل إليه الآخر للنص: وهو غير محدد، لأنَّ ذلك يعتمد اختلاف القراءة في هذه الرسالة إذ يكون المُرسَل إليه الآخر مختلف الثقافات متغير القراءات.

أمّا في باب من أحبَّ في النوم الذي ينقل ابن حزم حالة من حالات الحب لامرأة غير موجودة في الحقيقية وإنّما هي خيال أو حلم، ينقل لنا تجربة وقعت فعلاً في عصره فيها شيء من الغرابة كان ذلك سبب في اهتمام ابن حزم لهذا الامر وذكره من ضمن رسالته.

وفي هذه الرسالة أفصح ابن حزم بالشخص الذي مرّ بهذه التجربة وهو أبي السريّ عامر بن زياد، إذ قال: ((وذلك أني دخلتُ يوماً على أبو السريّ عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد، فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به، فتمنع ساعة ثم قال لي، أعجوبة ما سمعت قط قلت: وما ذاك، قال: رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبي فيها وهمت بها، وإنّي لفي أصعب حالٍ من حبها، ولقد بقي أياماً كثيرة تزيد على الشهر مغموماً لا يهنئه شيء وجداً، إلى أن عذلته وقلت له، من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلق وهمك بمعدوم لا يُوجد، هل تعلم من هي؟ قال: لا والله قلت: إنك لَفيلُ[1]، الرأي مُصاب البصيرة إذ تحب من لم تره قط، ولا خلق ولا هو في الدنيا، ولو عشقت صورة من صورة الحمام[2] لكنت عندي أعذر، فما زلت حتى سلا وما كاد))[3] وهذا كله ليست سوى خيال ووهم علق به (ابو السريّ)، لمدة من الزمن إلى أن سمع نصيحة ابن حزم، إذ ترك ذلك الوهم بعد عناء.

---

(1) رجل فيلُ الرأي أي ضعيف الرأي واللسان: فيل، يقال بكسر الفاء وسكون الياء، وقد يقال: فيل وفال، وقد قرئت في معظم الطبعات: القليل، وهو خطأ، وقرأ برشيه(الفائل) وهي مقبولة وإن ابعت عن رسم الكلمة، ولو قرئت للفيل بالفاء ـــــ لكان ذلك وجهاً حسناً، نقلا عن رسائل ابن حزم الاندلسي: ١/١ : ٨٥.

(2) هذا يدل على ان جدران الحمامات في الأندلس كانت تزين بالصور كما كان الحال في بعض حمامات المشرق، ينظر: نفح الطيب: ٣٦٨/٣ .

(3) رسائل ابن حزم ١/١ : ١١٥-١١٦.

وفي هذا الباب يحتمل عدة احتمالات في المُرسَل إليه أول وهلة نجد المُرسَل إليه الذي هو (أبو السري) إذ خصه بالنصيحة وترك هذه الأوهام؛ لأنَّها تؤدي به إلى الهاوية.

أمّا المُرسَل إليه العام الذي وجهت إليه الرسالة هو سائر أبناء المجتمع الأندلسي حتى لا يقعوا في مثل هذه التجربة، ويبتعدوا عن كل ما هو وهم وهي بمثابة درس يتعلم ويستفيد منه من تلقى تلك الرسالة أو سمع بها أو نقلت له.

مع كل ذلك فالنص ما زال يحمل كثيراً من المعاني والاحتمالات وبالأخص أنَّه إلى الآن وهو يقرأ من قرّاء جدد، على الرغم من وفاة مؤلفه إلاّ أنَّه ما يزال حي متجدد مع تجدد وتعدد القرّاء، ولاختلاف وسائل الاتصال إضافة إلى أنَّ ما عاشه الأندلسيون من انفتاح وتحرر المجتمع جعل (أبا السري) تاركاً ما هو حقيقياً لكونه مبتذل يسر وراء ما هو غير موجود أو منفرداً أو ما لا يستطيع نواله.

من غرابة ما جاء في باب من (أحب بالوصف) قوله: ((إذ تقع المحبة بالوصف من دون المعاينة، فتكون المراسلة والمكاتبة والهم والوجد والسهر على غير الإبصار، فكان لوصف المحاسن تأثير كبير في النفس، أو سماع نغمتها وراء جدار يكون ذلك سبب في الحب والمتفال البال))[1].

فالمُرسَل إليه هنا علم وغير محدد إذ يتضح ذلك من قول ابن حزم ((وهذا كله قد وقع بغير ما واحد، ولكنه عندي بنيان هارٍ على غير أسٍّ))[2]، كما اتضح من خلال ما ذكره أنَّه ليس سوى توهماً فإذا جاء اليوم الذي تقع فيه المعاينة عند ذلك يتبين الأمر أن يتأكد أو يبطل[3].

فقد بدا رأيه بالاحتجاج العقلي الذي لا يأنس إلى العاطفة ولا تتخذ التصوير وسيلة للإيهام بالمراد[4].

---

(١) رسائل ابن حزم: ١/١: ١١٧.

(٢) نفسه: ١/١: ١١٧.

(٣) ينظر: نفسه: ١١٧/١/١.

(٤) ينظر: دراسة في الحب في الأدب العربي: ٢/٢٨٦.

وهناك مُرسَل إليه يعد هذه الحالة هي المتواردة في الزمن الماضي ليس في زمننا الحاضر وذلك لكون النساء في السابق لا تستطيع الخروج وأغلب أوقاتها في خدورها لا يسمح لها أن ترى من تحب فأصبح الوصف هو أستاذ الحب.

٣- الرسائل الفقهية:

في رسالته (في الرد على الهاتف من بُعد)، هذه الرسالة مرسلة إلى عامة الناس، إذ خاطب ابن حزم برسالته الناس وخص المسلمين منهم بقوله: ((فإن كنت منهم أيها المخاطب فقد شملك ما عمهم، وإن لم تكن منهم فلست أهلاً للسلام عليك))[١]، المرسل إليه هم المسلمون، إذ تتضح في هذه الرسالة الوظيفة الإبلاغية للمُرسَل إليه لان هذه الرسالة جاء بها المُرسِل لإبلاغ عامة الناس، كما ذكر ذلك بقوله: ((وأمّا نحن فلا تفني ليلنا ونهارنا، ولا نقطع اعمارنا ولله الحمد كثيراً، إلا بتقييد أحكام القرآن، وضبط آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعرفة أقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين والفقهاء من بعدهم – رحمة الله على جميعهم – لا تقدر على إنكار ذلك،...))[٢].

وكأن ابن حزم يبلغ أهل عصره ويرسل إليهم مكتوباً ليبين لهم مدى قوة إيمانه بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يتضح ذلك للمُرسَل إليه من خلال رده على الهاتف في قول الهاتف له: ((أنائمٌ أنت أيها الرجل؟ بل مفتونٌ جاهل أو متجاهل))[٣].

قال عليٌ: (فما نحن، ولله الحمد، إلا أيقاظ إذا استيقظنا، ونيام إذا نمنا. وأمّا الفتنة فقد أعاذنا الله منها، وله الشكر واصباً، لأنّنا لا نتعصب لواحدٍ من الفقهاء على آخر...))[٤]. إلى أن يعترض على قول الهاتف بنعتهِ ((متجاهل)) إذ يقول له ((فطها صفتك))، إذ قامت حجة الله عليك، وأعرضت عنها لعمى قلبك، فنعوذ بالله مما ابتلاك به، ونسأله الثبات على ما أنعم به علينا من الحق))[٥].

(١) رسائل ابن حزم: ١ /٣: ١١٩.
(٢) رسائل ابن حزم: ١ /٣: ١٢١.
(٣) نفسه: ١/٣: ١٢١.
(٤) نفسه: ١/٣: ١٢١.
(٥) نفسه: ١/٣: ١٢١.

بيّن في رسالته ((التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق)) بين أهمية العلوم لدى الأوائل وأول هذه العلوم الفلسفة وحدود المنطق التي تكلّم فيها أفلاطون وتلميذه أرسطاطاليس والاسكندر[1]، ومن قفا قفوَهم))[2]، وأكد أنّ منفعة هذه العلوم عظيمة تميز لنا الحقائق عما سواها[3]، ويسترسل في ذكر منافع العلوم وارتباط إحداها بالأخرى إذ تكون الأولى شرط في الثانية.

بعد ذلك يأتي إلى الزمن فيقول فيه ((فإنّ الزمان كله يومٌ ثم يوم ـــــــ هكذا مدّةُ وجوده ـــــــ وكل يوم فله مبدأ ونهاية بالمشاهدة، فإذ كل جزء من أجزاء الزمان ذو مبدأ ونهاية ـــــــ الزمان ليس هو شيئاً غير اجزائه التي هي أيامه ـــــــ فالزمن ذو مبدأ ونهاية ـــــــ ولابدّ ـــــــ ضرورة، ومن ادعى مدة غير الزمان فقد ادعى الباطل وما لا يقوم به برهان أبداً))[4] وكان بذلك محق بذلك فإنّ الزمان هو كمية فلابد له من نهاية وبذلك أكد الكندي بقوله: ((وبهذا التدبير تبين أنّه لا يمكن شيء من الكميات أن يكون لا نهاية لها بالفعل والزمان فإنّ كمية فليس يمكن أن يكون لا نهاية له بالفعل، فالزمان ذو أول ومتناه ...))[5]، فيتضح للمتلقي أنّ ابن حزم يبين أنّ الزمن هو كمية وله بداية ونهاية، فالمرسل إليه هو عالم غير محدد وكأنّه يوضح لأبناء الأندلس ويشرح لهم معنى الزمن.

بما أنّ الزمن ينقسم إلى الماضي والمستقبل، وهما ضدان لا يجتمعان إلا أنّ ابن حزم وغيره من المتكلمين تصور الزمان وكأنّه أجزاء تجمع معاً ومن ثم يستحيل عندهم وجود زمان لا نهاية له في المستقبل والماضي[6]، أي أنّ الزمان دائم الحركة كحركة العالم اللامتناهي، إن (الآن) الخارج للفعل هو ليس كل الحركة والزمان ولا هو نهايتهما أو انقطاعهما[7]، مما يبرهن على أنّ العالم ليسَ قديم لأنّ الزمن غير متناه، ولا يلزم من ذلك

---

(1) هو الاسكندر الأفروديسي الذي فسر أكثر كتب أرسطاطاليس وينظر الفهرست: وابن ابي أصيبعة ١ / ٦٩ والقفطي: ٢٥٤ وكانت بينه وبين جالينوس مناظرات ومشاغبات كما كانت شروحه يرغب فيها في الأيام الرومية الاسلامية.

(2) رسائل ابن حزم: ٢/٣: ١٣١.

(3) ينظر: نفسه: ٣/٢ : ١٣١.

(4) ينظر: رسائل ابن حزم: ٢ / ١٢٥.

(5) رسائل الكندي، (كتاب الكندي إلى المعتصم في الفلسفة الاولى)، ابو يوسف يعقوب بن اسحاق، حققها واخرجها د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، الجزء الثاني (د.ط) ١٩٥٠ : ١١٦-١٢٠.

(6) ينظر: الله والعالم / عند ابن حزم الاندلسي : ٧٢ .

(7) ينظر: مقاصد الفلاسفة، ابو حامد الغزالي، تحقيق: د. سليمان دنيا، القاهرة، (د.ط) ١٩٦١: ١٩٣ – ٢٠٠.

محال لكن الزمان كلما حصل منه جزء عدم قبله جزء آخر، فتعاقب بتلك الأعراض عندهم، على المادة إلى ما لا نهاية ولا يلزمهم محال لكونها غير مجودة كلها معاً، بل بالتعاقب وهذا ما لم يبرهن امتناعه[1].

فالقارئ التاريخي (المعاصر) يرى أن ما جاءت به هذه الرسالة هو الصحيح ولا صحيح غير ولأنّ الزمان كخط مستقيم له نقطة بداية ونقطة نهاية، إلا أنّ القارئ الكفء من يحلل ذلك النص لينتج لنا نصاً جيداً ويوضح لنا ما المقصد منها وينشأ على غرارها نص جديد أكثر وضوحاً من النص السابق وهذا ما فعله المتلقي الدكتور (مهدي طه مكي)، إذ استخلص من ذلك أنّ الزمن غير متناهي ولا يعد مثل الكمية المحددة.

وجه ابن حزم (رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق) إلى كل شرائح المجتمع أي المتلقين بصورة عامة قاصداً في ذلك حثهم على اتباع الدين الإسلامي والتمسك بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يبين أنّ جميع الأديان التي سبقت الإسلام هي لا تنفع عاجلاً ولا آجلاً، ذكراً بذلك فساد شريعة النصارى واليهود والمنانية وملة الصابئين قد بطلت، وبذلك قال: ((فإذا قد صح الخالق وأنّه واحدٌ أول لم يزل، وصحت النبوة، وصحت الرسالة، فالنظر واجب في الأنبياء))[2].

فوجدنا شريعة النصارى في غاية الفساد لوجوه: أحدهما قولهم بخلاف التوحيد في الابن والأب وروح القدس، والثاني: لفساد نقلهم لرجوعه إلى ثلاثة فقط وهم مرقش ولوقا ويوحنا الناقل من متى، ... ظاهرة الكذب في الأخبار بطلت الثقة بنقلهم ... ووجدنا اليهود أيضاً تشريعهم في غاية الفساد لأنّها راجعة إلى كتب ضائعة النقل لم ينقلها من أول كونها إلى فُشُوِّها عندهم كافة، بل دخلت المتغير والائتلاف وانقطاع حكمها ونقلها، لكفرهم بها أيام دولتهم ثم بعدها، ... ثم نظرنا في المجوس فوجدناهم مقرين أنّ تشريعهم كثيرٌ منها من عمل أزدشير بن بابك الملك، وأنه ضاع من شريعتهم وكتابهم نحو الثلثين[3] أيام لحرق الاسكندر كتابهم ....، ثم نظرنا إلى المنانية[4]، فوجدنا نقلهم فاسداً غير متصل بصاحبهم،... ثم نظرنا إلى الصابئين فوجدناها ملة قد بطلت بالكلية، ...))[1].

---

(1) ينظر: دلائل الحائرين، موسى ابو ميمون، تحقيق: حسين آتاي، انقرة، (د.ط)، ١٩٧٤ : ٢١٦.

(2) رسائل ابن حزم: ١ /٣ : ١٣٧.

(3) كذا ذكر في الفصل (١ : ١١٥) وقبل ذلك (١ : ١١٣) قال: مقرون بالاتفاق أنه ذهب منه مقدار الثلث.

(4) المنانية: هم اتباع ماني (ينظر: كتاب الفصل ١: ٣٥، والشهرستاني على هامش الفصل (٢ : ٨١) ومدار مذهب مذهب ماني على تخليص النور من الظلمة، وهذا يقتضي الزهد والرياضة، التي ينتج عنها طبقة الصفوة من الناس

أمّا في رسالة التلخيص لوجوه التخليص) فذكر فيها قضايا فقهية وجهة كلامه فيها إلى الناس في ذلك الوقت وإلى وقتنا هذه مستشهداً بذلك بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وكتب ابن حزم هذه الرسالة بموجب الكتاب الذي ورد إليه من أحد أصدقاءه المقربين الذين وصلوا امتحنوا به ويبين ذلك قوله: ((أمّا بعد، فإنّ كتابكم ورد عليّ وفي أوله وصفكم لي بما لستُ أهله عند نفسي، ولكني أحدث بنعمة الله تعالى عليّ مؤتمراً لأمره إذ يقول عز وجل[ڻ ڻ ۀ ۀ][2]))[3]، إنّما يدل ذلك على تواضعه المتناهي واعترافه بنعم الله وفضله، فنجد المرسل إليه هو الأول هنا والذي من أجله كتبت الرسالة هذه مرة، ومرة أخرى نجد المرسل إليه عامة أهل الأندلس والمسلمين إذ كان لاستشهاده بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية أثر مميز في لفت انتباه القراء، وبذلك تحقق الوظيفة الإفهامية للمُرسَل إليه إذ يتواصل المُرسِل والمُرسَل إليه من خلال هذه الوظيفة.

وكثرة الأسئلة في هذه الرسالة الذي يدل على تنوع المُرسَل إليه وتعدد من ضمن هذه الأسئلة مثلاً[4]:

❖ ما أقرب ما يُعتب به العبد المجرم ربه تعالى؟

❖ ما هو أفضل ما يستنزل به عفو الله وفضله؟ ويندفع به سخطه وغضبه، وعن أنفع ما يستقل به من كثرت ذنوبه؟ وعن خير ما سعى به المرء في تكفير صغائره وكبائره؟

وهذه هي أربع مسائل فرقوا بينها ولكن معناها واحد حسب ما قاله ابن حزم ((فالجواب إن شاء الله تعالى عن ذلك قال تعالى: [ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۇ][5]))[6].

وذكر أيضاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر))[7] نجد هذا الحديث قد شابه قوله تعالى: [گ

ليحرم عليهم التناسل، وكل شيء حتى الطعام نفسهم يقسمهم، وكل رجل من هؤلاء لابد له من رفيق من طبقة السامعين أو المريدين يقوم بخدمته.

(1) رسائل ابن حزم: 1 /3 : 137 –138.

(2) سورة الضحى: 11.

(3) رسائل ابن حزم: 3/2 : 143.

(4) ينظر: رسائل ابن حزم: 2/ 3 : 144.

(5) سورة هود: 114.

(6) رسائل ابن حزم: 3/2: 144.

(7) صحيح مسلم (الطهارة 14، 15) .

ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ[1]، إذ إنَّ أداء الفرائض تحصن المرء من الوقوع بالكبائر، وتحطُّ السيئات التي هي دون الكبائر))[2]. جمالية الأسلوب مع دقة إيصال المعلومة للمُرسَل إليه جعلت نص الرسالة حي إلى الآن بالإضافة لإسناده أغلب كلامه لما ورد في النص القرآني وما جاء في أحاديث رسولنا (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد ذلك يسترسل ابن حزم ليلبيه عن أمر الكبائر بقوله ((فبقي أمر الكبائر، فوجب النظر فيها، فوجدنا الناس قد اختلفوا فيها[3]. فقالت طائفة: هي سبع، واحتجوا بحديث النبي[4](صلى الله عليه وآله وسلم): ((اجتنبوا ((اجتنبوا السبع الموبقات، فذكر (صلى الله عليه وآله وسلم) الشرك، والسحر، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، التولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات))[5].

لم يترك ابن حزم شيء إلا وكتب فيه وكانت من أهم القضايا الفكرية التي تطرق لها هي: (رسالة في ألم الموت وابطاله)، وهذا ما شغل الإنسان من بداية التكوين وحتى عصرنا الحالي، نجد هذه الرسالة ناطقة حية معبرة ذات دلائل وغايات مختلفة، تحمل في طياتها معلومات وبراهين عن معرفة سبب الألم أثناء الموت.

ونص الرسالة التي ذكرها ابن حزم قائلاً: ((واختلف المتقدمون من أصحاب الطبائع في الموت: هل له ألم ام لا ألم له؟ فقالت طائفة: إنَّه لا ألم له اصلاً وبهذا نقول، برهانين: أحدهما حسي والآخر ضروري عقلي راجع إلى الحسِّ أيضاً. فأمّا الأول فهو أنّه كل من رأينا يموت، وهو في عقله، إذا سئل عما يجد فإنه يقول: لا شيء إلا الانحلال فقط، وأنَّ كل ما يحس عند ذلك الماً فإنّه ألم المرض الذي كان فيه ، كالوجع المختص بمكان واحد، وما أشبه ذلك، حتى أنَّه لابد من شيء يسميه الناس راحة الموت، ثم لا يكون بين حكاياتهم وبين زهوق أنفسهم إلا لمحة يسيرة جداً))[6].

---

(1) سورة النساء: ٣١.

(2) ينظر: رسائل ابن حزم: ٢ /٣ : ١٤٥.

(3) للاستزادة: ينظر: نفسه: ٢ /٣ : ١٤٥.

(4) اجتنبوا السبع: في البخاري (وصايا: ٢٣، ص: ٤٨، حدود ٤١، ومنهم ايمان: ١٤٤] وأبي داود (وصايا: ١٠)، وينظر: رسائل ابن حزم: ٢/ ٣ : ١٤٥.

(5) نفسه: ٢/٣ : ١٤٥.

(6) نفسه: ٢/٤ : ٣٥٩.

تكون وظيفة المُرسَل إليه في هذه الرسالة هي التأثير والاقناع لان الإنسان منذ القدم وإلى اليوم يشغله موضوع الموت وما بعده، وهذه البراهين التي اطلقها ابن حزم تعد وسيلة إقناعية لإقناع المُرسَل إليه.

٤- الرسائل الاجتماعية:

وقد كثر هذا النوع من الرسائل في العصر الأندلسي كان لذكرها وقعاً كبيراً في نفوس المتلقي وذلك لما فيها من غرابة ودهشة.

وتعد الرسائل الاجتماعية في المرتبة الثالثة من بين تسلسل الرسائل في الجدول حسب نسبتها فقد بلغت عددها حوالي (ست عشرة) رسالة، ذكر منها مجموعة من الوقائع او ظواهر اجتماعية التي لم تحدث من قبل بين اشخاص هم يمثلون أعلام التاريخ وخلفاء الأمة في ذلك الوقت.

وقد كثرت وتعدد وتفرعت وجاءت بعناوين واضح منها (من غرائب المناكح، من تزوج من غمار الناس في الخلافة وفضيحة لم يقع مثلها ....الخ)[1].

تكون هذه الرسائل ذات مرسل إليه مختلف وقد تكون الرسالة عامة لأي شخص من المجتمع تقع في يده تلك الرسالة مع اختلاف درجات المتلقي، حسب فهم النص من المرسل إليه، وقد وردت في احد هذه الرسائل التي عنوانها (من غرائب المناكح) بعض الأمور الاجتماعية مهمة منها قوله ((امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء: عبيدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها الوليد وهشام ومروان بن محمد))[2] ثم رجع ليذكر ظاهرة اجتماعية يتفاخر فيها صاحبها بانه زوج بنات الاربعة خلفاء: ((عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان تزوج بناته الوليد وسليمان ويزيد وهشام))[3] لربما ذكرت هذه الرسالة للمفاخرة بين أبناء المجتمع في ذلك الوقت أو لتبين من هم الخلفاء وتوضيح أمورهم الاجتماعية.

أمّا رسالة (ذو السعد منهم ومشائيمهم على قومهم وعلى الناس) فهي إحدى الظواهر الاجتماعية التي كانت ما تزال موجودة بين أفراد المجتمع إذ منهم من يقول فلان ذو سعد أي (محظوظاً) وآخر (متشائم) ليس متفائلاً ولا سعيداً وذكر ذلك في قوله: ((ذو السعد منهم: أُريد ذلك من سعد منهم بغير استحقاق ولا نجد ولا عناء: السفاح والمتوكل))[4] ذاكراً الأشخاص

(١) ينظر: رسائل ابن حزم: ١ / ٢ : ٦٧ و ٩٧.

(٢) نفسه: ٦٨.

(٣) نفسه: ٦٨.

(٤) نفسه: ١/٢: ٧٦.

الذين خصهم بالسعد دون غيرهم إرشاداً للمتلقي لمعرفتهم وتحديدهم، كما في قوله: ((مشائيمهم على قومهم وعلى الناس: سليمان (الظافر) بن الحكم. محمد المستكفي، ومن بني العباس الراضي، فإنه أبطل جلد الخلافة جملة فضعفت الخلافة حينئذ وبطل رسمها ولم يبق منها إلا اسمها))[1] مما يفهم المرسل إليه أنّ هؤلاء الخلفاء متشائمين على قومهم مما أدى إلى ضعف الخلافة في مدة تسلمهم للحكم ولم يبقى منها سوى اسمها فقط.

وإنّ تعدد المُرسل إليه هنا لكن المعنى الذي يريد المُرسِل إيصاله إلى المُرسل إليه وإيضاحه له أنّ العادات والتقاليد التي كانت بين بسطاء الناس هي نفسها كأن يحتك بها الخلفاء ويحاذرون منها، إذ خير مثال على ذلك قضية التفاؤل والتشاؤم بين الخلفاء التي عكست واقع الخلافة في ذلك الوقت إذ أثرت في الظروف السياسية وضعف الجيش في فترة تسلم الحكم.

٥- الرسائل العلمية:

وهي الصنف الخامس من موضوعات الرسائل عند ابن حزم التي كانت أغلبها تومئ إلى ما غلب فيها من منحى منطقي فلسفي[2] وتعد أهم هذه الرسائل ما ذكره عن ((ذكر فضل الأندلس وذكر رجالها)) ذاكراً في طيات هذه الرسالة بعض تفرعات العلوم التي برع بها أهل الأندلس بصورة عامة العلماء العرب بصورة عامة.

وأولى هذه الرسائل ما جاء في ذكر مناقب ومفاخر وفضائل علماء الاندلس إذ قال ((وأن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجهة المعارف، فإن هممهم قد قصرت على تخليد مآثر بلدهم، مكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم ....))[3]، ومن ذلك يتضح للمرسل إليه أنّ علماء أهل الأندلس وفقهائهم وحكامهم وملوكهم ذات مناقب ومفاخر ومكارم تذكر على أمد الدهر ولا يمكن إنكارها، وتعد هذه رسالة يقوم بإرسالها المرسل وهو ابن حزم الأندلسي للمرسل إليه وهم أبناء المجتمع بصورة عامة وعلى مر العصور إذ على الرغم من وفاة ابن حزم لكن ما تزال الرسالة تقرأ من قرّاء فهموا مغزى هذه الرسالة بطرائق متعددة حسب تغير ثقافتهم وحسب تمكينهم من معرفة قصدية ذلك النص الذي ثبت في طيات الرسالة.

---

(١) نفسه: ١ /٢ : ٧٦-٧٧.

(٢) رسائل ابن حزم: ٢/٤ : ٥

(٣) نفسه: ١ /٢ : ١٧٦.

إذ اهتم في تحديد مراتب العلوم وجاء ذلك في رسالة كتبها بعنوان ((رسالة مراتب العلوم في ضوء ما سبقها من تصنيف للعلوم عند العرب))[1] ذاكراً أهم المفكرين والعلماء الذين لهم صلة بالثقافات الأجنبية وبخاصة الثقافة اليونانية، فذكر الرازي، والفارابي وابن سينا، وابا حيان التوحيدي، ومحمد بن أحمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم على المستوى التطبيقي والعلمي للتصنيف، وقد بينة دلالة لفظة (عِلْم) ذكراً أنّها تغيرت في ما بعد لستحدث هذه اللفظة فاصبح يطلق عليها (العلوم) بصيغة الجمع، وكان تلك القدرة الفكرية تتفرع الى مجالين[2]:

أولهما: الرد على تلك التفريعات المتاهجة للعلوم من مثل ((العلم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان))[3]، أو مثل ((العلم علمان: علم يرفع وعلم ينفع، فالرافع هو الفقه في الدين والنافع هو الطب))[4] ومن هذا القبيل ما يرويه ابن عبد البر عن أبي اسحاق الحوفي (وقد تفوق في الرؤية على ما سبق): ((العلوم ثلاثة: علم دنياوي وعلم دنياوي واخروي، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة، فالعلم الذي للدنيا علم الطب والنجوم وما أشبه، والعلم الذي للدنيا والآخرة علم القرآن والسنن والفقه فيهما، والعلم الذي ليس للدنيا ولا للآخرة علم الشعر والشغل به))[5]، وهذه المعارف والعلوم ضرورية تتصل بعضها بالشريعة أمّا ما كان خارج عن هذه المعارف فكانوا يأخذون منها (كالطب مثلاً)[6].

وثاني هذين المجالين هو الرد على تعصب الفرد للصفة التي يحسنها أو ما يمكن أن يسمى ((غرور المعرفة القبلية))[7] وكانت صورة هذا الحل تمثل صراعاً بين فضل الأدب ـــــ بمعناه الواسع ـــــ وفضل العلم بمعناه الشمولي أيضاً.

ومن خلال التفريعات التي ذكرت لمراتب العلوم نجد أنَّ المرسَل إليه لم يحدد بشكل خاص بل هو المتلقي الواعي العارف لقيمة هذه العلوم وصلتها بالحياة وفهمها إذ كانت هذه الرسالة تخص أغلب القراء المثقفين الذين صبوا جل اهتمامهم على معرفة ما كان بالسابق من علوم ودراستها لدراسة تحديثه لكي توظف بشكل جديد ودقيق.

---

(1) المصدر نفسه: ٤/٢ : ٧.

(2) رسائل ابن حزم: ٤/٢ : ٨.

(3) ربيع الأبرار، الزمخشري: ٣ : ١٩٣.

(4) نفسه: ٣ / ٢٠١ .

(5) جامع بيان العلم وفضله: ٤٩/٢-٥٠.

(6) ينظر: رسائل ابن حزم : ٤/٢ : ٩.

(7) نفسه: ٤/٢ : ٩.

وبعد توضيحه الأسس الفكرية للفارابي وهل كان الفارابي يستمد تجديده للعلوم من منهجية متطورة؟ مثل الطب والفراسة وتعبير المنامات والطلسميات والكيمياء. بعد ذلك ذكر ابن حزم محاولة اخوان الصفا أن يلبوا حاجة الواقع حينئذ في تصنيفهم للعلوم عادوا الى انتحال قسمة ثلاثية من نوع جديد، فجعلوا العلوم الرياضية (تعني قائمة على الدربة والتمرين، وهي شيء مختلف عن الرياضيات) وشرعية وفلسفية، أي حاولوا قدر الإمكان الاحتواء الشامل لكل ضروب النشاط الإنساني[1]، موسومين من مدلول لفظة (علم) إلى أقصى حد تتطلبه طبيعة العصر، ولا بأس أن أورد هنا تقاسيمهم لطرافتها[2]:

- ❖ العلوم الرياضية تسعة هي: ((علم الكتابة والقراءة، علم اللغة والنحو، علم الحساب والمعاملات، علم الشعر والعروض، علم الزجر والفأل وما شاكله، علم السحر والعزائم والكيمياء والحيَل وما شاكلها، علم الحرف والصنائع، علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل، علم السير والاخبار)).
- ❖ العلوم الشرعية ستة هي: ((علم التنزيل، علم التأويل، علم الروايات والاخبار علم الفقه والسنن والأحكام، علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف، علم تأويل المنامات)).
- ❖ العلوم الفلسفية أربعة هي: ((الرياضيات وهي أربعة: العدد، الجومطريا، الأسطر نوميا، الموسيقى. المنطقيات وهي خمسة (ترتقي إلى ثمانية بحسب كتب ارسطاطاليس يضاف إليها يساغوجي)، الطبيعيات: وهي سبعة (بحسب ما في كتب ارسطاطاليس في هذا المجال)، الإلهيات، وهي الخمسة: معرفة الباري، علم الروحانيات، علم النفسانيات وعلم السياسية وعلم المعاد.

وهذا التصنيف ذو فائدة مركزية للمرسل إليه إذ جعله على دراسة في معرفة ما جاء به اخوان الصفا والتغيرات التي استحدثوها في مناهج من سبقهم إضافة وتعديلاً، إذ اهتموا بالعلوم النفعية دون أن يكون للطب وجود في مفاهيم، وانتبهوا في بادئ الأمر إلى علم السير والأخبار وآثروا كلمة ((التأويل)) على كلمة ((تفسير)) خدمةً لمعتقداتهم الإسماعيلية، وعدوا المواعظ والزهد والنصوص ـــــــ لأول مرة ـــــــ علماً، والتأويل تحت العلوم

---

(1) رسائل ابن حزم: ٤/٣ : ١٦.

(2) رسائل اخوان الصفا: ٢/١ ٢٦٦-٢٧٥.

الشرعية، وهذا كله يوضح للمرسل إليه الواعي مدى اهتمام إخوان الصفا بالعلوم الفقهية والشرعية، وعلوم القرآن الذي اهتموا في تفسير ما جاء به من علوم[1].

وبعد ذلك ذكر المجلس الحافل بأصناف الآداب، وأيضاً ذكر مآثر بلد الاندلس إذ ألف في التاريخ أحمد بن محمد الرازي ألف كتباً تاريخية جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها[2]، كما ذكر في تفسير القرآن كتب عديدة ومن أهمها كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد[3]، ومنها في أحكام القرآن: كتاب ابن أمية الحجاري، وكتاب البارع في اللغة الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة العرب وكتابه في المقصور والممدود ....، وأيضاً ما ألف في الشعر، هو كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الأندلس[4]، وكذلك في الأخبار والطب والفلسفة والعدد والهندسة وعلم الكلام ومذاهب أصحاب أهل الحديث والبلغاء الذي منهم أحمد بن عبد الملك بن شهيد[5].

ممّا تقدم يظهر أنّ (المرسِل والمرسَل إليه) هما عنصران لهما أثراً واضح في رسائل ابن حزم وممّا مرتكزاً المخطط التواصلي، وفي ضوء النماذج التطبيقية نجد أنّهما يتميزان بنجاحها بشكل بليغ ومؤثر .. داخل نصوص الرسائل وفعالية وظائفهما التي ظهرت بوضوح في ثنايا تلك النصوص.

كان المرسل ابن حزم في أغلب الأحيان إذ هو الباث الذي يبلغ الرسالة إلى المرسل إليه، أمّا المرسَل إليه كان متنوعاً فهو واضح كصديقه الذي كتب من أجله رسالة طوق الحمامة أو متعدد إذ وجه معظم رسائله الفقهية للناس عامة، أعلى اعتبارها حكم فقهي، أو غامض أراد إضماره لغاية في نفسه أو لأنّه أمر سياسي يتعلّق بالخلافة فأخفاه كل ذلك يوضح لنا دقة ابن حزم الأندلسي في إيصال الرسائل التي كتبها للمتلقين.

---

(1) رسائل ابن حزم: ٣/٤ : ٩-١٧.

(2) ينظر: نفح الطيب ١/٢٢٧، والإحاطة : ١ / ١٠٩.

(3) ينظر: رسائل ابن حزم ١/٢ : ١٧٨.

(4) المغرب: ١/١ : ٤٦٨، وينظر: طبقات الشعراء: ابن سعيد، المغرب ١/١١٥ ، ١٢٥.

(5) ينظر: رسائل ابن حزم، ١ /٢ : ٢٧٢ -١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ - ١٨٤.

الف[illegible]

العوامل المكملة للتواصل وفاعليتها في رسائل ابن حزم

- **المبحث الاول: السياق في رسائل ابن حزم**
- **المبحث الثاني: قناة الاتصال في رسائل ابن حزم**
- **المبحث الثالث: الشفرة في رسائل ابن حزم**

الفصل الثالث

العوامل المكملة للتواصل وفاعليتها في رسائل ابن حزم

مدخل:

أرتأى البحث ان يفحص العوامل المكملة في مخطط نظرية التوصيل بحسب المصطلح الذي وضعه جاكبسون ووصل الينا مترجماً بـ(العوامل التي تنهض بمهمة تكميلية لإيصال الرسالة من المُرسِل الى المُرسَل إليه وهذه العوامل التكميلية هي: السياق، قناة الاتصال، الشفرة)[1].

ذكر الباحثون والمترجمون والنقاد تسميات كثيرة لهذا المصطلح بحسب المفاهيم المتعددة لماهية هذه العناصر ووظائفها، لكننا اعتمدنا المصطلح الذي ورد عند مترجمي كتاب جاكبسون، محمد الولي ومبارك حنون، علماً أن جاكبسون لم يضع وصفاً مستقلاً بل تستكشف وصفها من خلال تحليله لقيمتها ووظيفتها في عملية التواصل.

وسيبحث هذا الفصل العوامل المكملة بحسب ورودها في مخطط جاكبسون من الاعلى الى الاسفل وستتم دراستها من خلال استيفاء الجانب النظري باختصار، لأن ثمة هناك مصادر كثيرة استوفت الجانب النظري[2]، وتمت العناية التطبيقية على رسائل ابن حزم بحسب التصنيف الموضوعي الذي درسنا وتم تطبيقه في الفصلين السابقين.

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧.

(٢) ينظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي، ونظرية التوصيل، سعر كاظم الشوجري: ٢٢١- ٢٩٧.

المبحث الاول

السياق في رسائل ابن حزم

أولاً : السياق المفهوم والوظيفة:

يعد السياق عنصراً مهماً من عناصر مخطط جاكبسون، إذ جاء في اللسان ما نص ((السوق: معروف ساق الإبل يسوقها وسياقاً، وقد انساقت وتساوقت الإبل بمعنى تساوقاً إذا تتابعت وتقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، والسياق المهر))[1]، وقال الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في السياق هو ما فسر به قوله تعالى: [ﭼ ﭽ ﭾ][2]، إذ وضح ذلك بقوله: ((قيل عني التفاف الساقين عند خروج الروح ، وقيل التفافهما عندما يُلفان في الكفن))[3]، ومع الاختلاف البسيط بين الدلالتين إلاّ أنّ المعنى واحد عند أبي منظور والأصفهاني هو الربط والتتابع .

وقد عرف السياق على أنّه: ((ضم الكلمات بعضها إلى بعض، وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعهما، وما توجيه من معنى وهي مجتمعة في النص))[4]، بيد أنّ مفهوم السياق أعمق وأوسع من ذلك فهو ليس مجرد تراصف كلمات وضم بعضها لبعض، هو المعاني الكامنة داخل هذه الكلمات والدلالات المختلفة إذ ترتبط بالسياق الذي يضم هذه الكلمات لتصبح جملة أو عبارة ذات دلالة معينة أو لربما تحمل عدة دلالات.

يُعدّ السياق العنصر الرابع من عناصر نظرية التوصيل الأدبي، وقد تنوعت المصطلحات والتسميات التي أطلقها النقاد والباحثون على السياق لكنها أشهر تسمية استعملت كثيراً في الكتب النقدية ومن تلك التسميات:

١. السياق (Context)[*] ((فالسياق لفظة من سابقة con)) تعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوظيف النص وهي فكرة تتضمن اموراً أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة))[1].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور مادة (سوق): ١٠/١٦٦؛

(٢) سورة القيامة: آية: ٢٩.

(٣) معجم مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (د.ت):٢٥٥-٢٥٦.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة بيروت، لبنان، ١٩٧٩: ٢٨٨.

(*) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧، والخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي: ٧.

٢. الموقف: ويسمي بعض الكتّاب السياق بالموقف[٢].

٣. المرجع (Referent)[٣] استعمله جاكبسون للدلالة على عنصر وظيفة السياق.

٤. القرينة(٤)

٥. المحتوى (Context)[٥]

من الجدير بالذكر هناك تسميتين قد ذكرتهما الباحثة سحر كاظم الشجيري هما المقام والموضوع وقد عرفت المقام بأنه اعم من السياق إذ إنه يشمل النص والسياق[٦].

وقد عرف السياق بأنّه تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ومن خلاله يتحدد المعنى المقصود، ويشمل السياق ضم الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى وهي مجتمعة في النص[٧].

وعرفوه أيضاً بأنّه: ((دراسة الكلمة داخل التراكيب أو التشكيل الذي ترد فيه، إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي، أو لا تتحد دلالتها إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة))[٨].

والنظم السياقي هو الذي يوضح قصد الكلمة وما هو القصد منها، كما في قول ستيفن أولمان: ((السياق وحده هو الذي يوضح لنا، ما إذا الكلمة ينبغي ان تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها اساساً، التعبير عن العواطف والانفعالات))[٩].

---

(١) السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، أ. خلوصة لحمادي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٢،٣، قسم الادب العربي، جامعة محمد خضير ـــــــ بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٨: ٤.

(٢) ينظر: معجم النقد العربي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري: ١٠٤.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية : ٢٧.

(٤) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: ٣٢.

(٥) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط١، ٢٠٠٧: ٢٤.

(٦) ينظر: نظرية التوصيل، سحر كاظم الشجيري: ٢٢٩.

(٧) ينظر: معجم مصطلحات الادب: ٨٨.

(٨) علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ـــــــ ليبيا، ط١(د. ت):٩٥.

(٩) دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة: كمال بشر، (د.ت): ٣.

ويتضح لنا من خلال الدور المهم للسياق إذ إنه يمكن لمفردة واحدة أن تؤخذ وظيفتها بطريقة مختلفة اعتماداً على السياق الخاص الذي تستعمل فيه.

((فالسياق هو الذي يوضح الأسرار والنكت الدلالية في أسلوب النص، ويكشف عن الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التركيب، وربط الخصوصيات التركيبية بالغرض العام، فضلاً عن أنّ السياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في كل حالة من الحالات))[١].

وضرورة تواجد عنصر المرجع في كل رسالة، وسياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية، أو تُفكك رموزها المتنيّة إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ولهذا ألحّ جاكبسون على السياق بوصفه العامل المُفعّل للرسالة بما يمدُّها به من ظروف وملابسات توضيحية[٢].

أ. أنواع السياق .

وقد ينقسم السياق على قسمين سياقٌ لفظيٌ وآخر السياق غير اللفظي ولهذا دعا اللساني الفرنسي (د. مانجنيو D. Maingueneau) إلى التمييز بين السياق اللفظي، والسياق غير اللفظي[٣]، والسياق اللفظي هو اشترطه جاكبسون في مرجعية الرسالة.

وتختلف وجهة نظر النقاد حول السياق وانواعه، ومفاهيمه وعناصره ومن بين هؤلاء النقاد (عبد الهادي بن ظافر الشهري) إذ يرى السياق يضطلع بأدوات كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد المرسل، ومرجع العلامات، وكيف تؤثر كل منها في استراتيجية الخطاب من حيث انواع العلامة ومن حيث تجسيدها[٤].

نقف على تصنيف السياق المميز الذي يكفل الفصل بين ما ينتسب إلى اللغة، وما ينتسب إلى العناصر التي تؤثر في تشكيلها خطابياً[٥]، وانواع السياق هي[١]:

---

(١) الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، د. ترك حاكم الزيادي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة الصادق الصادق الثقافية، العراق، بابل ـــــــ الحلة، ط١، ٢٠١١ : ١٤٥.

(٢) ينظر: التواصل اللساني والشعرية: ٣٠.

(3) Domininque Maingueneau. Lestermescl'es de del'Analyse du Discours .P.26. Seuill, 1996. Paris. France. (نقلاً : عن كتاب التواصل اللساني والشعرية : ٣٠)

(٤) ينظر: استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)،عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـــــــ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤، ٤٠.

(٥) ينظر: نفسه: ٤٢.

١. سياق القرائن (Co–text as context) أي السياق النصي.

٢. السياق الوجودي: (Existential).

٣. السياق المقامي: (Situalioal context).

٤. السياق النفسي: (Situational context).

ويتمثل السياق بما يمكن أن نسميه الجو الخارجي الذي يلف انتباه المخاطب، من ظروف وملابسات، وتعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق، ويمثله طرفا الخطاب المرسِل والمرسَل إليه، وما بينهما من علاقة، فضلاً عن مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء، وما يحيط بهما من عوامل حياته اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية، وأثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الآخر[٢].

ويُعدّ ((السياق وهو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام بين طرفي الخطاب، وذلك من خلال عدد من العناصر))[٣].

ما يهمنا من أنواع السياق هو (السياق الأدبي) فهو السياق التعبيري، ويتضح هذا النوع من السياق في النصوص الأدبية: الشعرية والنثرية، أكثر من اللغة الاعتيادية؛ لأنَّ الاعتيادية تلقائية لا تصدر عن وعي ولا عن اختيار، وهي تشكل معظم النشاط اللغوي الإنساني[٤]، ويدرس هذا النوع من السياق الكوامن التعبيرية ويسير على نمط اللغة الخلاقة التي أكدها (جومسكي في نظريته اللغوية بأنَّ اللغة Creative تتكون من عناصر محدودة وتنتج أو تتولد) أنماطاً أخر من عناصرها المحددة.

ومن ضمن السياق الشعري الأدبي (السياق المبتكر):

الابتكار هو أحد وسائل الشعراء أو الأدباء إذ يساعد على التجديد وكسر قوالبها المؤلفة أي كسر أفق التوقع[٥].

---

(١) ينظر: نفسه: ٤٢.

(٢) ينظر: استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٧٠.

(٣) نفسه: ٧٦.

(٤) ينظر: علم اللغة وعلاقته بعلم الأسلوب، د. سلمى النباخ، مجلة فصول ع ٧٩ / ١٩٨٢: ١٤.

(٥) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي، د. محمد العبد، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٨: ٩٢.

السياق المبتكر هو سياق حديث النشأة ويتضح في الشعر أكثر منه في النثر لأنّ قضية الشعر هي قضية السياق المبتكر(١).

ثمّ السياق الأسلوبي عدول عن نمط عادي متواضع كل ما يخرج بحدده الاستعمال ويختاره الكاتب يوضح كل ما يخرج بالعبارة عن حياد وينقلها من تجريدها إلى خطاب يتميز به الكاتب، فالأسلوب هو أفكارنا تضفي عليها من نسق وحركة تسجل من خلالها عبقرية أو موهبة الكاتب أو المتكلم(٢).

ب. القراءة الإسقاطية وأثرها في السياق

تُعد القراءة الإسقاطية هي الموجه للسياق في ميدان النقد الحديث، إذ إنّ القراءة الإسقاطية لا تركز على ثقافة القارئ النقدية بل تركز على قضية معينة يريد القارئ إثباتها في النص(٣) وهذا يعني أنّ ((القراءة الاسقاطية: هي نوع من القراءة عتيق وتقليدي لا تركز على النص ولكن تمر من خلاله ومن فوقه نحو المؤلف أو المجتمع، وتعامل النص كلّه وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية أو تاريخية، والقارئ فيها دور المدعي العام الذي يحاول إثبات التهمة(٤))).

إذ إنّ القارئ في هذا النوع من القراءة ((يتبنى رؤية منهجية أحادية التحديد، لا تنظر إلى الخطاب الشعري، كبنية، وبالتالي فهي تعمد إلى تحديد انطلاقاً من المستوى المتفرد والوحيد بمعزل عن باقي المستويات الأخرى التي تشكل هيكليته، فهنا تكمن ضحالة الاستبصار المنهجي))(٥)، أي أنّ الرؤية المنهجية هي مركز القراءة الاسقاطية التي لا تنظر إلى الخطاب الشعري، كبنية.

السياق بالمعنى الاجتماعي (السوسيوثقافي) ينص على أنّ الشاعر (مهما يكون من عبقرية واصالته وتفرده يتأثر بأحوال الجنس والبيئة والعصر التي عاش فيها، من

---

(١) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، أ.د. عواطف كنوش المصطفى: ٦٩.

(٢) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، أ.د. عواطف كنوش المصطفى: ٧١ ، وينظر: الاسلوب والاسلوبية، بيرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الانماء القومي، بيروت،(د.ت): ٢٢. وللاستزادة ينظر: الدلالة السياقية باللغويين، ٥١–٨٥.

(٣) ينظر: التلقي في شعر ما قبل الاسلام، اطروحة دكتوراه، للطالبة: حسنة محمد رحمة الساعدي، جامعة بغداد، كلية تربية للبنات، بإشراف: د. شجاع مسلم العاني، ٢٠٠٢: ١٦٩.

(٤) الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس، أحمد أبو إسماعيل (الفيصل)، ع ٩٤، س١٩٨٥: ١٢٦.

(٥) بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي: ٦.

سياسة ومعايشة، مادية وفكرية وقد كان هذا التأثير واضحاً جلياً، وقد يكون مستتراً خفياً لكنه دائماً موجود .. فإن نبغ الوصول إلى الاستجابة العاطفية وتذوق الجمال ينبغي وضع النص في بيئته وعصره وربطه بأحوال قومه المادية والعاطفية فننظر إلى الشعر بعيونهم ونسمعه بآذانهم ونحسس تجاربهم في مكانهم وزمانهم ..[1] فلا وجود لسياق جاهز، معطى سلفاً، فإنّ طبيعة العوامل المؤثرة لها اهمية في تغيير السياق كالزمان والمعرفة والاستعمال، إذ إنّ هناك فقط معرفة سياقية تستثمر ما يتوافر لديها من معطيات نصية وتداولية، ترجع فهماً معيناً للنص بين احتمالات عديدة، لماذا لا يوجد سياق محدد ولما لا يمكن تحديده؟ يرجع السبب المباشر في ذلك لتغير الشروط المعرفية والثقافية وآفاق الانتظار، ويظل السياق مفتوحاً على سيرورة بناء جديدة وغير محددة[2]، لأنه ((لا توجد أية حدود لما يمكن أن يشتمل عليه سياق معين))[3].

وبناءً على ذلك فإنّ السياق يظل مفتوحاً لأنه يشمل على معطيات ووقائع جديدة التي تصاحب قراءة النص – إذ تخضع لعملية إعادة بناء في كل مرحلة [4].

((تغيير السياق يمكن أن ينقل عبارة واحدة من مدح إلى ذم ومن تقرير محدد إلى تلميح خفي، بل إنّ السياق يمكن أن ينقل الكلمة إلى ضد معناها المعروف))[5]، فتغيير السياق ناتج عن تعددية النص وتغيره إذ أنّ لكل نص سياق معين خاص به ((وبما أنّ أي رسالة لا يمكن أن تدل إلاّ في سياق معين، وفي علاقة بهذا السياق، فإنّ الهوية السيميوطيقية للنص، تكون قابلة للتعبير سياقياً، بمعنى أنّها غير منفصلة عن الوضع التاريخي الذي ترهن في إطاره))[6].

---

(1) الشعر الجاهلي، محمد النويهي: ٢٠٩/١، من سلطة النص الى سلطة القارئ س، الفضل ثامر، الفكر العربي، المعاصر، ع ٤٨-٤٩، ١٩٨٨: ١٨.

(2) ينظر: استراتيجية التأويل، من النص إلى التفكيكية، محمد بو عزة، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١١: ٤٨.

(3) نفسه: ٤٩.

(4) ينظر: نفسه: ٤٩.

(5) اللغة والإبداع، شكري محمد عياد، انترناشيونال برس، مصر، ط١، ١٩٨٨: ١٣٢.

(6) Jean – Marie Schaeffer, Quest–ce qu'un Gener Literature Paris, ‹Editions du seuil. 1989, P.134. (نقلاً عن: اللغة، قدريس:٢٢٨)

ت. أهمية السياق في النص .

تعد الدلالة مرتكزاً لمخطط الاتصال، وترتبط الدلالية بالسياق إذ إنّ المهمة الكبرى للسياق هي تحديد المعاني الدلالية، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ وهذا ما أشار إليه فندريس قائلاً ((إنّنا حين نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلاّ المعنى الذي يعنيه سياق النص، أمّا المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً))[1].

كان السياق في أغلب الأحيان مهملاً من اللسانيين وعُدّ ثانوياً عرضياً، إلا أنّ الدرس اللغوي الحديث (ما بعد البنيوية) نظر له بأهمية أكبر وأعاد له الاعتبار، إذ أصبح مقر اهتمام كثير من الدراسات المعاصرة مثل تحليل الخطاب، لسانيات النص، البلاغة، التداولية، التواصل ...، وقد حدد ((أوركيوني)) السياق إذ قال: ((نفهم من السياق المحيط غير اللغوي للملفوظ وذلك بمقابلته بالمحيط اللغوي))[2]، ويتضح من ذلك انتباه ((أوركيوني)) لأهمية السياق في مخطط التواصل ، والتحليل الخطابي، إذ حدده بدقة متناهية[3].

((يرى هايمز (Hymez) أنّ للسياق دوراً مزدوجاً إذ يحصر مجال التأويل ...ويدعم التأويل المقصود))[4].

ولهذا السياق الذي يقوم بدور مزدوج خصائص يرى هايمز (Hymez) يمكن تصنيفها إلى[5]:

١. المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

٢. المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

---

(١) اللغة، فندريس: ٢٢٨.

(٢) ينظر: التداولية واستراتيجية التواصل، د. ذهبية حمو الحاج، رؤية للنشر والتوزيع، مصر ـــــ القاهرة، ط١، ٢٠١٥: ٧٥.

(٣) ينظر: نفسه: ٧٥.

(٤) لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١: ٥٢.

(٥) نفسه: ٥٣.

٣. **الحضور**: وهم مستمعون آخرون حاضرون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

٤. **الموضوع**: وهو مدار الحديث الكلامي.

٥. **المقام**: وهو زمان ومكان الحدث الكلامي (التواصلي)، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

٦. **القناة**: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة ..

٧. **النظام**: اللغة أو اللهجة أو الاسلوب اللغوي المستعمل.

٨. **شكل الرسالة**: ما هو الشكل المقصود: دردشة جدال، عظة خرافة ...

٩. **المفتاح**: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة شرحاً مثيراً للعواطف.

١٠. **الغرض**: أي أنّ ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي ونجد قسماً من هذه الخصائص العشر للسياق هي من عناصر مخطط الاتصال عند جاكبسون وهي (المرسل والمتلقي) إذ هما مرتكزان رئيسان من عناصر مخطط الاتصال، كما أنّ هناك تشابهاً في القناة والنظام عند هايمز، أو القناة أو الرموز المشتركة عند جاكبسون.

ويعرف دلالة السياق بأنّها: ((فهم النص بمراعاة ما قبله ما بعده))(١)، كما نجد تعريفاً لدلالة السياق عند الدكتور يوسف العيساوي يضيف فيه دلالة السياق بالقرينة، ويشير في تعريفه إلى أجزاء السياق وهما: السباق واللحاق، كما يشير إلى نوعي السياق المقامي والمقالي إذ يقول: ((قرين توضح المراد – لا بالوضع –تؤخذ ممن لاحق الكلام الدالة على خصوص المقصود، أو سابقه))(٢).

ثـ. غموض السياق:

---

(١) الدلالات السياقية للقصص القرآني قصة النبي موسى(عليه السلام) نموذجاً، رسالة ماجستير، للسيد: بوزيد رحمون، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر)، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربية، (د.ت): ١٠.

(٢) أثر العربية في استنباط الاحكام الفقهية من السنة النبوية، يوسف العيساوي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ: ٣٧٧.

الغموض: عرف أومبسون الغموض بأنه ((كل ما يسمح لعدد من ردود الفعل الاختيارية إزاء قطعة لغوية واحدة))[1].

ومن أهم دواعي الغموض هي: غموض مدلول كثير من الألفاظ وصعوبة تحديدها من المتلقي، أي عندما يحاول المتلقي استدعاء الصورة الذهنية لشيء ما كأن تكون منضدة، لن يتبادر في ذهنه إلاّ فروض محددة مثلاً: الأعلى هيكل عام استخلص استخلاصاً من المناضد المتنوعة التي قابلتها او وقعت تحت خبرتنا، أمّا حجم هذه المناضد ولونها والمادة التي صنعت منها، وشكلها، فالسياق وحده كفيل بتحديد هذه التفاصيل وتوضيحها[2]، وكثير من الأحيان توهم السياقات بتفاسير ودلالات ربما تكون لا تمد لها بصلة لكن تخيل المتلقي واسقاعه وتجسيد الصورة لذلك السياق ويجعل اكثر التزاماً بما يدور في باله من دلالة.

وأيضاً ينشأ السياق الغامض من كثير من المدركات العامة والامور المجردة[3]، إذ ليس من المدهش أن تختلف معاني هذه المدركات او تتداخل او تتضارب، إلى حد بعيد لاعتمادها السياق الذي يكشف لنا غموضها، لهذا ترجع صعوبة الوصول الدراسة الحقيقية للشعر المعاصر واضح من المسائل الشائكة عند بعض الشعراء، ومن هنا جاء اختلاف طريقة تعامل القارئ مع قصيدة الشعر الحر والشعر العمودي، إذ إنّ ما يضاف للسياق من كثرة الظلال والألوان على الألفاظ إذ تصبح الدلالة المعجمية قاصرة عن إيصال الدلالة التي أرادها الشاعر بالدلالة، ومن تضارب الدلالة المعجمية مع دلالة السياقية ينشأ الغموض[4].

يُعد ارجاع الضمير على المجهول لم يسبق تحديده، هو أحد الأسباب لغموض السياق، إذ إنّ هناك كثيراً من النصوص الأدبية يكون القارئ عاجزاً عن إرجاع الضمير

---

(1) W' seven types of Ambignit , Empson, P. 79 .(نقلاً عن: التأويلية واستراتيجية التوصيل:٧٧)

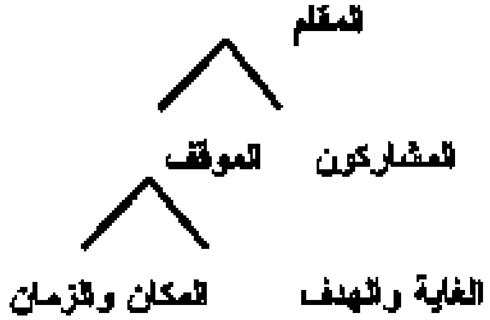
(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة، أولمان: ١٠٠.

(٢) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى: ٢٣٢.

(٤) ينظر: المعاظ من الغموض في الشعر العربي الحر، د. خالد سُليمان، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، (د.ط)، ١٩٨٧: ٥٦.

في الجملة على مرجع معين، وذلك لعدم وجود قرينة محددة في النص أو الجملة تعينه على تحديد المرجع[1].

يعد المقام أحد التسميات الاصطلاحية للسياق وكثيراً من النقاد والأدباء استعملوا مصطلح (المقام) بدلاً من السياق لذا نجد أنّه ينقسم على عدة مكونات منها[2]:



المخطط رقم (١٣)

تقسيم مكونات المقام

١. **الإطار المكاني**: يمكن النظر إليه في ظواهره الفيزيائية، بمعنى المكان الذي يحدث فيه الخطاب (شقة خاصة أو غرفة محددة)، محل تجاري، مطعم، مقر طبي .. هل هو مكان مفتوح أم مغلق، عام أم خاص، ضيق أم شائع ، كيف يقدم الديكور والتنظيم التقريبي للمكان (الوضعية الخاصة بالمشاركين) وجهاً لوجه، أحدهما إلى جانب الآخر، المسافة التي تفصل بينهما.

٢. **الاطار الزماني**: يحدد هذا الإطار زمن وقوع الخطاب أو أي تبادل خاص أو مميز، مثلاً تحديد اللحظة التي يجب فيها إلقاء التحية، انطلاقاً من متى، وإلى متى من الملائم تقديم التهاني الخاصة برأس السنة الميلادية، فمن المهم للعمل التخاطبي

(١) ينظر: نفسه: ٧١.

(٢) التداولية واستراتيجية التواصل: ٧٦.

الجيد والناجح أن تقول قولاً ملائماً وفي الوقت الملائم تطبيقاً لما ذهب إليه العرب في قديم الزمان بمقولتهم الشهيرة: ((مراعاة المقام مقتضى الحال))[1] أو ((لكل مقام مقال)) فهناك أوقات خاصة بالإعلانات، وأوقات خاصة بالبوح بالأسرار، وهناك أوقات يكون فيها الخطاب ميتاً، ويتحدد خاصة في حالة السكون، أو حالة النوم مثلاً.

٣. الغاية: وهي عنصر ذو مكانة مميزة في النظام الشامل تتموقع غاية التخاطب بين ما يدعى بزاوية النظر (ذات الاتجاه الخاص) والمشاركين (ذوي أهداف خاصة)، ويمكن التمييز بين عدة غايات وعدة مستويات، فتختلف الغاية العامة او الشاملة (زيارة الطبيب مثلاً) عن الغايات التي تتطابق مع كل فعل كلامي مميز محقق في اثناء التخاطب أو التفاعل، وجميع المكونات الأخرى الخاصة بالسياق، توجد الغاية أو الغايات في حدود تفاعل ما، وتتموقع خارج ذلك، لكنها مكونة ضمن الحالة التفاعلية، ويتبادلها المشاركون في التخاطب بصفة مستمرة ، إذ يمكنهم امتلاك غايات خاصة ومختلفة [2].

فالسياق ليس بمجرد حالة لفظ، ولكن يتميز بالدينامكية المحركة، ثم أنّ المواقف لا تظل متماثلة في الزمان ولكن تتغير، وذلك تبعاً للنشاطات المشتركة لكل إذ من المتكلم والمخاطب، إنّها تقتضي استيفاء خواص (الآن) و (الأنا) من الوجهة التواصلية والمنطقية[3].

ويعد السياق محرك الخطابة التواصلية فهي تحتكم له، اذ يضمن انسجامها، وما يتغير فيه كامن في العلاقات، ويتم اختيار المشاركين الفاعلين والمنفعلين لإنجاز الفعل التواصلي، أي القابلين لإنجاز الافعال، فيمكن إيجاد وظيفتين:

١. وظيفة حال التكلم
٢. وظيفة حال التلقي

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ ت(٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٥؛ ١/١٢٥-١٢٦.

(2) Les in leractionverbàles , C.K. Orecchioni, op : 79.

(٣) ينظر: التداولية واستراتيجية التواصل: ٧٨.

وتتميز قيم هذه الوظائف في كل حالة من السياق، إذ لا نجد مشاركاً واحداً إذ يكون متكلماً ومستمعاً في الوقت نفسه مع أنّه توجد حجج سيكولوجية تخول للمتكلمين أن يسمعوا عباراتهم الخاصة بهم[1].

والجدير بالذكر أنّ السياق هو ما يجعل المتكلم في بعض الحالات يتحدث مع نفسه، وفيه تظهر الوظيفة ((التعبيرية)) والوظيفة ((الانفعالية)) بصفة جليّة فهل تعد مواقف تواصلية؟ وهل يمكن الحديث عن الفعل الإنجازي في هذه الأحوال؟ تظهر الحالات نفسها حين يتحدث شخص ما وهو نائم، أو يسمع إلا أنّه لا يعير انتباهاً لما قيل (وتتجلّى (إذن العلاقة بين المتكلم والمخاطب على وجه خاص، إذ لا ينتظر المتكلم مشاركة غيره في الكلام)[2].

لقد وضح ((برلمان وتيتكا)) أهمية المتلقي إذ جعلوه المحور الأساس الذي ارتكزت عليه الخطابة القديمة والحديثة أيضاً، لقد كان المتلقي قديماً متجسداً في المتلقي السامع فقد بحكم كونها خطابة منطوقة، فهو يميل في الخطابة الجديدة إلى المتلقي القارئ، ويشير ((برلمان)) إلى أنّ ما يجب من القديم هو فكرة المتلقي التي ترد الى الذهن – مباشرة – عندما نفكر في الخطاب، لأنّ كل خطاب موجه الى متلق، وغالباً ما ننسى أنّ الأمر كذلك في كل خطاب مكتوب، ويعد الخطاب بلغة المتلقي، ولكن الغياب المادي للقراء قد يجعل الكاتب يعتقد انه وحيد في العالم، بينما نصه في واقع الامر وعلى الكاتب ذلك أو لم يعِ – مشروط دائماً بالاشخاص الذين يقصد مخاطبتهم[3].

فلم يبقَ المتلقي ذلك الطرف السلبي الذي يستمع فقط وإنّما استوجب الأمر منه أن يفكر، وأن يجيب، وأن يناقش وأن يدحض أو أن يساند – ومن ثم تتم المحاورة في اتجاهين مختلفين ومتعاكسين (أ) – (ب) / (ب) – (أ) بينما يقع المرسل(أ) في الخطابة

---

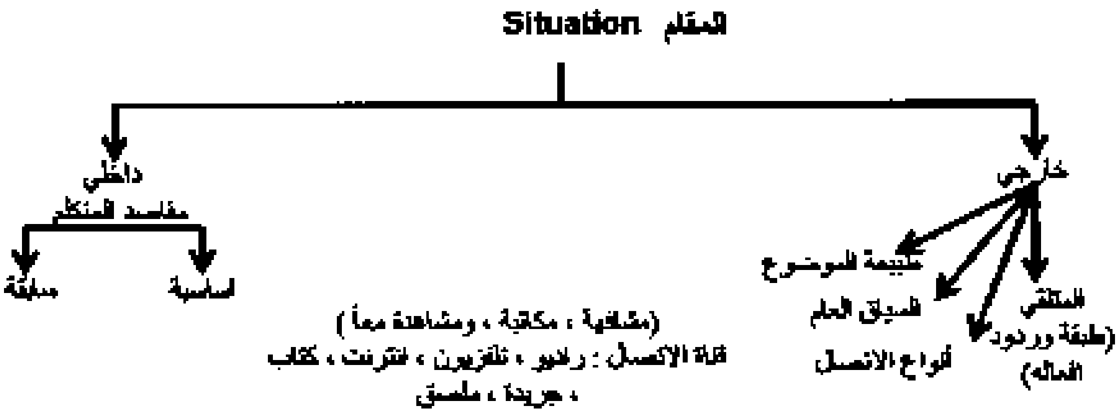
(١) ينظر: النص والسياق ــــــ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠: ٢٥٧.

(٢) ينظر: التداولية واستراتيجية التواصل: ٧٨–٧٩.

(3)G. Perelman, L .Olbrechts –Jyteca, La nouvelle metorique , traite de l'argumentation, 1958. (نقلاً عن : التداولية واستراتيجية التواصل: ٧٩)

القديمة في أعلى مرتبة لينظر إلى المتلقي في أعلى، وبذلك يمكن للحديث عن العلاقة الأفقية (الخطابة الجديدة) والعلاقة العمودية (الخطابة القديمة)[1].

إذ ارتكزت الموضوعات البلاغية عن (البيان والمقام) وقد تحدث فهذا الشأن (جميل عبد المجيد) إذ وضع خطاطة المقام التالية:



مخطط رقم (١٤)

أنواع المقام

بيد أنّ هذا المخطط معقد نظراً لما يمليه علينا التواصل من ظروف وشروط إذ إنّ تنظيم وسائل الاقناع مرتكز رئيس فيه والنظر إلى الطرف السامع ومكانته وظروفه واستعداده فأصبح الناس يقيمون بالملفوظات أكثر من غيرها[2].

ج. مركزية السياق في عملية التوصيل الأدبي:

عملية التوصيل ليست مجرد إبداع المرسل لرسالة وتنتهي عند تلقي المرسل إليه لتلك الرسالة، فهي تحتاج إلى محيط لغوي ومحيط اجتماعي أو نفسي أو ثقافي ومحيط أدبي، فإنّ ((من الطبيعي أن يحدث الاتصال في محيط أو سياق محدد، بل إنّه من غير الطبيعي التصور بإمكانية حدوثه في فراغ، فالاتصال دائماً وأبداً يولد من خلال موقف معين))[3]. إنّ أهمية السياق كعنصر الابداع الأدبي واضحة جداً، وتتضح هذه الأهمية من ((قواعد الإحالة التي تتحكم في طبيعة العلاقة المعقدة بين الفن والواقع وبين الكاتب

---

(١) نفسه: ٢٩٥.

(٢) ينظر: التداولية واستراتيجية التواصل: ٢٩١-٢٩٢.

(٣) علم الاتصال المعاصر ــــــ دراسة في الانماط والمفاهيم وعلم الوسيلة الاعلامية في المجتمع السعودي، د. عبد الله الطويرقي، مكتبة العبيكان، الرياض ــــــ السعودية، ط٢، ١٩٩٧: ٢٧.

ومجتمعه وبين العمل الإبداعي والتقاليد والموضوعات الأدبية التي تنهض عليها عمليتا الخلق والتلقي، وعلاوة على ذلك بين العمل الفني، وكل المسلمات التي تنطوي عليها التقاليد والموضوعات الحضارية السائدة في الواقع الذي يصدر عنه ويطمح إلى الفاعلية فيه وهي علاقة مضمرة في كل الاعمال الإبداعية مهما كانت طبيعة توجهاتها، أو نوعية قضاياها، أو نوعية قضايا، أو نوعية قضاياها وعوالمها وإذا ما تغيرت قواعد الإحالة تغير معهما الفن))[1]، فملازمة الأدب للسياق من الركائز المهمة في النصوص الأدبية إذ لا غنى للأدب عن السياق ولا غنى للسياق عن الأدب فكلاهما متلازمان ومتصلحان إذ يتوقف السياق على وجود نص ادبي وبالعكس، ولعل مفهوم هاليدي للسياق قريبٌ من هذا إذ يرى فيه النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهذا النص المصاحب لا يُشترط فيه أن يكون قولياً، إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثل بالبيئة الخارجية [2].

من ذلك التلازم بين الادب وسياقه، تظهر لنا الأهمية البالغة للسياق فبتغيره يتغير فهم الأدب، بل تتغير طبيعة الأدب نفسها، ولذا يشير ديفيد لوج في توضيح لنظرية جاكبسون إلى أن يغير مواقف النص ومجازاته[3].

ج. رؤية النقاد المعاصرين للسياق:

أولى النقاد العرب السياق اهمية خاصة ومن بين هؤلاء النقاد د. محمد عبد المطلب، إذ حاول قراءة نظرية السياق في ضوء أصولها التراثية والنقدية مؤكداً أنّ البلاغيين القدماء قد لاحظوا ظاهرة السياق من خلال مقالاتهم الدقيقة إن لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة السياق وربطها بالصياغة، أو بعبارة الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به[4]، إذ يرى أنّ فكرة السياق نالت جهداً من النقاد

(١) الخطيئة والتكفير: ٧.

(٢) ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث: ٨٢-٨٣.

(٣) ينظر: النظرية الأدبية المعاصرة: ١٠١.

(٤) ينظر: البلاغة والاسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٣٠٥.

القدامى لكنها لم تكن متبلورة تماماً، فخاصية النظرة الشاملة لم تتوفر لهم بدواً من رصدهم للنقطة إلى تحليلهم للجملة[1].

خلاصة رأيه هو تصويب النظرة إلى الكل وعدم إلغاء الجزء أو توقف تأثيره في السياق هو عين ما نادى به ابن الأثير في كتابه ((المثل السائر))[2].

رأى نقاد آخرون أن الحديث حول السياق لم يكن مقصوراً على عدد معين أو محدد من الكتاب، فقد عبر كثير من الكتاب والنقاد عن وجهة نظرهم في دراسة السياق وأثره في النص الأدبي سواء من جهة التنظير أم من جهة المقاربات النقدية التطبيقية لبعض النصوص[3]، هناك رأي ينظر إلى السياق نظرة حداثوية فيتكلم عن مفهوم النسق، فتقول: ((يتحدد هذا المفهوم في نظرتنا إلى أبنيته ككل، وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية تلك لأنَّ البنية ليست مجموعة عناصر، بل هي هذه العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة، فالعنصر خارج الشيء غير داخله، وهو يكتب قيمته البنائية، وعلاقته ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي تنهض بها البنية فتنتج نسقها، فالماء مثلا رمز في القصيدة العربية قيمة هذا الرمز ودلالته في شبيه نص شعري جاهلي غيرَ قيمته ودلالته في بنية نص شعري للسياق، ففي البنية اوفى الكل الذي له نسق يكتب الرمز قيمته وليس العكس))[4].

السياق هو يتجلّى في العلامات المعجمية والتركيبية التي تصف النص بالالتحام أو كيان التماسك أو الاتساق سواء داخل النص أم مع الموقف الذي ورد فيه النص[5].

يمكن أن نعرف السياق بأنَّه طريقة النظم التي يقتضيها بناء النص الأدبي مع مراعاة الحال والمقال[6]، وعلى غرار ذلك التعريف نستطيع أن نفرق بين نوعين من السياق[7]:

---

(1) ينظر: نفسه: ٣٤٩.

(2) للاستزادة ينظر: دلالة السياق وآثارها في النص الأدبي دراسة نقدية، محمد مختار جمعة مبرك، بحث مستل من المجلة العلمية لكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ع٢٣، لسنة ٢٠٠٥: ١٢٩٤ -١١٩٧.

(3) ينظر: نفسه: ١٢١١.

(4) في معركة النص (دراسات في النقد الادبي)، د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد) دار الآفاق الجديدة للنشر، بيروت، ١٩٨٥: ٣٢-٣٣.

(5) ينظر: دلالة السياق، د. ردة الله بن ضيف الطلحي جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤هـ: ٦٢٩.

أولاً :سياق النص :

هو ما يقتضيه نظم الكلام من الكلمة أو الجملة وتحديد بنيتها، وتركيبها ووضعها موضعاً خاصاً، تقديماً أو تأخيراً، ذكراً أو حذفاً، تعريفاً أو تنكيراً، فصلاً أو وصلاً، إلى غير ذلك من مواقع الكلم ومواضعه، فسياق الكلام يحدد سياق النص، لذا نجد التلازم والمصاحبة بين النص والسياق من أهم الأمور في الإبداع الأدبي[٣].

ثانياً : سياق الموقف :

يقصد به الملابسات المصاحبة للنص، أو الأحوال والمواقف التي ورد فيها النص او قيل بشأنها.

إن الاهتمام بالسياق هو مبدأ الدراسة الأدبية للأسلوب، فالنص في نهاية الأمر ليس سوى تعبير يشكل جزءاً من عملية اجتماعية معقدة مما يجعل من الضروري استحضار الملابسات الشخصية والتاريخية والاجتماعية واللغوية والأدبية التي كتب فيها النص، لذا فإننا بحاجة إلى الإلمام بسياق الموقف لإضاءة بعض جوانب سياق النص وسبر أغواره، فثمة مواقف أو مقاربات نقد لا يمكن فك شفرتها إلاّ في ضوء سياق الموقف[٤].

ترتبط العلاقات السياقية بالروابط النحوية بحسب وصفها في الإطار التركيبي المتمثل بالخطاب اللغوي، إذ يتجلى ذلك بدراسة الجانبين (العلاقة اللغوية والتراكيب اللغوية) هما المرجعيات الرئيسية التي تكتسب اللغة من خلالهم صيرورتها وديمومتها [٥]، وهذا التقسيم يبين الوظيفة المرجعية ودور النحو والتراكيب الدلالية والعلاماتية بتحديد السياق.

---

(١) دلالة السياق في النص الادبي، دراسة نقدية، د. محمد مختار جمعة مبروك: ١٢٤٧.

(٢) ينظر: نفسه: ١٢٧٤.

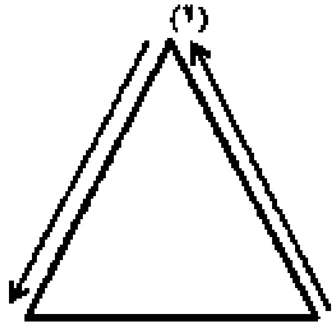
(٣) ينظر: نفسه: ١٢٧٥.

(٤) ينظر: دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي: ٩، ودلالة السياق في النص الأدبي، د. محمد مختار جمعة مبروك: ١٢٧٥.

(٥) ينظر: اللغة بين العلامة والتركيب، د. عائشة خضر البدراني، جامعة الموصل، العراق، المرجعيات في النقد والادب واللغة، مؤتمر الدولي الثالث عشر ٢٧-٢٩ تموز، ٢٠١٠: ٣٢٢.

أولاً: العلامة اللغوية: ويقصد بها تناول العلامة بأوسع معانيها هي حاملة لمعلومة، وهذا المفهوم يتسع ليشمل كثيراً من الميادين مثل إشارات الأعلام والإذاعة وإشارات المرور والحركات ولغات الحيوانات وغيرها[1].

والعلامة اللغوية هي رمز محسوس اعتباطي اجتماعي متوارث له صورة سمعية (لما هو منطوق) وأخرى ذهنية يرتبط بها الرمز فتشير إلى مدلول اجتماعي[2]، فنقف هنا على الأبعاد المجردة المحسوسة التي تدخل في نطاق مفهوم العلامة اللغوية، أو المفرد اللغوية، التي ((تتشكل نتيجة التكييف والتأثر بالواقع الخارجي الذي يعد مرجعاً جوهرياً بجميع الأفكار والصور الذهنية التي بدورها مرجعاً ثانوياً للمرجع الواقعي، ثم يأتي دور الفونيمات المنتظمة داخل قوالب محددة ومتنوعة لتؤلف القطب المرجعي الثالث، وهكذا تكتمل المراجع في هيكل السلوك اللغوي، كما تبينها هذه الترسيمة))[3].



مخطط رقم (١٥)

هيكل السلوك اللغوي

(١) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم جومسكي، بريجيته بارتشت، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤: ١٠١.

(٢) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، د.ت: ٤١.

(٣) البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دلخوش جار الله دزيي، مطبعة رون السليمانية، ٢٠٠٤: ٢٣-٢٤.

إذ إنّها تبئيراً مصغر يجسد الواقع اللغوي برمته، إذ إنّ هنالك بعض الشروط التي تجعل من العلامة اللغوية مقبولة في المجتمع[1].

أولاً هذه الأبعاد وأصغرها الأصوات إذ ترصد بدورها فونيمات تنظيم في مخططات متناسقة، وثانياً تعزيز للفونيمات موقعها بوصفها اجزاء من كل[2].

وهذه الآراء هي أساس لعلم الفنولوجيا (Phonologie) إذ تعد علماً فرعياً من علم اللغة الذي نجد أصوله الأولى في تعريف موسير بأنّه (وحدة تقابلية ونسبية وسلبية) أي تفترق عن كل الوحدات الأخرى في النظام نفسه، وقد كان ذلك منطلق (تروبتسكوي)، وأطروحات (بودوان) عن وظيفة الفونيم في كونها تفرق بين الوحدات المورفولوجية، وتم ذلك بتعاون وثيق مع جاكبسون مؤسساً لعلم الفونولوجيا[3]، إذ إنّه العلم الذي يضيف النظام الصوتي للغة معينة، إذ تصنف هذه الأصوات اتباعاً لوظائفها في اللغة، ويعرفها موريس هال بأنّه (فرع علمي موضوعه اصوات الكلام لوحدات تركيبه للغة)[4].

ثانياً: التركيب: وتتعلق اهمية التركيب بارتباطه بالعلامة اللغوية، فالألفاظ تستمد حيويتها من الاستعمال، ودراستها ضمن تراكيبها وضمن أنساقها اللغوية يكشف عن ميادين متعددة يمكن أن تدرس الألفاظ في إطارها لأنّ ((الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأنّ يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم))[5].

فتنظم العلائقي للعلامات اللغوية داخل أطر تركيبية يتيح لنا الكشف عن الوظيفة التواصلية لهذه العلامات فتقوم العلامة اللغوية بمهمة التواصل لأنّها توجد في إطار مجموعة من العلامات يرتبط بعضها ببعض بواسطة علاقات محددة، وتنقسم هذه العلامة على محورين رئيسيين هما:

---

(1) ينظر: اللغة بين العلامة والتركيب، د. عاتقة خضر البدراني: ٢٢٥.

(2) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم جومسكي: ١٣٩.

(3) نفسه: ١٢٠.

(4) دراسة الصوت اللغوي، احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ليبيا ـــــ تونس، ط1، 1981: ٤٧.

(5) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، دار الفكر، آفاق معرفة متجددة، ط1، ٢٠٠٧: ٥٢٩.

❖ المحور النظمي: الذي تنتظم عليه الوحدات اللغوية لتؤلف الكلام.

❖ المحور الاستدلالي: الذي تنتظم عليه العلاقات بين الإشارات الموجودة في المرحلة الكلامية وبين الإشارات الأخرى التي تنتمي إلى اللغة نفسها(١).

ثانياً :فاعلية السياق في رسائل ابن حزم .

يمثل السياق بؤرة علم الدلالة الوصفي مثلما يرى كثير من العرب القدماء والمعاصرين، لأنَّه يعبر باختصار عن الجانب الاجتماعي للمعنى والوظيفة التداولية والنفعية للغة في حياة الانسان، وتظهر في هذين الجانبين الأحداث والعلاقات والقرائن التي تسود ساعة أداء المقال(٢).

وورد في الرسائل الاجتماعية رد ابن حزم الأندلسي على مزاعم ابن النغريلة اليهودي دليلٌ آخر على فهم المقام الذي يتنزل فيه النص(٣)، فهذا المدعي رأى في قول تعالى: [□□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □](٤) تناقضاً لما ذكر في آخر هذه الآية في قوله تعالى: [□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □](٥)، إذ يسعى ابن حزم إلى رد هذا الادعاء من كون الآية مكتفية بظاهرها عن تأويل، مستقتية بمبادئ ألفاظها ونزول هذه الآية جاء كرد على من نسب إلحاق السيئات به في الدنيا لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أي أنَّ الإنسان يجني ما كسبت يداه من تقصير اتجاه الواجبات التي فرضت عليه اداءها، فإذا نظر الإنسان إلى الآية الموجهة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أصيب بالدهشة وطرح سؤالاً، خلاصته من التقصير وكيف يظهر لنا بالآية القرآنية ؟ المقصر هنا هو العبد الذي قصر في تأدية شكر الله(٦).

وهذا ما وضحه ابن حزم بقوله عدم وجود فرق بين ظاهر اللفظ في النص ومفهوم الخطاب واكتفاءه بظاهر الألفاظ في النصوص: ((وأمّا نقلنا الظاهر وأعماله

(١) ينظر: المنهجيات اللسانية في تحليل الخطاب الادبي، بسلم بركة، الفكر العربي، العدد٨٧، السنة ١٨، ١٩٩٧: ٢٢٨.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ٣٣٧ .

(٣) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم الاندلسي، نعمان بوقرة : ٤٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٦) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم، نعمان بوقرة: ٤٧-٤٨.

على مفهوم خطابه، فكلام لا يعقل لاستعمال الظاهر دالاً بمفهوم خطابه، وهو نفسه الذي يبدو للسامع لا معنى للظاهر غير ذلك))[1].

تعد إجابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صادعة هي أكبر دليل على تقصير العبد اتجاه الله عز وجل إذ قال لأصحابه ((إنَّ أحدكم لا يدخل الجنة بعمله فقيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا، إلاَّ أن يتغمد في الله برحمته))[2].

فلو أتى سؤال ما الذي جعل اليهودي لا يفرق بين ما أُخبر به تعالى من أن كل ما اصابنا به فهو من عند أنفسنا قول الكفار الذين يتطيرون بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه؟

الإجابة: الجهل بالمعاني المقامية[3].

وما يوضح ذلك هو الرد على السياق نفسه في قوله في تناقض الآيتين يقول فيهما وقوله تعالى: [ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ]([4]) وقوله تعالى [ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ]([5])، إذ إذ يبدو أنّه يقف على خصوصية قوله تعالى في سورة المرسلات، فالمنع من النطق، إنّما هو في بعض مواقف يوم القيامة إمّا الجدال، فله مواضعه أيضاً أي اختلاف ما جاء في الآية الأولى والثانية من المعاني المقامية، ورأي ابن حزم يوضح ذلك في إطار السياق اللغوي، المعنى المقصود الذي توضحه الآيات التي يؤخذ بعضها برقاب بعض[6].

السياق عند ابن حزم هو سياق الكلام، إذ كان يتكلم مناسبة للمخاطب (المتلقي) فعندما يحدث شاب أو صبي، قد يمثله بذلك لغة بسيطة تكون سهلة الفهم والنوال من المتلقي، أمّا عند تحدثه عن ماهية الحب وعلاماته فهنا السياق يكون سياق عاطفي يتميز وكأنّما كلام شاعر، لأنَّ الموقف يتطلب ذلك، ويختلف عنه عندما يخاطب جهة رسمية انتقاء كلماته تتميز بالفخامة والهيبة إذ نلاحظ ذلك عند تحدثه مع أحد الخلفاء

---

(١) رسائل ابن حزم (رسالتان اجاب فيهما عن رسالتين فيهما سؤال عنيف)، ٩٤.

(٢) كتاب البر: باب ما جاء في الطاعات ... صححه ابن حبان تحقيق: شعيب الارناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣: ٨٢.

(٣) ينظر: النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم، نعمان بوقرة : ٤٩.

(٤) سورة المرسلات: ٣٥ – ٣٦.

(٥) سورة النحل: ١١١.

(٦) ينظر: اللسانية والبيانية عند ابن حزم، نعمان بوقرة: ٤٩.

في الأندلس، وعند تحدثه عن إحدى القضايا الفقهية فيكون عند إذ سياق كلامه مرتبط باستشهاده بالقرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة فقد تنوع السياق عند ابن حزم واختلفت من رسالة إلى أخرى ومن نص لآخر.

كانت أغلب بدايات ابن حزم في رسائله بسياق كلام غاية بالدقة والتأمل لأنه قد بدأ بالبسملة ثم الصلاة على محمد وآل محمد إذ جاء بالرسالة الفقهية رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل[1] فإنّ نص الرسالة هو:

بسم الله الرحمن الرحيم
رب أسألك العون
اللهم صلِّ على محمد وآله وسلم [2]

هذا سياق الكلام يتميز بانتقاء الألفاظ وخاصة في عبارة (رب أسألك العون)[3] إذ دلّت على توسله بالله سبحانه وتعالى وطلب المعونة منه بسياق مؤدب ما اجمل التوسل بالله سبحانه وتعالى.

وبعد ذلك يبدأ بحمد الله بقوله ((الحمد لله على عظيم مننه، وصلّى الله على سيدنا محمد عبده وخاتم أنبيائه ورسله وسلم تسليماً كثيراً وأبرأ إليه تعالى من الحول والقوة، واستعينه على كل ما يعصم في الدنيا من جميع المخاوف والمكاره، ويخلص في الأخرى من كل هول وضيق))[4]، هذا كله عبارة عن بداية لمضمون رسالته، فإنّه يستعين بحول بحول الله وقوته إذ لا قوة إلا قوته، ثم بعد ذلك يستعرض ما أراد أن يبينه مبتدأ بقوله: ((أمّا بعد، فإنّي جمعت في كتابي هذا معاني كثير افادنيها واهب التميز تعالى، بمرور الأيام، وتعاقب الأحوال، بما منحني عز وجل من الهمهم بتصاريف الزمان والإشراف على أحواله، حتى انفقت في ذلك أكثر عمري))[5].

(١) رسائل ابن حزم: ١/١: ٣٢٢.
(٢) نفسه: ١/١: ٣٢٣.
(٣) نفسه: ١/١: ٣٢٣.
(٤) رسائل ابن حزم: ١/١: ٣٢٣.
(٥) نفسه: ١/١: ٣٢٣.

سياق المتكلم بالرسالة كان مميزاً ودقيقاً لأنَّه يبين فضل الله عليه ورحمته الذي ساعده للتوصل بمثل هذا الحكم الفقهي، إذ كان ذلك كله تنويه للأمور الفقهية ويستمر بدقة السياق وكلامه الدقيق وكان يحاكي بذلك ذي العقول الراشدة إذ قسم رسالته على عدة مفردات أولها: (فصل في مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق الذميمة) مادحاً إياهم بقوله ((١- لذة العاقل بتميزه، ولذة العالم بعلمه، ولذة الحكيم بحكمته، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده أعظم من لذة الأكل بأكله، والشارب بشربه، والواطئ بوطئه، والكاسب بكسبه، واللاعب بلعبه، والأمر بأمره))[1]، ما أجمل وصف ابن حزم لرجاحة العقول عند العلماء، وحكم الحكماء، واجتهاد المجتهدين، إذ جاء بلفظ (لذة) ليعبر بها عن هذه المفردات إلا أفضل العلم على الملذات الدنيوية، فكان السياق يختلف عن غيرها من الرسائل جسد حكم فقهي لكونه وضح اولوية أصحاب العقول عن غيرهم ومما جاء في رسالته نفسها لحديثه عن طرد الهم وهو ما يبحث عنه الناس إذ قال: ((فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع، فانكشف لي هذا السر، وانكشف لي هذا السر العجيب وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذي هو المطلوب النفيس الذي اتفق عليه جميع انواع الانسان، الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له))[2]، ترى من خلال هذه الرسالة أنَّه قد خاطب الناس بأجمعهم لأنَّ الإنسان بطبيعته كاره للهم والحزن فالسياق هنا سياق عام خاطب العالم والجاهل والصالح والطالح، فكان الحل للخلاص من الهم هو قوله: ((فلم أجدها إلا التوجيه إلى الله عز وجل بالعمل للآخرة، وإلا فإنَّما طلب المال طلابه ليطردوا به عن أنفسهم الفقر، وإنَّما طلب الصوت من طلبه ليطرد عنه نفسه هم الاستعلاء عليه، وإنَّما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم فوتها، وإنما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل))[3]، فإخلاص العبد إلى ربه وتوجهه بالدعاء لله عز وجل لطرد الهم سوف يسبب له الأسباب للخلاص واسباب ذلك هو أن ينعم عليه بالرزق والصحة لتمتع باللذات والعلم لكونه ينور بصيرة الإنسان ويبعد الجهل.

(١) نفسه: ١/١: ٣٣٣.

(٢) نفسه: ١/١: ٣٣٧.

(٣) رسائل ابن حزم: ١/١: ٣٣٧.

استمر ابن حزم باستعمال سياق الكلام الرسمي الدال في ايصال ما يريده من معنى أو دلالة ، فذكر في (فضلّ في الإخوان والصَّدْقة والنصيحة)[1]، إذ أشاد بالصداقة والصديق وذلك في قوله: ((العتاب للصديق كالسبك للسبيكة، فإما تصفو وإما تُطيَّر))[2]، إذ بيّن لنا أنّ العتاب للصديق اختبار لصداقته وحبه لصديقه فوصفه مثل من أراد أن يسبك سبيكة، أمّا أن تصفو وتتصف بالجمال والندرة وأمّا لا، بعد ذلك نبّه ابن حزم بأنّ الإخوة سرهم واحد فلا يخفي أحدهم عن الآخر شيء وإلاّ تصبح خيانة لهم إذ ذكر قائلاً: ((من طوى من إخوانك سره يعنيك دونك أخونُ لك ممن أفشى سرك، لأن من افشى سرك فإنما خانك فقط، ومن طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك))[3].

جسد وصف كتمان الأخ عن أخيه سراً كان يعنيه، بالخيانة بل قال أخونُ لك ممن أفشى سرك، ذاكراً السبب بأنّ الخيانة لك عند إفشاء سرك لكن إذا كتم عنك سراً منهم، فقد (خانك واستخونك) أي لم يأتمنك على أسراره وكأنّه يخوّنك ولا يثق بك.

تميز ابن حزم باختياره للسياق الكلامي الدقيق الذي يلفت فيه انتباه المتلقي ولكل اختياره لسياق الكلام في الرسالة التاريخية (نقط العروس في تواريخ الخلفاء)[4] فضلاً عن تسميتها النادرة من بين الرسائل التاريخية فقد كانت تحمل في طياتها، النوادر والغرائب من الأخبار التاريخية، كل ذلك بفضل اختيار ابن حزم للألفاظ المعبرة عن الأحداث التاريخية النوادر في ذلك الوقت إذ لم تكون رسالته مجرد سرد القصص وتسلسل الأحداث، الذي اتبعت ذكراً في المصادر التاريخية لكن كانت شيئاً مميزاً ذكر مالم يذكر قبل وتنبه القارئ لوقائع تاريخية غريبة ونادرة تنقل إلى الرسائل الوجدانية ذات السياق العاطفي التي تمتاز برقة الألفاظ لأنّها غالباً ما تكون لاستمالة الحبيب ولفت انتباهه، فكانت رسالة (طوق الحمامة) حافلة بالكلمات الرقيقة العاطفية، بسيطة قريبة للنفوس يسهل فهمها ويستأنس بها، لذا كان السياق يتميز بالاسترسال والتحرير من الالتزام بالسجع، إذ لا تكلف فيه ولا تعمد فقط جاءت فقراته عفوية الخاطر لا كد فيها ولا عناء، نلحظ ذلك في كلماته الرشيقة قصر الفقرات إذ قال يصف جارية ألفها في

(1) نفسه: ١/١: ٣٥٩.

(2) نفسه: ١/١/ ٣٥٩.

(3) نفسه: ١/١ : ٣٥٩.

(4) نفسه: ١/٢ : ٤١.

صباه[1]: ((عديمة الهزل، منيعة البذل، بديعة البشر، مُسْبَلةُ الستر، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، شديدة الحذر نقية من العيوب، دائمة القطوب، حلوة الاعراض، مطبوعة الانقباض، مليحة الصدود، رزينة العقود، كثيرة الوقار، مستلذة النفار، لا توجه الراجي نحوها ولا تقف المطامع عليها، ولا معرّس للأمل لديها))[2]، وصف الجارية بكلمات محببه للقلوب قريبة للعقول إذ كان انتقاؤه للألفاظ جميلاً ومنمقاً وكأنّه يبدي إعجابه فيها واصفاً إياها بالجمال والعفاف والوقار والحياء والرزانة والستر..

هذا سياق قريب المنال واضح الدلالة، إذ جاء عفوياً في سياق الكلام ليعبر عن فورة عاطفية في تذكر ابن حزم لهذه الجارية ورغبته في الإيحاء إلينا بسماتها الدقيقة إذ صورها بأبهى صورة وكأنّه أراد من المتلقي معرفة خصائصها التي تستحق من خلالها أن توصف بأنها امرأة كاملة[3].

يستمر ابن حزم في السياق الكلامي نفسه إذ يسترسل بأسلوبه الطليق ليصف المساعدة من الإخوان: ((ومن الأسباب المتمناة في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقاً مخلصاً لطيف القول بسيط الطول، حسن المأخذ دقيق المنفذ متمكن البيان مرهف اللسان، جليل الحلم واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة، شديد الاحتمال صابراً على الادلال، جم الموافقة جميل المخالقة مستوي المطابقة، محمود الخلائق، مكفوف البوائق، محتوم المساعدة، طيب الاخلاق، سري الاعراق، مكتوم السر، كثير البر، صحيح الامانة، مأمون الخيانة))[4]، فسياق الكلام لا يغادر العفوية إذ يتكلم بلغة هي أقرب لقلب الإخوان، إذ وصفه قبل كل شيء بأنّه هبة ورحمة من الباري.

إذ حاول ابن حزم أن يرسم صورة دقيقة للنعيم الذي أحس إذ عاش حياة مترفة، وذلك لمكانة والده، الذي كان من وزراء الدولة العامرية[*]، به في نزهة قد ذهب إليها

(1) ينظر: دراسة الحب في الادب العربي، ٢/٢٩٤.

(2) طوق الحمامة : ١٠٩.

(3) ينظر: دراسة الحب في الادب العربي: ٢/٢٩٤.

(4) طوق الحمامة : ٤٨.

(*) ينظر: سُنَنُ ابن حزم الظاهري ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الاندلسي، (٣٨٤-٤٥٦هـ) جمع وعناية وتخريج : د. مجيد الخليفة، بيروت ـــــــ لبنان، ط١، ٢٠١٢: ١/-١٠.

هو وجماعة من إخوانه من أهل الأدب والشرف إلى بستان رجل من أصحابه فهو يختار تشبيهاته بدقة ولديه صورٌ خيالية جميلة خالية من التكلف في الوصف إذ يقول: ((فتمددنا في رياض أريضة وأرضٍ عريضة، للبصر فيها منفسح وللنفس فيها مسرح، بين جداول تطرد كأباريق اللجين، وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد والغريض، وثمار مهدلة، قد ذللت للأيدي ودنت للمتناول، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها تصور بين أيدينا كقطع الشطرنج والثياب المدبجة، وماء عذب يوحنك حقيقة طعم الحياة، وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ، ونواوير مونقة مختلفة الألوان تصنيفها الرياح الطيبة النسيم))[1]، وسياق كلامي جميل مفعم بألفاظ مزخرفة صور بها بيئته الجملية ونشأته المترفة إذ تدل بوضوح على نزعته الفنية وملكته الخيالية، فلا صحراء ولا جبال ولا شيء مما لا يؤلف في بيئة ابن حزم، بل هي مطرزة بالورود والرياحين والظلال والستور، إذ دلت هذه الألفاظ على نقل صور بيئته وحياته[2]، عاش ابن حزم مترفاً منعماً تحت كنف النساء إذ تولى تربيته ورعايته النساء وحتى تعليمه القرآن والأشعار والخط[3]، فهذا السياق الدقيق المترف نابع من تربية ابن حزم ورقة مشاعره لذا لقد قال في رسالته (باب المساعد من الإخوان): ((لقد شاهدتُ النساء وعلمتُ من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني رُبيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهنّ، ولا جالستُ الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب وحين تبقّل[4] وجهي؛ وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمالُ ذهني مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً إلا تعرف أسبابهن، والبحث عن أخبارهن، وتحصيل ذلك، وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهن، وأصلُ ذلك غيرةٌ شديدة طبعت عليها، وسوء ظنٍّ في جهتهن فطرت به، فأشرفت من أسبابهن على غير قليل))[5]، شغلت المرأة حيزاً كبيراً من حياة ابن حزم فهي تعني له الكثير الأم والمربية والمعلمة فقد عاش في كنفها وقت طويل حتى وصل لسن الشباب فترى تصرفاتها

(1) طوق الحمامة: ٩٩-١٠٠.

(2) ينظر: دراسة الحب في الأدب العربي : ٢/٢٩٨.

(3) ينظر: ملخص ابن حزم الظاهري: ١/١٠.

(4) رسائل ابن حزم: ١/١: ١٦٦، الهامش(٢) عند المصرفي: تبقل، وتابعه الثاني على ذلك.

(5) رسائل ابن حزم: ١/١: ١٦٦.

وطبائعها ما لم يره أو يلقه رجل، فشب على البحث عن أخبارهن وتقصيها، كل هذا يلفت الانتباه كان سياق كلامه يميل إلا اللين والرقة مكتسباً ذلك من معيشته بوسط مجمع من النساء وإشرافهن على تربيته.

فكلام ابن حزم لا توجد فيه كلمات مستكرهة ولا عبارات صادة، بل يمتاز بالسهولة والبساطة الرائعة [1].

مع اختلاف أبواب الرسائل الوجدانية تختلف سياق الكلام، فسياق الكلام في الرخاء والفرح غير سياق الكلام في الحزن لمفارقة الحبيب لذا جسّد أوجاع المحبين في (باب البين) بقوله: ((وقد علمنا أنه لابد لكل مجتمع من افتراق، ولكل دان من تناء، وتلك عادة الله في العباد والبلاد حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وما شيءٌ من دواهي الدنيا يعدلُ الافتراق، ولو سالت الأرواح به فضلاً عن الدموع كان قليلاً، وسمع بعضُ الحكماء قائلاً يقول: الفراق أخو الموت، فقال: والبين ينقسم أقساماً:

١. فأولها مرة يوقن انصرامها وبالعودة عن قريب، وأنّه لشجىً في القلب، وغُصّة في الحلق لا تبرأ إلا بالرجعة، وأنا أعلم من كان يغيب من يُحب عن بصره يوماً واحداً فيعتريه من الهلع والجزع وشُغل البال وترادُف الكرَب ما يكادُ يأتي عليه.
٢. ثم بَيْنٌ منْعٍ من اللقاء وتحظير على المحبوب من أن يراه مُحبه فهذا – ولو كان من تحبه معك في دار واحدة – فهو بَيْنٌ، لأنّه بائنٌ عنك، وإنّ هذا ليولّدُ من الحزن والأسف غير قليل.
٣. ثم بَيْنٌ يتعمّد المحبُّ بعداً عن قول الوشاة، وخوفاً أن يكون بقاؤه سبباً إلى منع اللقاء، وذريعةً إلى أن يفشو الكلام فيقع الحجاب الغليظ.
٤. ثم بَيْنٌ يولده للمُحبِّ لبعض ما يدعوه إلى ذلك من آفات الزمان وعذرُه مقبول أو مطرحٌ على قدر الحافز له إلى الرحيل)) [2].

فهنالك عدة أسباب (للبين) أي فراق الأحبة إمّا أن يكون الفراق لمدة قصيرة بعدها يعود عن قريب، أو أن يكون البينُ منع من اللقاء وتحظير على المحبوب من ان يراه حبيبته، وأن يكون معهُ في الدار نفسها، إذ يولّدُ من الحزن والأسف غير قليل، وقد

(١) ينظر: دراسة الحب في الأدب: ١/٢٩٨.
(٢) رسائل ابن حزم: ١/١ : ٢١٦.

يكون البين متعمداً من المحب خوفاً من الوشاة وبعداً عن أنظارهم، حتى لا يفشو الكلام عليهم فيخلق مشكلة الحب، لكن مهما كان السبب فإنَّ (البين) ذو مرارة لا يشعر فيها غير المتألم قلبه حباً وعشقاً واشتياقاً، كان ذلك السياق الكلامي سياق فيه من الأسى والحزن، إذ اختار ابن حزم كلمة (البين) الذي كانت متواردة في زمانه تطلق على فراق الأحبة على الرغم من أنَّها تعني لنا (الموت) لذا قارب بين فراق الاحبة والموت لشدة الم المعشوق بالفراق من يحب.

كان سياق الرسائل الاجتماعية يفرق عن السياق الكلامي في الرسائل الأخرى لأنَّه يراعي بذلك الطابع الاجتماعي فضلاً عمّا ما جاء به ابن حزم من تجديد وتميز إذ ذكر فيها الأخبار والوقائع الاجتماعية التي لم ترد قبل وربما لم ترد إلى الآن، من بين هذه الرسائل (من غرائب المناكح)[1] و (من تزوج من عمار الناس في الخلفاء)[2]، (الفلوقة لم يقع في الدهر مثلها)[3] و (فضيحة لم يقع مثلها)[4]، (من الغرائب)[5]، فكانت تتميز بسياق كلامي بسيط يعنى بإيصال المعلومة للناس في ذلك الوقت إذ غرابة الأحداث الاجتماعية تجذب المتلقين من جميع المستويات من بين هذه الرسائل هي (غرائب المناكح) التي فصل ابن حزم القول فيها.

بساطة السياق جعلت من هذه الرسائل أخباراً اجتماعية تتناقل بسهولة بين المتلقين وإن لم يكن على درجة من الثقافة، فكان ابن حزم عارفاً كيف يناسب سياق الكلام مع سياق الحال الذي تتطلب ذلك.

---

(١) ينظر: نفسه: ٢/١ : ٦٨ .

(٢) ينظر: نفسه: ٢/١ : ٧٠.

(٣) ينظر: نفسه: ٢/١ : ٩٧ .

(٤) ينظر: نفسه: ٢/١ : ٩٧ .

(٥) ينظر: نفسه: ٩/١ : ١٠٩.

المبحث الثاني

قناة الاتصال في رسائل ابن حزم

اولا: قناة الاتصال المفهوم والوظيفة:

هو العنصر السادس من عناصر مخطط التواصل واتصال، مصدرها اتصل قرر الاتصال به مباشرة، الالتقاء به، الاتصال المباشر، جعلوا نقطة الاتصال في: نقطة الملتقى، الوصل كان على اتصال دائم به، دائم اللقاء به، أراد الاتصال به هاتفياً، أي التحدث معه هاتفياً، تعد وسائل الاتصال بين الناس، الوسائل التي عبرها اللقاء أو التفاعل بين الأفراد والجماعات أو الإذاعة أو التلفزة والصحف وغير ذلك[1].

جاء ((في قاموس اللسانيات أنّ الرسالة تتطلب اتصالاً أي قناة فيزيائية وتواصل فيزيولوجي بين المرسِل والمرسَل إليه يسمح لهما بإقامة اتصال والحفاظ عليه))[2]، وذلك قصد التأكد من سلامة الممر الذي تنتقل عبره الرسالة المتبادلة بين المرسِل والمرسَل إليه، بمعنى أنّ ما ينجز عبر هذه القناة من جهد، ((الإقامة التواصل والحفاظ عليه هو جهد خاص بلغة الطيور الناطقة ..)) إذ يقوم الطرفان المتصلان بتوظيف هذا العامل التواصلي، قصد تمرير تعبيرية خاصة قصد التأكد فقط من سلامة الممرّ، ووصول الرسالة سليمة إلى جهاز الاستقبال))[3].

لذا فقناة الاتصال متمركزة ومهيمنة وذات وظيفة مهمة في المخطط إذ لا غنى عنه داخل المخطط، فبوجوده تتم عملية التواصل لأنّه يعد الممرّ الناقل للمعلومة بين المرسِل والمرسَل إليه فمن خلاله يفهم المتلقي قصدية المرسِل.

لذا تعددت تسمية مصطلح قناة الاتصال عند الباحثين والنقاد العرب منها:

١. الاتصال[4].

٢. الصلة[5].

---

(١) معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، مادة (اتصل) : ١٥٦.

(٢) التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٣٣.

(٣) نفسه: ٣٣.

(٤) ينظر: قضايا الشعرية، محمد الولي ومبارك حنون: ٢٧، ونظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، د. عبد الناصر حسن محمد: ٣.

(٥) ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني : ٣٦.

٣. قناة الاتصال[١]، وهي التسمية الأكثر شيوعاً واستعمالاً بين النقاد إذ تحمل دلالة الوسيلة الناقلة للرسالة.

٤. القناة (canal): وهي وسيلة تواصل في النظرية الاعلامية، كما يقال القناة الفيزيائية أو الكيميائية السمعية أو اللمسية أو الكهربائية، إذ تعد (القناة) مصطلحاً حاسماً، في تعريف اللغة عند (سوسير) و (بلومفيلد) وعند (يلمسليف) و (بريتو)، اللذين يميزان بنية التواصل في السيميائية[٢].

٥. وسيلة الاتصال[٣]: وهي أساليب تنقل المعلومات بين الناس مثل الإشارات وتبادل الأفكار والوجدانية.

٦. وسيلة الانتقال[٤]: وهي دلالة على عنصر قناة الاتصال في نظرية التوصيل.

٧. الناقل: إذ تعد قناة الاتصال أداة ناقلة بين المُرسِل والمُرسَل إليه[٥].

وتكمن أهمية الاتصال في الإخبارية والإبلاغية وما تحويه من وظائف وأهداف إعلامية، كونه يسعى إلى إرساء قدرة من القناعات وعبر الأساليب الإقناعية بغية اشراك المتلقي في عملية الاتصالية والتفاعل معها ((وأنَّ قدرة الإعلام على الإقناع تنبع من وجود مقاربة تطبيقية بينه وبين الحضارة الإنسانية، والتي تعد إحدى مظاهر الشعوب والأمم، فالإعلام حضارة ؛ لأنَّه متصل وبما يعني أنَّ لغة الإعلام لغة حضارة تسعى للشرح والتفسير والتكامل الحضاري والذي ينبع من التعارف والتفاهم بوصلهما من أهم وسائل صوغ الفكر، ونقل المعلومات في المجتمع البشري بأجمعه ومن ثم صياغة الحضارة الإنسانية))[٦].

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش: ١٨٢ .

(٣) ينظر : الخطيئة والتكفير: ١١، والتفاعل النصي، النظرية والمنهج، نهلة فيصل الاحمد: ٤٥.

(٤) ينظر: دليل الناقد الادبي، ميجان الرويلي، وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢: ٣٩.

(٥) ينظر: نظرية التوصيل، سحر الشجيري: ١٧٩.

(٦) العلاقات العامة والإعلام من منظور وعلم الاجتماع : الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٧ : ٢٥٣ .

إذ توقف العملية الاتصالية في القدرة على نقل لغة الرسالة وتفسيرها وشرحها، وبذلك ((توصف كحلقة وصل بين الأفراد والمجتمع وجماعاته ومؤسساته وتلك من أهم فعاليات علم الاتصال))[1]، أي كونه يبلغ عن نقل مضمون الرسالة.

ارتبطت عملية الاتصال بالبلاغة إذ كلاهما يعتمد اللغة منذ بدء النطق والمشافهة، ولعل أقدم تعريفات البلاغة هو ما ورد في البيان والتبين ١١/١٢٤ عن عمر بن عبيد المعتزلي (ت ١٤٤م) فقد عرفها بقوله[2]: ((تمييز اللفظ في حسن الافهام))[3].

إذ تبدو البلاغة مهيمنة تماماً وملازمة لنصوص رسائل ابن حزم، لغة يكتب فيها نص الرسالة، وتتجسد وظائف اللغة نسق اتصالي بوظائف البلاغة معاً، إذ تبلغ بمحتوى فكري باهر ومتشعب بوظائفه، وبنصوص تندمج فيها وظائف بلاغة اللغة وعاءً فكرياً بفضائها الاتصالي الواسع، وهذا ما هو واضح في النصوص من تشبيه وسجع واستعارة وكناية ومجاز في رسائل ابن حزم الذي برع بالسجع لتسهيل قراءة النصوص على أبناء عصره[4].

ولابد لكل عملية أدبية تواصلية من ((توفير قناة 'الإيصال' أو الأداة المادية التي يكون لها الفضل في الربط النفسي والجمالي بين طرفي الخطاب))[5]، إتمام عملية الاتصال بتواجد هذه الأداة الناقلة التوصيلية التي تقوم بتبليغ المتلقي بالرسالة النصية. هنالك عدة أدلة لأهمية عنصر الاتصال في عملية التوصيل وهي كالآتي[6]:

---

(١) التخطيط الإعلامي، المفاهيم والاطار العام، رؤيا في سوسيولوجية لمنطق الظاهرة الاعلامية ومضامينه ، عمان، دار شروق للفكر والتوزيع، ١٩٩٨ : ٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، بلاغة الانساق الاتصالية ووظائفها، محمد السيد جاسم : ٥٢.

(٣) نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع الهجري، داود سلوم، بغداد، مطبعة الأمة، (د.ط) ،١٩٧٧: ٣٩.

(٤) ينظر: نصوص النظرية البلاغية: ٣٩-٤٠.

(٥) تأمل في الخطاب الشعري المعاصر من منظور دلالي، د. عبد الله حمادي، ضمن كتاب السيميائية والنص الادبي إعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة باجي مختار، منشورات جامعة عنابة باجي مختار، الجزائر، ١٥/٧ مايو ١٩٩٥ : ١١٠.

(٦) ينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي الحديث: ٢٨٢- ٢٨٣.

١. لا تتم عملية التوصيل ولا يكون لها فائدة بدون تواجد عنصر ((قناة الاتصال)) إذ إنّه لا فائدة للمرسل والمرسل إليه من دون وجود وسيلة تصل بعضهما ببعض وتقوم بحمل الرسالة ونقلها وتوصيلها.

٢. تتجلى الأهمية في عملية التوصيل الأدبي حينما تدرك الغايات التي تكمن في نفس المرسل أي للمبدع من وراء إبداعه في النص الأدبي إذ تقييم لأبداع ونيل الرضا عنه واستحصاله ممن يحيطون بالمرسل ويوجه اليهم ذلك للإبداع، وغاية المرسل لا تحاقق ما لم يصل ذلك الإبداع إلى الآخرين، والذي يتكفل بذلك هو قناة الإيصال، الناقلة أو انتقالية[١].

٣. يعد عنصر (القناة) هو تحقيق سلامة وصول الرسالة إلى المرسل إليه ووضوحها، ومن ثم تتحقق عملية التوصيل وتمامها مقرون بسلامة تلك (القناة)، أي أنّ حدوث أي خلل أو تشويش في قناة الاتصال يؤدي إلى غموض الرسالة واختلال عملية التوصيل، فتشويش قناة الاتصال (يشمل كل ما يسبب اضطراباً في سلامة النقل الطبيعي للرسالة الاتصالية عبر الوسيلة)، وبما أنّ الرسالة تقسم على قسمين (منطوقة ومكتوبة) فلا يختلف فيه التشويش فمثلاً: عند إرسال رسالة مكتوبة يحدث التشويش فيها لنسيان وضع النقط في محلها أو اندماج بعض الكلمات بالأخرى، أو خطأ أثناء الطباعة أو تلف أجزاء من الأوراق أو بسبب لون باهت أو بخط غير واضح، أمّا الرسالة المنطوقة فيشوبها تشويش في عدم وضوح الصوت المتكلم، نتيجة حالة مرضية أو لارتفاع صوت المتكلم أو انخفاضه الشديدين[٢].

تعدّ المصطلحات والتسميات الوظيفية لقناة الاتصال وتطورت مع تطور النقد الادبي الحديث ومن بين هذه التسميات[٣]:

أ. التواصلية:((إذ يعد الاتصال ناقلاً جوهرياً للخطاب العام.

ب. الإقناعية: هي اهم وظيفة اتصالية اعلامية كونها تسعى الى ارسال قدر من القناعات بأساليب إقناعية بغية إشراك المُرسَل إليه في العلمية الإتصالية.

---

(١) ينظر: دليل الناقد الادبي: ٣٩.

(٢) ينظر: نظرية التوصيل: ٢٨٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، بلاغة الأنساق الاتصالية ووظائفها، محمد السيد جاسم: ٨٤ -٨٦.

ت. إرسالية: إذ تقوم بإيصال الحقائق والآراء والأفكار وتسعى لتأصيل مهمة رسالية في بناء الانسانية لإرشاد الفرد والمجتمع)).

ث. التأثرية[1].

ج. الانتباهية[2].

تعد قناة الاتصال مرتكزاً هاماً لتحقيق التواصلية، وبوجود العلاقة المتينة بين عناصر الاتصال في مخطط جاكبسون يتحقق التواصل ولكي يتم النص الادبي التواصلي لابد من توافر تفاعل بين النص والجمهور (المُرسَل إليه)[3].

((لقد كونت التواصل اصلاً فكرياً مهماً للتفاعلية، فالتفاعل يبدأ من احراز تواصل، والتواصل يعتمد في نجاحه أيضاً على جودة الاتصال))[4].

وهنالك ثلاثة شروط لتحقيق التفاعلية التواصلية:[5]

١. يفترض وجود قناة الاتصال والتي تتمثل بتقنية النص المتفرع إذ تتيح الربط بين تفرعات النص والمُرسَل إليه.
٢. وجود طرفي لتصال (مُرسِل ومُرسَل إليه) ويتمثلان هنا بالأديب والقارئ.
٣. وجود موضوع او حديث ينشئ علاقة بين الطرفين هما النص الادبي الذي كلما تعددت تفرعاته توسعت احتمالاته زادت نسبة التعالق بين الادبي والمُرسَل إليه حتى إتمام الاتصال.

ثانياً : فاعلية قناة الاتصال في رسائل ابن حزم

تتجسد قناة الاتصال في اساليب ابن حزم لإيصال النص وتوجيهه الى المُرسَل إليه ومن بين هذهِ الاساليب ما جاء به في بداية الرسائل الوجدانية (طوق الحمامة) قائلاً: ((وسأورد في رسالتي هذهِ أشعاراً قلتها فيما شاهدت، فلا تنكُر أنت – ومن رآها –

---

(١) ينظر: التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٢١.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٣٠.

(٣) ينظر: مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي د. امجد حميد التميمي: ٢٥.

(٤) نفسه: ٢٥.

(٥) ينظر: الاتصال في عصر العولمة ـــــ الدور والتحديات الجديدة، د. مي العبد الله سنو، دار النهضة العربية للطباعة النشر، ط٢، ٢٠٠١: ٣٤.

عليَّ أني سالكٌ حاكي الحديث عن نفسه))[1]، فاستعماله اسلوب التحذير المسبق لحديثهُ واسترسالة الاشعار لتعزيز موقفهُ امام المُرسل إليه، كونه اشعاره وخاصةً به لكنه اصبح بذلك الحكواتي الذي يروي حكاية عن غيرهِ والجملة الاعتراضية (ـــــ ومن رآها ـــــ) جاءت هنا لتكون بمثابة (قناة اتصال) لإيصالها ما اراده ابن حزم الى المُرسل إليه.

وقد تكررت هذهِ الجملة الاعتراضية لتصبح قناة اتصل يوظفها ابن حزم لتوجهِ كلامهِ المُرسل إليه ومعرفة ما اراد ايصاله، من خلال تقسيمه (رسالة طوق الحمامة) الى ابواب استعرض معاني الحب والآفات الداخلة على الحب منها باب الرقيب والواشي اذ قال: ((لولا خوفنا إطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه ـــــ وباب البين وضده تصاقب الديار ـــــ وليس التصاقب من معاني الحب التي نتكلم فيها ـــــ وباب السلو، وضده الحب بعينه، إذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه))[2]. لقد ذكر ابن حزم ابواب الحب وضدهِ مثلاً باب السلو وضدهِ في الحب ان السلو معناه ارتفاع الحب وعدمه اي تحمل معنين متضادين، وكانت هذهِ الرسالة بمثابة قناة اتصال بين ابن حزم والمُرسَل إليه مستعملاً الجملة الاعتراضية لكي يوضح للمُرسَل إليه موقفهِ في عدم إطالة الكلام[3].

اما في قولهِ: ((ولا يظنُّ ظانٌّ ولا يتوهم متوهم أنَّ كلَّ مخالفٌ لقولي المسطَّر صدر الرسالة: إن الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي، بل هو مؤكد له)) [4]. وضع المُرسَل إليه بموضع التصديق وعدم الاعتراض والظنّ اي لا يدع له فرصه في الشك بكلامهِ لستعمل هذه الاسلوب وهو التحذير للابتعاد عن الظنّ كقناة اتصال يرغم فيها المُرسَل إليه باليقين بما يقولهُ عن الحب.

وردت الجملة الاعتراضية مرة اخرى في قول ابن حزم ((فالجواب ـــــ وباللهِ تعالى التوفيق ـــــ إن هذا كلام مخلط يشبه كلام المشوشين لأنه ناقص غير تام، وما تدعي الحقّ إلا فيما لا يقدر اي واحد منهم أن ينكر ان الحق فيه من القرآن وكلام

(١) رسائل ابن حزم: ١/١: ٨٧.
(٢) رسائل ابن حزم: ١/١: ٨٦.
(٣) ينظر: نفسه/ ١/١: ٨٦.
(٤) نفسه: ١/١: ١٢٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [١] فهذه الجملة الاعتراضية وغيرها كثير توجد في نهاية كتابه، رسالة تواضع واشعار للتسامح تبين ان المؤلف متواضع ورع ولاسيما انه هنا يناقش قضايا خلافية تتعلق بالأحكام والشرع والمنطق.

وبعدها جملة اعتراضية اخرى بقوله ((ــــــ لله الحمد ــــــ وخاب وخسر من خالفنا)) [٢] يريد ان يبين ان رأيه هو الصواب فقط اذ يوصل للمُرسَل إليه تحذير لمن يسمعه أن من يخالف خاسر، اما في قوله ((فقد خالف القرآن وإجماع المتقدم من الصحابة والتابعين، وهو إجماع صحيح)) [٣]، فذكر(اجماع الصحيح) وسبقها بفارزة اي ما سيأتي سيكون كلام مهم موصول بما سبق، وتعبير (اجماع الصحيح) رسالة لمن يسمعه (المُرسَل إليه) انه لا يجوز لك مخالفة او التفكير لان هذا الرأي اجمع وصحيح.

يتوجه ابن حزم الى المُرسَل إليه بأسلوب اقناعي إذ يقول: ((ولقد شاهدتُ النساء وعلمتُ من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لأني رُبيت في حجورهن ونشأت بين أيديهن، ولم اعرف غيرهنّ، ولا جالستُ الرجال إلا وأن في حدّ الشباب، وهن علمنني القرآن وروينني كثيراً من الاشعار ودربني في الخط)) [٤]، تعد قناة الاتصال توجة ابن حزم الى المُرسَل إليه واقناعه بهذه الملكة التي يتميز بها وهي معرفة النساء والتخبر في شؤونهن فيخبر القارئ سلفاً إنه تربى وسط النساء وعاش في حجورهن فلا تستغرب ايها القارئ حين تجدني اعرف جميع اسرارهن.

تعد رسالته (في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها)[٥]، كلما اختار لها المؤلف صيغة سردية حوارية سؤال وجواب في اسلوب جميل يستحضر فيها المُرسَل إليه وأعتراضاته واجوبته على هذه الاعتراضات، وهذه الرسالة كلها تناولت اسلوب الشك والتساؤل والجدل بين الانسان ونفسه وبين النفس والأخرين، اذ تعد هذه الصيغة السردية الحوارية قناة اتصال يوجهها ابن حزم الى المُرسَل إليه، وخير دليل على ذلك ابتدأ بـ (أطلت الفكر في نفسي)[٦] اذ جعل النفس هي التي تتحدث وهي صاحبة الحياة

(١) نفسه: ٣/٢ ؛ ٨٠.
(٢) نفسه: ٣/٢: ٨٥.
(٣) نفسه: ٣/٢: ٧٧.
(٤) رسائل ابن حزم: ١/١: ١٦٦.
(٥) ينظر: نفسه: ٢/١: ٤٤١.
(٦) نفسه: ٢/١: ٤٤٣.

بالجسد بقوله ((يا أيتها النفس المدبرة لهذا الجسد: ألستِ التي قد عرفت صفات جسدك الذي وليت تدبيره وحققتها وضبطتها؟

قالت: بلى

قالت: يا أيتها النفس المدبرة لهذا الجسد: ألست التي تجاوزتِ جَسَدَكِ المضاف تدبيرُهُ إليك، فخلص فهمك وبحثك))[1]، الى ان يقول: ((وقفت على حقيقة مدارها، وضبطت كل ذلك وأشرفت عليه، وسرحت هنالك، وأوغلت في تلك الطرق والمسالك وخضت إليه الأنوار والظلم، واقتحمت نحوه الأبعاد حتى أتيته من أمم ولم يخف ما بعد وغمض؟

قالت: بلى.

قالت: يأيتها النفس المشرفة على ذلك كله: ألست التي لم تقتعي بهذا المقدر من العلم على عظمته وطوله، ولأملأ خزائنك هذا الحظ من الإشراف))[2].

ويستمر بنفس الصيغة الإيصالية للمُرسَل إليه، فيخاطب النفس بسؤالٍ قائلاً: ((وهل عرفت ماهيتك وهل دريت كيفيتك، وهل وقفتي على أي شيء أنت، وما جوهرك، وهل أشرفت على حملك لصفاتك، كيف حملتها؟

قالت: لا ما عرفت شيئاً من ذلك.

قلت: يا أيتها النفس العارفةُ بغيرها، الجاهلة، بذاتها: فهل تعرفين محلك ومن أين انت، ومن أين تتكلمين، وكيف تتحركين هذهِ الاعضاء المصونة إذا حركتها، الساكنة إذا تركتها؟ قالت: لا)) [3].

الى ان يصل بنا لقناة الاتصال الموجه للمُرسَل إليه بقوله ((ولله الأمر كله، ولا حول ولا قوة الا باللهُ العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل))[4] اذ يختم الرسالة بنتيجة بنتيجة يريد ايصالها لمن يسمعه، فأن النفس كلها بيد خالقها ونحن لا نستطيع التحكم بالفكر الا بأمر من النفس التي هي بأمر خالقها.

تنتقل بعد ذلك الى الرسائل الفقهية التي رد فيها على ابن النغريلة اليهودي[*]، اذ اذ يقول: ((وهذا الذي قلناه هو المفهوم من نص الآية دون تزيد ولا انتقاص ولا تبديلٍ

---

(١) نفسه: ٢/١: ٤٤٣.
(٢) رسائل ابن حزم: ١/٢: ٤٤٤.
(٣) نفسه: ١/٢: ٤٤٥.
(٤) نفسه: ١/٢ : ٤٤٦.
(*) ينظر: نفسه: ٢/٣: ٣٩.

لفظ))[1]، يضع ابن حزم المُرسَل إليه في دائرة التنبيه والتحذير من المخالفة أو الشك لما أقول وأذكر لك) إذ يمنع المُرسَل إليه من أن يفكر في الشك بكلامه أو رد أو جدال، وبذلك تتحقق قناة الاتصال مع المُرسَل إليه ليمنعهُ من الجدال والرد.

بعد ذلك يسترسل ليتوجه الى المُرسَل إليه والتحليل الذي هو بصدده ليحذره من الاختلافات والظن ويقدم له أوصافاً سلبية من المؤكد أن المُرسِل لا يريد أن يتصف بها ومن خلال ذلك تتضح قناة الاتصال كما في قوله ((وأنه لا يظُنُّ في في شيء من هذا كله اختلافاً، إلا عديم العقل سليب التمييز مطموس عين القلب لئيم الجهل))[2]. كثيراً ما نلاحظ أن ابن حزم كان يكرر في نهاية الفقرات عبارة (الحمد لله رب العالمين)، إشارة للقارئ والجليس أن الله هو من حباهُ الوصول الى هذهِ الحقائق وتفسير هذه القضايا التي هو بصدد الحديث عنها، ومن بين هذِ الرسائل الذي تكررت فيها عبارة (الحمد لله رب العالمين) من البداية الى أن ختمها بالحمد والثناء، هي رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة التي قسمت الى عدة فصول وكان يختم كل فصل بـ (الحمد لله) إذ يقول: ((وهل تكون الراحة إلا لتعب ونصب قواه وضعفت طبيعته؟ فمثل هذا وشبهه من دينه الذي يستبشرُ به لو تهمّم بالفكرة فيه ثم بادر إلى التوبة منه والدخول ففي دين الله تعالى الذي لا دين له سواه الذي به بدا الملك على لسان محمد صلى الله عليه سلم، والحمد لله رب العالمين))[3]. وهذهِ تعد قناة اتصال بينه وبين المُرسَل إليه فيستمر بذكرها من نهاية كل فصل[4].

وكذلك وضع علامة تعجب للمُرسَل إليه وكذلك استعمال (كم) أي يتوجه لمخاطب يراه ويتفاعل معه مثال ذلك ما جاء بقولهِ ((فحسبكم بهذا المقدر من الجهل العظيم والحمق التام!))[5]. فيقطع تيار الكلام بقولهِ (فحسبكم) لتصبح قناة اتصال للمُرسَل إليه.

اتخذ ابن حزم من الصيغة الاستفهامية والتعجبية قناة اتصال لتوجيه الكلام للمُرسَل إليه وجاء ذلك في مواضع كثيرة في الرسالة ومنها: ((قال أبو محمد/ فيكون أسخف من عقول من ينسبون إلى الله تعالى مثل هذا الكلام الفاسد. أو ترى الله عز

(1) نفسه: ١/٣ : ٣٩.
(٢) نفسه: ٢/٣: ١٨.
(٣) رسائل ابن حزم: ٢/٣/٤٨ـ ٤٩.
(٤) ينظر: نفسه: ٢/٣: ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ٦٧.
(٥) نفسه: ٢/٣: ٥٧.

وجل لا يعرف أبوابهم حتى يجعل عليها علامات؟! إن هذا لعجب. لو عقل هذا المجنون لشغله هذا السخام الذي لبثه في يباهي به))[١]، وهناك الكثير من علامات الاستفهام والتعجب بنصوص رسائل ابن حزم، منها قوله: ((فهل التناقض والتبديل الظاهر إلا هذا كله لو عقلوا؟!))[٢] وكذلك قوله: ((فأني فرق بين هذه الدعاوي لو نصحوا أنفسهم؟))[٣] وقوله: ((والرأي والظن لو عقلوا؟!))[٤] وقوله: ((ليت شعري أدخل حدُّ المنطق في السنن؟)) [٥]. اي من اشد انتقاصاً للعلماء عم لم نحو؟ فهذه القناة التوصيلة اتيت فيها ابن حزم للمُرسَل إليه انه على حق هو من معه، اذ استعمل ابن حزم ضمير الجماعة ((نحن)) للدلالة على اشتراك المُرسَل إليه معه، وغيرها كثيراً نرى المؤلف قد تكلم بضمير الجماعة المتكلمين اي هو ينوب عن الجماعة (المُرسَل إليه) في الكلام والحكم والجدل ليصبح الضمير (نا) قناة الاتصال يوجه للمُرسَل إليه لكي يقع ضمن دائرة الحديث. ومثال على ذلك قوله: ((وليُعلم ان الشك المجرد قد نسبوه إلى موسى عليه السلام في هذا الفصل، فإنه لم يثق بقوله ربه ولا صدق قدرته على إطعام بني اسرائيل اللحم شهراً كاملاً)) [٦]، يتوجه الى المُرسَل إليهم هذا الكلام ليفهمهم بتفكير اللعين الجاهل الجاهل (حسب قوله) الى ان يختم الفقرة بحمد الله وضمير الجماعة (نا) اي تشارك هو مع المُرسَل إليهم في طهارتهم من نمط تفكير بني اسرائيل في كتابهم. بقوله ((الحمد لله على ما من به علينا من طهارة الإسلام، ووضح حُجَّته، وله الشكر على ما كفانا من نتن الكفر، وتناقض عُراه)) [٧].

تكرر كثيرا تكلم ابن حزم بضمير الجماعة (نا) إذ اتخذ منها قناة اتصال يوجه بها الخطاب الى المُرسَل إليه ومن ذلك قوله: ((فكيف يوافقنا على ان التأويل في آية كذا هو أمر على ظاهر الآية؟ وان الآية لا تحتمل تأويلاً؟))[٨].

ومن ثم يقول ((وقد استثنينا اللعين المريد المرتد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات المفتراة، والفضائح المفتعلة وهو ابن البارية ولقبنا العتقي الذي حمق من حمَّقَ

(١) نفسه: ٢/٣: ٦٠.
(٢) نفسه:٢/٣: ٦٥.
(٣) نفسه: ٣/٢: ٧٤.
(٤) نفسه: ٢/٣: ٨٦.
(٥) نفسه: ٢/٣: ٨٦
(٦) رسائل ابن حزم: ٢/٣: ٦٣.
(٧) نفسه:٢/٣: ٦٣.
(٨) نفسه: ٢/٣: ١٠٠.

منكم))[1]، فقوله (استثبنا) المتوجه للمُرسَل إليه ليحذره بأن أقاويلهم تحمل كثير من الأكاذيب حتى لا ينغروا بكلامهم لذا استعمل [البكم] فقناة الاتصال جاءت بأسلوب تحذيري من ابن حزم للمُرسَل إليه. وقد كثر استعمال ضمائر الجمع في معظم رسائله منها قوله: ((ليس في الصفاقة أكثر من هذا وإذ لا شك في هذا فهذهِ صفة تعم كل أحد حاشا الذي أرسله الله خالقنا تعالى إلينا لخلاصنا في عاجلنا وآجلنا)) [2].

وقد ورد الضمير (نا) في الرسالة العلمية (رسالة في مراتب العلوم)[3]. بقوله: ((فمن تأمل ما ذكرنا، علم أن المنفعة بما قصد به من العلوم إلى المنفعة الخاصة))[4]. وكذلك في قوله ((كما ذكرنا وأنها درج بعضها على بعض كما وصفنا، ومن طلب الاحتواء على كل علم أوشك أن ينقطع، ولا يحصل على شيء وكان كالمحضر على غير غاية، إذ العمر يقصر عن ذلك، وليأخذ من كلٍّ علم نصيب)) [5]. اذ انه يتوجه بقناة الاتصال بالمُرسَل إليه ليحذره من أفناء العمر دون جدوى فتارة ينصحهُ بالتخصص واخرى يحثهِ بالاطلاع على العلوم الاخرى، اذ يذكر بقولهِ ((نحن نوصي طالب العلم بأن لا يذم ما جهل منها، فهو دليل على نقصه وقوله بغير معرفة، وإن لا يعجب بما علم فتطمس فضيلته، ويستحق المقت من الوهب له ما وهب لا يحسد من فوقه حسدا يؤديه إلى تنقيصه))[6].

أي جاءت الوصية الى المُرسَل إليه فتكون قناة الإتصال الهيمنة التي يمارسها المُرسِل من منع طالب العلم من الجدل والنقاش.

تكررت لفظة ((اعلم) يوجهها الى المُرسَل إليه بكثرة ليصبح قناة اتصال تدل على انه اراد المُرسَل إليه ان يكون متواصل معهُ فلفت انتباهُ بهذهِ اللفظة مثال ذلك قولهِ ((اعلم – وفقنا الله وإياك لما يرضيه – أن علوم الأوائل هي: الفلسفة وحدود المنطق التي تكلم فيها أفلاطون وتلميذه أرسطاطاليس والاسكندر ومن قفا قفوهم))[7]. وتكررت لفظة (اعلم وعلم) هنا في الرسائل العلمية التي ذكرها ابن حزم بعنوان (رسالة التوقيف

(١) نفسه: ٣/٢: ١٢٦.
(٢) ينظر: نفسه: ٣/٢: ١٤٠.
(٣) ينظر: ٤/٢: ٦١.
(٤) نفسه:٤/٢: ٦٤.
(٥) رسائل ابن حزم:٤/٢: ٧٧-٧٨.
(٦) نفسه: ٤/٢: ٨١.
(٧) نفسه: ٣/٢: ١٣١.

على شارع النجاة باختصار الطريق)[1]، و(إعلم) هي اكبر قناة اتصال يتوجه لمُرسَل إليه بكثرة، يتضح من هذه القناة انه مالك الحقيقة والرأي الصواب.

وهنالك مواضع كثيرة في مجمل الرسالة قد استعمل فيها ابن حزم لفظة (إعلم) منها قوله ((فإعلم ان الفلاسفة لم يدّعوا قد أنهم تخلصوا بها بعد الموت))[2]. فقناة الاتصال (إعلم) توجه للمُرسل إليه للوقوف على حقيقة الامر وتبيان الصواب.

ويتضح اسلوبه المتكرر عندما يختم اي رسالة يقول (كملت الرسالة)، وهذا أسلوب متعارف عليه في التأليف القديم، أيضاً يمكن ان نعده اتصالاً ينبئ المُرسل إليه ان النص اكتمل فكرة ونصاً. لكي لا يتصور ان للكلام تتمة.

وفي مواضع كثيرة ترى قناة الاتصال عي ارشاد المُرسل إليه ان يطلع ويقرأ كتبه الاخرى مثل ذلك قوله ((قد أوضحناها في كتبنا))[3]. فأصبحت هذه العبارة قناة اتصال يوجه ابن حزم من خلالها المُرسَل إليه لقراءة مؤلفاته.

وتعد اساليب ابن حزم الذي استعملها لتحقيق قناة الاتصال بينه وبين المُرسل إليه ذات اثر فعال في ايصال ما يريد، ومن اهم هذه الوسائل إذ إنه يضع المُرسَل إليه بدائرة كلامية تمنعه من ابداء رأيه، اضافة إلى استعماله الجملة الاعتراضية واساليب الاستفهام والتعجب مختتماً رسالته بكلمة (اكملت) لئلا يعتقد المُرسَل إليه بأن هنالك تتمة، وتكراره لعبارة (ولله الحمد ومن الله التوفيق) في رسالته اضافة الى استعماله إعلم في مقدمة كلامه ان دل ذلك على شيء فهو ان قناة الاتصال لها اهمية متمركزة ومهيمنة في رسائل ابن حزم وهي الاساس في جعل المُرسَل إليه يفهم ما اراد ارساله ابن حزم لتتم عملية التوصيل.

(1) ينظر: نفسه: ٣/٢: ١٣١.
(2) نفسه: ٣/٢: ١٣٩.
(3) رسائل ابن حزم: ٣/٢: ٧٧.

المبحث الثالث

الشفرة في نظرية التوصيل ورسائل ابن حزم

أولاً : الشفرة المفهوم والوظيفة.

أ- مصطلح الشفرة انماطها ووظيفتها :

الشفرة (Code) ((هي منظومة من الرموز والعلامات تهدف الى تمثيل ونقل معلومة ما، وتفيد الشفرة بكونها منظومة صارمة من العلاقات المبنية على علامات ومجموعة من الاشارات، وتساعد على انتاج رسائل واتصالات وفي اللغة هي القانون الذي تخضع له اللغة من الناحية النحوية والصرفية))[١]. وقد عرف بارت الشفرة بأنها القوة التي تصنع المعنى[٢].

ذكر شولز تعليقه على نظرية الشفرات عند بارت قائلاً: ((إنّ مشاعر الرضا والسخط التي يشعر بها القارئ عند قراءة (S/Z) ترتبط باستعمال بارت لمفهوم الشفرة))[٣].

وعند دراسة الممارسات الثقافية يذهب السيميائيون إلى أنّ كل موجود أو فعل يملك معنى بالنسبة إلى المنتمين الى المجموعة الثقافية، وهي اشارة، كما يسعى هؤلاء إلى الكشف عن قواعد الشفرات أو إصطلاحاتها تلك الشفرات التي تكمن وراء إنتاج المعاني في تلك الثقافة، ويعد فهم المنتمين إلى ثقافة معينة للشفرات، ولعلاقتها، وللسياقات التي تصلح لها جزء من معنى الانتماء، إذ لا تقتصر الشفرات على كونها "إصطلاحات" للتواصل، وإنّما هي منظومات إجرائية من الإصطلاحات التي تعمل في نطاق محددة[٤].

أطلق مصطلح الشفرة بوصفه مصطلحاً أدبياً سنة ١٩٦٥ (هنري إيتيان Henri Etienne) في مصنفه (في ما بين اللغة الفرنسية والاغريقية من ملاءمة)، بعد ذلك

---

(١) معجم النقد الادبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري: ٨٦.

(٢) ينظر: البنيوية والتفكيك، رالبندران، ترجمة: خالدة حامد: ٧٠.

(٣) البنيوية في الادب، روبرت شولز، تيوهيان وتلدن، مطبعة جامعة ييل، ١٩٧٤م: ٤٩.

(٤) ينظر: اسس السيميائية، دانيال تشاندلر، ترجمة: د. طلال وهبة: ٢٥٢.

صارت الشفرات منظومة لقواعد الإبداع الأدبي على يد خبراء اللغة (أهل الاختصاص)[1].

قد عرفت الشفرة بأنّها مجموعة من السنن والأعراف التي تخضع لها عملية إنتاجها أو تفصيلها، فالشفرة نسق من العلامات يتحكم في إنتاج رسائل يتحدد مدلولاتها بالرجوع إلى النسق نفسه، وإذا كان إنتاج الرسالة هو نوع من "التشفير" فإنّ تلقي هذه الرسالة وتحويلها إلى المدلول هو نوع من فك الشفرة، عن طريق العودة إلى إطارها المرجعي في النسق الأساسي، لذا يذكر بعض العلامة عن نوع التطابق بين "الشفرة، واللغة" وبين "الرسائل والكلام"[2].

ب- وظائف الشفرة:

تنقسم الشفرات بحسب وظائفها على ثلاثة أقسام وتتنوع بحسب الغرض أو الوظيفة التي تؤديها كل شفرة داخل النص الأدبي ومن أهم أنواع الشفرات التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً في تأدية وظيفة الاتصال والجمال المخطط الاتصالي وهناك آراء عدّة في تصنيف أنواع الشفرات فقد ذهب (دانيال تشاندلر) إلى تصنيفها بحسب الأنماط السيميائية، والبنيويين الذين يتبعون غالباً (مبدأ الاقتصار)، وحسب ما تُذكر في سياق دراسة وسائل الاتصال والتواصل والثقافة وهذه التصنيفات هي[3]:

١- الشفرات الاجتماعية وتتفرع إلى :

أ. اللغة المنطوقة (صوتية وظيفية، نحوية، ذاتية، شيفرات فرعية عروضية ولسانية محاذية).

ب. الشيفرات الجسدية (التماس الجسدي، التجاور، التوجه الجسماني، المظهر، التعبير بالوجه، إيماءات الرأس، الإيماءات الوضعية).

ت. الشفرات السلعيّة (المُوضة، اللباس، السيارة).

ث. الشفرات السلوكية (التشريفات، الطقوس، أداء الأدوار، الألعاب).

---

(١) ينظر: النقد الأدبي (بارت، إيكو، جنيت، بلقتين، غولدمان، لاكسون، موزون، ريشان، جيروم روجي)، ترجمة وتقديم: شكسبير لصر الدين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٢م: ٣٠.

(٢) ينظر: عصر البنيوية، تأليف أديث كيرزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار آفاق عربية للطبع والنشر، (د.ط): ٢٦٦.

(٣) ينظر: أسس السيميائية، دانيال تشاندلر، ترجمة د. طلال وهبة: ٢٥٣–٢٥٤.

٢- الشفرات النصية [1].

أ. الشفرات العلمية بما في ذلك الرياضيات.

ب. الشفرات الجمالية ضمن الفنون المختلفة (الشعر، المسرح الرسم، النحت ....الخ)، بما في ذلك الكلاسيكية، الرومنسية، الواقعية.

ت. شفرات وسائل الإعلام، بما في ذلك شفرات التصوير الشمسي والتلفاز والسينما والراديو والصُحف والمجلات، التقنيّة منها والاصطلاحيّة (بما في ذلك الشكل العام).

٣- الشفرات التفسيرية[2].

أ. الشفرات الإدراكية: مثال ذلك شفرة الإدراك البصري، (لا تشترط هذه الشفرات التواصل عن قصد).

ب. الشفرات الايديولوجية: تشمل بمعناها الواسع على شيفرات (ترميز) النصوص و(فك) رموزها، سائدة أو (مهيمنة)، ناتجة عن تفاوض أو اعتراض.

ومع انسجام وتخطيط الشفرات الثلاث الرئيسة يحتاج إلى ثلاثة ضروب توضيحية ضرورية بالنسبة لمفسري النصوص وهي[3]:

١. العالم (معرفة اجتماعية).

٢. وسيلة الاتصال والصنف (معرفة نصية).

٣. العلاقة بين الاول والثاني (أحكام موقفية).

أي نجد الترابط واضح بين الشفرات الثلاث التي صنفها دانيال وأهمية تواجدها ضمن وسائل الاتصال.

ويمكننا رسم مخطط توضيحي للشفرات التي وضعها وصنف انماطها (دانيال تشاندلر)، وهذا المخطط[4].

الشفرات

الشفرات الاجتماعية
[illegible]
ب- الشفرات الجسدية
ج- الشفرات السلعية

الشفرات النصية
أ- الشفرات العلمية
ب- الشفرات الجمالية
ج- الصنف ، الشفرات البلاغية
د- الشفرات وسائل الاعلام

الشفرات التفسيرية
أ- الشفرات الادراكية
ب- الشفرات الايديولوجية

(1) نفسه: ص ٢٥٥.
(2) الأسس السيميائية: دانيال تشاندلر: ٢٥٥-٢٥٦.
(3) ينظر: [illegible].
(4) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٣-٢٥٥.

المخطط رقم (١٦)

أنماط الشفرات

أمّا تصنيف (بييرجيرو) للشيفرات حسب ما ذكر من الأنماط الموضوعية الفكرية، والذاتية الوجدانية فهي[1]:

أولاً : الشفرات المنطقية :

ويتضح لنا أنّ وظيفة الشيفرات التقنية المنطقية أن تعطي معنى للتجربة الموضوعية ولعلاقة الإنسان بالعالم، وتعد أنواع هذه الشفرات المنطقية مختلفة على للشارات المعرفية التي توزع إلى شكلين المعرفة العلمية والمعرفة التقليدية والشفرات المنطقية متعددة التي تتبع من إشارات المرور وبرامج التعليم العمل، فكل عبارة عن تشاورات الفعل وأنواعها هي:

١- **الشفرات الإيمائية**: وتتوزع إلى ثلاثة أنواع وهذا يعني المقصود، فإمّا أن تكون إعادة بسيطة لعملية بناء الشفرة، وإما أن تكون نمطاً مستقلاً أو نمطاً موازياً يستعمل منافساً للغة[2]:

أ-الإنابات الكلامية

ب-بدائل الكلام

ت-مساعدات الكلام

٢- **الشفرات العلمية**: إشارات وبرامج .

البرامج وظيفتها تنسيق الفعل المستعمل في ذلك الإيعاز والتوجيه والرأي أو التحذير، وهي عبارة عن أنساق توجيهية تتطلع إلى تنفيذ عمل من الأعمال ومثال ذلك

---

(١) ينظر: علم الإشارة السيميولوجيا، بييرجيرو، ترجمة : د. منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٨٨: ٨٣.

(٢) نفسه: ٨٤-٨٨.

نموذج زي من أزياء الخياطة، أمّا الإشارات فمهمتها تسمح بتنظيم المرور أو بتحركات المجموعة وفي أنساق الإشارات شيفرات السير الخاصة بالطرق البرية والسكك الحديدية، والجوية والبحرية، والنهرية، وإشارات التحذير كالأجراس ونواقيس الخطر وقرع الطبول والصور والخطر.... (الخ)[1].

٢-الشفرات المعرفية:

وهي الإشارات الإيصالية مثل العلامات واللافتات وتتركز وظيفتها الظاهرة في اخبارنا عن هوية الأفراد (او للمجموعات)، وفي نقل معلومات خاصة تفيد في تنسيق العمل، وهناك وجهان للمعرفة أولهما يتمثل في نسق معرفي (مدلول) والثاني يتمثل في نسق سيميولوجي (دال)[2].

ثانياً: الشفرات الجمالية:

وهي نموذج من الشعور القلبي وكل ما هو ذاتي يهيج الروح إزاء الواقع، ويُعد المصطلح الجمالي، هو نمط من أنماط الفنون (والآداب)، إذ يسترجع اشتقاق الكلمة التي تعني في اليونانية (ملكة الإحساس) وهي مشتقة من الصفة (Aisthetos) حساس (مدرك بالحواس)، وبهذا فإنّ كلمة التعبير (الجمالي) لا يعني فقط (الجميل)، بل الواقعي والمحسوس، وهذه قيمة اشتقاقية يحييها (فاليري) عندما يحدد كلمة (الجمالية)، وتتفرع الشفرات الجمالية إلى[3]:

١. فنون وآداب.
٢. الرمزية والمضمونية.
٣. صياغة القصة.

تعد الشفرات الجمالية ذات اهمية في النص الأدبي إذ تعبّر عمّا هو في داخل النص من خفايا الإحساس والشعور المرافقة وكثيراً ما توجد هذه الشفرات في رسائل الحب والغرام أو وصف الحبيب والتغزل به.

ثالثاً: الشفرات الاجتماعية.

---

(١) ينظر: نفسه: ٩٠.

(٢) ينظر: علم الاشارة السيميولوجيا: ٩١.

(٣) ينظر: نفسه: ١١٤.

وهي الشفرات التي تحاكي الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع، وتعالج علاقات الإنسان بالطبيعة، فالفرد ينخرط في المجتمع والمجتمع عنصراً خاصاً من عناصر العالم الذي نعيش فيه وتطبق هذه الشفرات على المعنى وعلى الإيصال الاجتماعي، ويرمي الإيصال الاجتماعي إلى إعطاء معنى للعلاقات بين الناس، وبالنتيجة بين المرسل والمتلقي، فالمجتمع هو نظام من العلاقات بين الأفراد، إذ يهدف إلى الإنجاب، والدفاع، وإنشاء التبادلات والإنتاج، ومثال للشفرات الاجتماعية: مثلاً (العلامات واللافتات التي تحدد فئة من الفئات الاجتماعية، عشيرة، عائلة، صنعة، جمعية)، فيتضح من ذلك أنّ الشعائر والاحتفالات، والازياء والألعاب عبارة عن طرائق إيصالية يستطيع الفرد أن يعرف بها نفسه إزاء الجماعة والجماعة إزاء المجتمع[1].

بعد ذلك نجد أنّ (رولان بارت) أصدر كتابه (S/Z) عام ١٩٧٠، وهو كتاب صار علماً على اهم تغير يحدث في هذا القرن للكتابة الأدبية، لأنّه يمثل رائداً لما أصبح يُعرف بالتشريحية والكتاب وهو ((قراءة تشريحية لقصة (سارازين) لبلزاك، وهي قصة قصيرة في حدود عشرين صفحة ولكن بارت يكتب عنها كتاباً يزيد عن مائتي صفحة، ويحلل القصة بناءاً على (الجمل) ويتم تفسير الجمل بناء على توجهات خمس شفرات استنبطها بارت من النص وفي ما يوجه حركات تلك الجمل وينظم دلالاتها الضمنية المتعددة))[2]، وهذه الشفرات الخمس هي[3]:

١. الشفرات التفسيرية: وتتضمن العناصر الشكلية المتنوعة التي تستعملها لغة القصة لتأويل دلالة الجملة أو لتعليق هذه الدلالة.
٢. شفرات الحدث: وتشمل كل حدث داخل القصة، من حركة فتح الباب الى الموقف الرومانسي.
٣. الشفرات الثقافية: وتشمل الإرجاعات المعرفية التي تشير الى ثقافة ما تتسرب من خلال النص، وهذا ليس معناه أنّ رولان بارت يسعى إلى رصد المعرفة العلمية للنص ولكنه يهدف فقط إلى مجرد الإشارة الى نوعية هذا المعرفة.

---

(١) ينظر: علم الاشارة السيميولوجيا: ١٣٧-١٣٨.
(٢) ينظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي: ٦١.
(٣) نفسه: ٦١-٦٢.

٤. **الشفرات الضمنية:** وهي تأتي من ملاحظة أنّ كل قارئ لنص يؤسس في ذهنه وهو يقرأ دلالات خفية لبعض الكلمات والعبارات، ثم يأخذ بوضع هذه الدلات مع مماثلاتها مما يلمسه في عبارات أخر في النص نفسه وعندما يحس بوجود مشترك لهذه الدلالات الخفية فهو عندئذ يقرر (موضوع) القصة وهو غرضها الضمني، وبهذه العملية ندرك شخصية العمل ونمنحه صفاته.

٥. **الشفرات الرمزية:** وهي تقوم على التصور البنيوي في أنّ الدلالية تنشأ من خلال مبدأ (التعارض الثنائي) الذي يقوم على (الاختلاف) بين العناصر المكونة للنص من تحول الأصوات إلى صوتيات دالة، لصناعة الخطاب، أو لتعارض الثنائي الذي ينشأ بين الجنسين وينفتح في مطلع حياة الإنسان عندما يلحظ هو طفل ابن أبيه وأمه كائنان مختلفان، وأنّه يشبه أحدهما ويختلف عن الآخر، وهذان القطبان أحدهما صوتي والآخر بشري يفرضان نظامها على النص فيأتي النص اللغوي ممثلاً لهذا التعارض الثنائي، ويتجلى ذلك في الاستعمال البلاغي للغة مثل الاعتماد على (الطباق) وهو عنصر بلاغي يحتفل به بارت احتفالاً بالغاً في تحليله للنظام الرمزي[1].

بعد استعراض آراء النقاد واختلافهم في عدد أنماط الشفرات نجد شفرات (بارت) قد وجدت صداها في النص الأدبي لأنّها توضح وبشكل تفصيلي كل دقائق الأمور الموجودة في طيات النص ودليل على ذلك (شفرات الحدث) التي تتبع الأحداث ((ابتداءاً من فتح الباب وإلى أن يصل للحدث الرومانسي)) فهذه الدقة تجعل من الشفرات الخمس أرجح من الشفرات الثلاثة التي وضعها (دانيال تشارلز) والشفرات التي وضعها بيرجيرو.

والميتالغة هي وظيفة الشفرة وتدعى أيضاً بالماوراء اللغة (Fonction metalingisilique) إذ إنّ التركيز على السنن أو اللغة المستعملة، أي النظام السيميائي الموظف بحيث تصبح اللغة موضوع الخطاب فالهدف من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح بعض المفردات[2].

---

(١) الخطيئة والتكفير: ٦٢.

(٢) ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعة بن عكنون، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٥: ١٤٨.

من خلال هذه الوظائف، والتصنيفات يتبين أنّ جاكبسون قد وضع تصنيفاً للنصوص والخطابات، وذلك بالنظر إلى الوظيفة المهيمنة في النص، فمن الصعب إيجاد نص أو خطاب يحمل وظيفة واحدة من الوظائف اللسانية المقترحة، لأنّ الأديب عند كتابته للخطاب ينتقل أحياناً من مفهوم إلى مفهوم آخر في خطابه، لذلك فيحتمل هيمنة وظيفتين أو أكثر على النص.

لقد اختلف العالم الأميركي ((شارل بيرس)) في وضعه الشفرة إذ كان يبتكر في الوقت نفسه تقريباً تصويره الخاص للسيميوطيقيا كما أطلق عليها، بحيث تشمل طرق تكوين الشفرات الرامزة وكيفية حلها، وقد تبين لناقدي الأدب المشكلة الرئيسة في اللغة العربية والفكر الثقافي الفني أنّ الأديب يعمد إلى مادة مبذولة في الحياة، مستهلكة ومستعملة لوظائف الاتصال اليومي ليقيم في داخلها نظاماً فنياً جديداً، يعتمد شفرة موضوعية وجمالية وتقنية مخالفة لشفرة اللغة والثقافة المألوفة ومتراكبة في الوقت نفسه[1].

يتجلّى استعمال الشفرة في التوصيل في الأدب بحسب قدرتها على الأفهام والتوصيل لإدراك الغاية من إرسال النص، إلى أربعة أنواع[2]:

١. الأصوات .

٢. الكلمات .

٣. المعاني .

٤. التراكيب: هي أن تحل معلومة جديد محل أخرى قديمة، أي تستنبط بصورة عقلية لبناء تطورات أعم، ترتبط بالاستبدال[3].

---

(١) ينظر: شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية النص والقصيدة د. صلاح فضل، دار الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩: ١٨١.

(٢) ينظر: قواعد النقد الأدبي: ٣٩-٤٠ .

(٣) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف: تون فان دايك، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة الجديد، ط١ ، ٢٠٠١ ، ٥٠ و ٥٨.

فعمليات التوصيل الإنسانية العامة تعرف الشفرة بأنها وسيلة ناقلة للمعاني أي أنَّ اختيار الشفرة وتركيبها يكون معياره الأول هو تأدية المعنى ، لذا فالكلام تبلغ في دلالتها ما تفوق به الدلالية العامة[1].

تعد صلة الشفرة بالمُرسِل داخل الإطار الأدبي صلة وثيقة إذ من خلاله يمكن إيصال مبتغى النصوص ومعانيها للمُرسَل إليه، وكثير من الأحيان ما تستعصي الشفرة الأدبية على المرسَل إليه فعليه أن ينظر إلى النص بدقة ودراية وتمعُّن.

يقصد به الإعادة المباشرة للعناصر في عالم النص[2] ويأتي التكرار لغرض زيادة في قوة الجملة او لغرض تعدد المعنى مع تشابه العبارة أو اختلاف القصدية من وراء ذلك، فالعبارة المكررة تتضمن معنى زائداً[3].

قد يكون التكرار لغرض التأكيد أو التشديد أو المبالغة في المدح أو الذم[4]، قد يكون التكرار لترادف الألفاظ أو استعذاب بعض الألفاظ والتلذذ بذكرها وغالباً ما يكون بذكر اسم أو الوطن[5]، ويعد هذا التكرار تنبؤاً عن شفرة الكلام بالنص أي المعنى الخفي أو ما وراء لغة النص.

يتجلَّى التكرار في رسائل ابن حزم الوجدانية (باب علامات الحب)[6] وهي تكرار الضمير الذي يعود على صاحب الذكاء الفطني يفهم بمجرد النظر، إذ قال: ((والعين باب النفس الشارع) وهي المنقبة عن سرائرها والمعبرة لضمائرها ، والمعربةُ عن بواطنها))[7].

وقد تعددت التسميات والمصطلحات التي اطلقاها العلماء على الشفرة، منها:

---

(1) ينظر: دراسة الأدب بين علم العلامة ونظرية الإخبار: ٣٠.

(2) ينظر: مدخل الى علم لغة النص: ٧٢.

(3) ينظر: اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص: ٢٠٠.

(4) ينظر: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ٣/١٥٨ .

(5) ينظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية (د.ط)، ١٩٨٠: ٢٣٩.

(6) ينظر: رسائل ابن حزم: ١/١/١٠٣.

(7) نفسه: ١/١: ١٠٣.

1. الشفرة: وهي أكثر المصطلحات تداولاً بين النقاد الغرب والعرب وقد أطلق عليها باللغة الأجنبية (code)[1].
2. السنن (code): وهي القانون المنظم للقيم الاخبارية، والهرم التسلسلي الذي ينتظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه، كلُّ نمط تركيبي فمنه ينطلق عندما يرسل رسالة خطابية معينة، وقد ذكرت هذه التسمية عند جاكبسون[2] وآخرون.
3. اللغة (Language) عند دي سوسير، وتُعدُّ اللُغة عند جاكبسون النظام الكلي الذي يتواجد ضمنه عدد هائل من الانظمة الصغرى[3].
4. النظام (System) عند هيلمسليف (Hulmselv)[4].
5. الرمز (Code): كما ذكرها رولان بارت في قصة (سارزين) إذ أفرد للرمز نوعاً خاصاً من الشفرات[5]، وهي علامة اختيرت اتفاقياً توحي بمرجعها الاصلي، فألوان اضواء المرور إستعملت إصطلاحياً للرمز على السير والوقوف والتمهل[6] والتمهل[6] والرمز هو وسيلة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي[7].

مع تنوع وتعدد تسميات ومصطلحات الشفرة تبقى التسميتين الأُصل (الشفرة، والسنن) المهيمنتين والاكثر استعمالاً بين المصطلحات عند النقاد، أمّا تسميتا (المدونة والقنرة) ذات غرابة وندرة الاستعمال في الساحة الادبية والنقدية[8].

نلحظ أنّ التسميات اختلفت اذ لكل ناقد وباحث وأديب تسميته الخاصة التي أطلقها عل الشفرة بيد أنّني أجد أقرب تسمية لتوضيح فصلية هذا العنصر هي الشفرة (Code) الذي طالما أصبح متداولاً في النقد الأدبي الحديث فحينها نقول شفرة كثير من المتلقين يفهم ماذا قصدت،

---

(1) ينظر: الخطيئة والتكفير: 61.

(2) ينظر: التواصل اللساني والشعري: 48.

(3) ينظر: قضايا الشعرية: 26-27.

(4) ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة، د. محمد عناني: 82.

(5) ينظر: البنيوية والتفكيك، تطورات النقد الادبي، رافيندرن ، ترجمة : خالدة حامد: 68.

(6) ينظر: النقد والدلالة نحو تحليل السيميائي للأدب : 18.

(7) مدخل الى تحليل النص الادبي، د. عبد القادر ابو شريفة، حسين لافي قزق، دار الفكر، ناشرون وموزعون، ط4، 2008 : 63 .

(8) ينظر: نظرية التوصيل: 252.

وبالمرتبة الثانية الرمز أو الرموز أو الترميزات التي تعد واضحة المعنى إذ إنّ دلالتها هي دلالة الشفرة الأدبية.

ت- الميتالغة (ما وراء اللغة) (Meta language):

وهو مصطلح أجنبي شهير وهو مفهوم يتوسل باللغة للحديث عن اللغة، أي إنّه يتخذ من اللغة موضوعاً للغة ثانية تكون محمولاً لها[1].

تتصدر في ذكر هذا المصطلح السابقة الاغريقية (Meta) إذ إنّها سبباً رئيساً في اختلاف ترجماته العربية، واضطرابه بين (اللغة الواصفة، ما بعد اللغة، ما وراء اللغة، ما فوق اللغة[2]، الميتالغة، اللغة الانعكاسية، اللغة الماورائية، اللغة الشارحة، تعقيد اللغة، لغة عن اللغة، اللغة البعدية، لغة حول اللغة، قول على اللغة، لغة اللغة، اللغة الجامعة)[3].

تعدد التسميات يفسر مفهوم (Meta) ويوضح للمتلقي أنّها مأخوذة من اللغة ومستلة منها إذ جاءت بعدها على الرغم من وجود بعض الفوارق النسبية بين المصطلحات الاجنبية لذا فالترجمات العربية مختلفة.

تعد هذه الكلمات (ميتا، حول، ما وراء، ما بعد ما فوق، ...) من وحي السابقة الاغريقية (Meta) التي تدل فعلاً على معاني: ((الإسهام والمشاركة (Participation)، والتوالي أو التتابع والتعاقب (Succession)، والتغير والتحول (Changement))[4].

على الرغم من تعدد التسميات ووجود بدائل كثيرة للميتالغة إلاّ أنّ عبد الملك مرتاض يذهب إلى ترجيح مصطلح (لغة اللغة) عن المصطلحات الأخر، التي أغرى بها دارسين آخرين، منهم تلميذه الدكتور حسين خمري، وقد يكون منهم ايضاً صاحبا (دليل الناقد الأدبي)...، وقد استوحى مرتاض (لغة اللغة) هذه من تأمله العميق في دلالات السابقة (Meta)، التي اهتدى إليها من تدبره للقاموس الفرنسي Robert hecreand (إذ إنّ السابقة الاغريقية (ميتا: Meta) تعني في العلوم الإنسانية غير ما تعنيه في العلوم الدقيقة، إذ معناها هنا الاشتمال والاحتواء لا الإبعاد والإخراج ، من أجل ذلك ينبغي أن يعني مصطلح (ما وراء اللغة) مثلاً التخلص من

---

(1) ينظر: إشكالية المصطلح، في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008: 495.

(2) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة): د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985: 199.

(3) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد: 495.

(4) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد: 496.

معنى داخلي والقذف به نحو الخارج، من حيث إنَّ الأمر في حقيقته منصرف الى معنيين اثنين مختلفين)[1].

واستناداً إلى ما تكرر فإنَّ سابقة (ميتا) الاغريقية الأصل، تعني في العلوم الإنسانية ما يشمل اللغة الأخرى، أو يصفها أو يحويها، وفي الوقت نفسه تتم لاصلاحية وصفها ودراستها وتحليلها، كما جاء في معجم روبير الكبير)[2].

يبدو أنَّ مصطلح (لغة اللغة) عند عبد الملك مرتاض لم يطغ على ريادة المصطلح الأول (الميتا) بالظهور الذي له الاولوية لكونه يجسد فكرة ما وراء اللغة وما قبلها وكل التسميات الأخر.

يشكل الميتالغوي اهمية كبيرة إذ يلفت النظر للملفوظ الذي يتشكل منه خطاباً يجمع بين التلفظ والصمت الموجود بـ" الآنا" و"الهنا" والآخر في موقع العالم... إذ لم ينفِ (هيدغر) دور الآخر تماماً إلاَّ أنَّ مركز الثقل في تعريف (اللغة والدازاين) معاً يتنزل في العالم ولذلك التحول من فضاء فلسفي إلى آخر ضمن تطور التأويلية المعاصرة[3].

فإنَّ ((الفهم بعد ذلك قائم على لغة التواصل بين الذات والآخر أصبح مجرداً من المعنى السيكولوجي بفتح الموجود على الوجود، ولم تعد الذات عند (هيدغر) مقولة إطلاقية تمثل طرف النقيض أو الاتجاه الآخر للموضوع، ولكنها تعرف قبل كل شيء بكونها انتماء إلى العالم، فهي موقع، وإذا نظرية الفهم تقر في الأساس معنى التجذر في العالم حيث يتشكل النظام اللساني))[4].

ويتضح من كتاب "هيدغر" أنَّ الفهم ظاهرة لغوية سواء كان ذلك كتابه في العموم أو نصاً، وهو القدرة على الوجود مشروع لا يمكن تسكينه في مصطلحات خطاب أو معنى جاهز[5].

ارتكز اهتمام (هيدغر) بـــ(الدازاين) و (اللغة) فهما العنصران الرئيسان عنده لإيصال الفهم عن طريق التأويل والربط بينهما وإرجاع ذلك إلى علاقة التواصل التي ترتبط بين الموجود والوجود وبين الذات وغيرهما.

---

(1) ينظر: اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد: ١٩٦، وينظر: نظرية القراءة تأسيس للنظرية العامة للقراءة الادبية، عبد الملك مرتاض، دار الغرب، وهران، ٢٠٠٣: ٢٥.

(2) ينظر: مجلة (علامات)، جدة، ج٥، م ٤٠، مارس ١٩٩٥: ٢١٣.

(3) ينظر: في ((الميتالغوي)) والنص والقراءة ، مصطفى الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ط1، ١٩٩٤: ٨.

(4) نفسه: ٨.

(5) ينظر: نفسه: ٩.

يُعد مصطلح الشفرة إلى الآن مصطلحاً غامضاً ومجهولاً، بالنسبة لكثير من القرّاء العرب، ولقد قدم (جوناثان كولر) تعريفاً فريداً مميزاً حقاً لهذا المصطلح في كتابه (الشعرية البنيوية)، إذ يقول: ((إنّ الشفرة مجموعة من الموضوعات والمقولات المستمدة من منطقة بعينها من مناطق الخبرة، والتي تتعالق على نحو يجعل منها أدوات منطقية تفيد في التعبير عن علاقات أخرى))[1]، فيتضح من ذلك أنّ الشفرة هي استعمال مجموعة من الرموز المستمدة من ذوي الخبر سابقاً في ((المنظومة الأدبية)) ومن أجل تقديم ((رسالة)) معينة يعمد لها الأديب، أي إيصال للقرّاء بشكل غير مباشر عادةً، وقراءة النصوص الأدبية من القرّاء تعد عملية (فك)) الشفرات إذن (الشفرة) هي مجموعة من المعايير التي توجد داخل بنية النص أو العمل الأدبي نفسه، وللمتلقي دور في كشف هذه المعايير وتأويلها.

ثانياً: فاعلية الشفرة في رسائل ابن حزم

من بين الرسائل الوجدانية لفت نظري (باب الإشارة بالعين)[2] يتجلى في تلك الرسالة عنصر الشفرة التي تكون وراء ذلك المعنى وتتعدد دلالات إشارة العين فشفرة (الاشارة بالعين) لها عدة دلالات من بين هذه الدلالات مثلاً: ((فالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهي عن الأمر، وتفسيرها إعلامٌ بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدَقَةِ إلى جهة ما ثم صرفها بسرعةٍ تنبيه على مشارٍ إليه، والإشارة الخفية بمؤخر العينين كلتيهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى المُوق بسرعةٍ شاهدٌ المنع، وترعيدُ الحدقتين من وسط العينين نهيٌ عام وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة))[3].

بما أنّ الإشارة هي مادة محسوسة، وهي مثير، ترتبط صورتها المعنوية في إدراكنا بصورة مثير آخر، إذ تنحصر مهمته في الإيحاء، والتحضير للاتصال، فصارت هنا الإشارة بالعين هي دلالة على الحب، وعلى التهديد، والنهي في بعض المواضع، فهذه الشفرة تنبأ عن إيصال معنى ما، وتعد هذه الرسائل عبارة عن رسائل العالم المرئي التي تعد في الثقافات القديمة رسائل الما وراء[4]، يرسلها ابن حزم إلى المتلقين لتفسير وتبيان علامات الحب أو

(1) الشعرية البنيوية، جوناثان كولر، ترجمة: السيد إمام، دار الشرقيات، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٠ : ٦٦.

(2) رسائل ابن حزم : ١/١ : ١٢٦.

(3) نفسه: ١/١: ١٢٦-١٢٧.

(4) ينظر: النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، محمد عزام: ١٩-٢٠.

أبواب حدوثه، فالعين لها عدة دلالات وهي إحدى الوسائل الرئيسة لإيصال معنى أو شفرة ما، ويتضح ذلك بقول ابن حزم: ((واعلم أن العين تنوب عن الرُّسُل ، ويُدرَك بها المراد والحواس الأربع أبوابٌ إلى القلب ومنافذُ نحو النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالةً وأوعاها عملاً وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوّة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات، وقد قيل: ليس المُخبِرُ كالمعاين، وقد ذكر ذلك افليمون[1] صاحبُ الفراسة وجعلها معتمدةً في الحكم))[2].

يعد (باب الحب من أول نظرة واحدة)[3] شفرة، فالإيماء عن طريق الإشارة للإعجاب والاهتمام وتعلّق القلب فتكون صدفة أحياناً يحدث الحب من نظرة واحدة بسرعة ودون تحضر وتهيء وقد فصل ابن حزم تحت هذا الباب العديد من الرسائل التي تجمد حسب المحبوب وحبه تحبيبه من نظرة واحدة.

وهذه الشفرة تكون بداية لقصة حب تدوم طويلاً وقال ابن حزم في ذلك ((وكثيراً ما يكون لُصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة))[4]، إذ تعد النظرة الواحدة شفرة إيصال الحب ولصوقه في قلب المحب من أول وهلة، ومعنى ذلك أنّ ابن حزم لم يكن يرى الحواس مدخلاً في حقيقة العشق ولا حيلة في بطانه، فالاستحسان لديه إنّما هو للروح والامتزاج عنده إنّما هو لقوى النفس[5]، كما قال: ((أمّا ما يقع من أول وهلة ببعض اعراض الاستحسان الجسدي واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ..))[6]، فالحواس هي طريق وقوع الحب، فما الذي يجعله اتصالاً بين أجزاء النفوس وتمازجاً بين اجزائها في أصل عنصرها الرفيع؟ ما دامت الحواس – وخاصة السمع والنظر هي إحدى عناصر إيصال مشاعر الحب.

قد كثر وجود بعض الشفرات التي لفتت انتباه القراء في نصوص الرسائل الفقهية لابن حزم من بين هذه الرسائل هي ((رد أبي محمد بن حزم على ابن النغريلة اليهودي لعنة الله))[7]

(1) افليمون [Philemon] صاحب الفراسة، ينظر في امتحان قدرته على الفراسة ابن ابي اصيبعة 1: 27 وذكره صاحب صوان الحكمة وأورد له في العشق: هو مرض يحدث في الروح جالبة النظر ومسكنه القلب ومهيجه الفكر (صوان: 245)، وقال القفطي: فاضل كبير عالم في فن من فنون الطبيعة وكان معاصراً لبقراط ويعتقد أنه شامي الدار، كان خبيراً بالفراسة عالماً بها .... وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية (ينظر: تاريخ الحكماء: 60).

(2) رسائل ابن حزم: 1/1: 127.

(3) رسائل ابن حزم 1/1: 120 .

(4) نفسه: 1 /1: 120.

(5) ينظر: دراسة الحب في الحب، د. مصطفى عبد الواحد: 2/249.

(6) طوق الحمامة: 26.

الله))[1] كانت ردود ابن حزم معزز بالنصوص القرآني إذ يتجلى بذلك مدى تأثير في النص الديني الذي يعد قاعدة نصية يستند عليها للوقوف بوجه ذلك الرجل اليهودي، ومما جاء في نصوص رسالته قوله ينوه عن اعتراض الزنديق اليهودي على القرآن الكريم بزعمه ((أن ذكر(قول) الله عز وجل: [□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □][2].

قال هذا المائق، الجاهل: فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأنّ ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأخبره أنّ كل ذلك من عند الله؛ ثم قال: في آخر هذه الآية[□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □][3] قال هذا الزنديق الجاهل: فعاد مصوباً لقولهم ومضاداً لما قدم في أول الآية))[4]. أي أول اعتراضات ابن حزم جاءت لما وجه من تعريف بتأويل النص القرآني لابن النغريلة، إذ إنّ الآية الكريمة تعد من الآيات الواضحة التأويل لا لبس فيها، لكنه زنديق مائق، مخالفة المفسرين ولا يبالي ان كان قد طغى وبالغ في تماديه، فوجود النص القرآني يوضح شفرة تعبيرية مهمة وهي تأثر ابن حزم الديني بالقرآن الكريم، يتضح ذلك بدفاعه عن كتاب الله وذكره تفسير الصحيح للآية الكريمة، التأثير الديني لابن حزم يتضح عند رده على اعتراضات ابن النغريلة اليهودي على بعض نصوص القرآن قائل ((وليت شعري أين كان هذا الخسيس المائق بهذا الاعتراض على هذه الأنوار الساطعة والحقائق الظاهرة عن التفكير فيما يقرأونه في هنيئتهم المخترع وزورهم المفتعل الذي يسمونه ((التوراة)) ...))[5]، وبعد ذلك أيضاً يذكر ما قاله الخسيس الجاهل الجاهل في قول الله تعالى[ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ][6] ثم قال في آية أخرى[ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ][7] قال: اليهودي هذا تناقض عظيم، لكن ذلك جهل منه[8].

ويستمر ابن حزم وفي أغلب رسائله تظهر شفرة تأثره بالنصوص القرآنية إذ يذكر في رسالته ((رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف والله أعلم))[9] ويذكر

---

(1) رسائل ابن حزم: ٣/٢: ٤١.
(2) سورة النساء: آية ٧٨.
(3) سورة النساء: آية ٧٩.
(4) رسائل ابن حزم: ٣/٢: ٤٢.
(5) نفسه: ٣/٢: ٤٨.
(6) سورة المرسلات: آية ٣٥-٣٦.
(7) سورة النحل: آية ١١١.
(8) ينظر: رسائل ابن حزم: ٣/٢: ٤٩.
(9) نفسه: ٣/٢ : ٧٣.

ويذكر في رسالته بالإجابة عن التعليل والاجتماع ((إنا نرى التعليل والاحتجاج، فقد مزجوا الكتب بالصدق والباطل بالحق، وأعوذ بالله أن نرى التعليل، بل قد رمونا هاهنا برأيهم، وهم الداعون إلى التحليل لا نحن ... فلو اتقى الله تعالى هؤلاء القوم لم يتكلموا فيما لا يحسنونه وقد سمعوا قول الله تعالى:[ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ][1] يوصيهم ابن حزم هاهنا بتقوى الله تعالى في تأويل النصوص القرآنية لأنه كلام مقدس ولا يجوز أن يتعرّض الى تفسيره إلا ذوي العلم والمتفقهون بالدين.

قد تحدث ابن حزم في رسالة التلخيص لوجوه التخليص)[2]. إذ يحث الناس على اتباع اتباع ما وأولى به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها تسبيح الزهراء (عليها السلام) بقوله: ((فأمرهم عليه السلام أن يقولوا في دبر كلا صلاة: الله أكبر أربعاً وثلاثين مرة، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة فتلك مائة، وقد نص الله أن الحسنة بعشرة امثالها، فعلى هذه المائة المذكورة ألف حسنة))[3] كما أوصى بتلاوة القرآن الكريم إذ نقل عن ابن عباس رضي الله عنه، أو عن أنس بن مالك أنه قال: ((إنكم لتعملون أعمالاً هي ادق في عيونكم من الشعر، كنا نعهدها على عهد رسول الله من الموبقات. فأعلموا أيها الإخوة أنَّ الأمر والله جدٌ، وأنَّ المتشبث صعب، وأنَّ التخليص عسير إلا بتوفيق الله عز وجل برحمته لعمل الخير، بقبول اليسير منها، وتجاوزه عن كثير ذنوبنا، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ولكن الله تعالى قال وقوله حق: [□ □][4] [ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ][5]، وقال تعالى: [□ □][6]، فيستجيب للمسلم الذي يطلب النجاة أنْ يأتي بما لعله أن يوازي ذنوبه ويوازي سيئاته))[7]، نجد أنَّ الكلام قد ربط بالآيات القرآنية التي تقوي من عزيمة المسلم وتحثه على الالتزام بما أوصانا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فالشارة هنا هو تأثر ابن حزم الديني بالقرآن والسنة النبوية واتباع وصايا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتوال مرضات الله عز وجل.

---

(1) سورة آل عمران: ٦٦.
(2) رسائل ابن حزم: ٢/١٤٣:٣.
(3) راجع البخاري (الأذان : ١٥٥) والترمذي (مواقيت : ١٨٥).
(4) سورة النجم: آية: ٣٩-٤٢.
(5) سورة النمل: آية: ٩٠.
(6) سورة يس: آية : ٥٤ .
(7) رسائل ابن حزم: ٢/٣: ١٤٩-١٥٠.

دليل ذكر ابن حزم لوصايا الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على قضية مذهبية وحاجة الناس بأن يوازنوا بين الجانب الديني والإيماني بغض النظر عن المذهب، فتعد هذه الدلالة هي شفرة النص الفقهي الذي ذكره ابن حزم، إضافة إلى مدى بالتصوص القرآني إذ كان في كثير من المواضع يعزز كلامه ويسنده بالشواهد القرآنية.

وقد ذكر ابن حزم في رسائله الفقهية ((رسالة في ألم الموت وأبطاله))[1] إذ سؤل هل هناك ألم في الموت، فعند التدقيق بإجابة ابن حزم الأندلسي نجد المبالغة تتضح في ثنايا كلامه لظهور معنين يختلف أحدهما عن الآخر إذ يُعد هذا الاختلاف شفرة لكلامه إذ يعد الموت رمزاً للنهاية المحتومة لكل إنسان، إذ إنَّ هنالك من رجعه عدم وجود ألم اصلاً للموت بل هو راحة كل إنسان بقوله ((اختلف المتكلمون من أصحاب الطبائع في الموت: هل له ألم أم لا ألم له، فقالت طائفة إنَّه لا ألم له أصلاً))[2]، وقد فصلوا القول في ذلك إذ ذكروا براهين لعدم وجود ألم أولهم: حسي والآخر الضروري[3].

أمَّا من قال أنَّ للموت فصَّر ذلك بقوله ((وقد نجد من تخرج النفس من بعض أعضائه فيموت ذلك العضو خاصة من المفلوجين، ومن عفن بعض أعضائه لبعض القروح والعلل، لا بالموت، لخروج النفس عن ذلك الموضع، حين خروجها، لا بعده، وإنَّما الألم ما دامت النفس في ذلك الموضع قوية التشبث))[4] والمعنيان هما من دلالة ما وراء اللغة أو المعنى غير الظاهر من نفسها الكلمة إذ إنَّ (الموت) هو نفسه لكن اختلاف وجهات النظر في فهمه وقصدية هذا المصطلح منهم من ثبت على ان الموت في حد ذاته هو ألم ومفارقة لكن منهم من أخذ المعنى الآخر له إذ عدَّه راحة ولقاءً بالله عز وجل وهو اسمى شيء.

وهذا المعنى وجدناه في شعر أبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وهو يمنحنا مفهوماً مغايراً للموت عند عامة الناس على أنَّه فراق وألم وعناء وحزن بل هو يقول:

لا تفرق النفس من حتفٍ يحلُّ بها

فالنفس أنثى لها بالموت إعراسُ[5]

---

(1) رسائل ابن حزم: ٤/١: ٣٥٩.

(2) نفسه: ٤/١: ٣٥٩.

(3) ينظر: نفسه: ٤/١: ٣٥٩.

(4) نفسه: ٤/١: ٣٥٩–٣٦٠.

(5) ديوان سقط الزند، لأبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ) ، تحقيق : احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، دار بيروت بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٥٧: ١/٦٩٧.

يتضح هنا فراق في معنى الموت بين أديب وآخر إذ هنالك من يعد الموت لقاءً للعبد بربه وهو نقاوة الروح من الجسد وإخلاصها للذات الإلهية لذا نجد المعنى الفلسفي عند أبي العلاء المعري فوصفه بأنّه عرسٌ وصور الكفن وكأنه فستان العروس الأبيض يوم زفافها، ليجسّد فرحه العبد بلقاء الله عز وجل، مفارقة واضحة بينه وبين ما يضمره الإنسان من خوفٍ وقلق من الموت وهنا يتجلّى الفارق بين ابن حزم وتصويره للموت وتفسيره للألم المصاحب مع انتزاع الروح ن الجسد وأبي العلاء والصورة المزدهرة المبتهجة التي رسمها للموت.

❖ نتائج البحث

نتائج البحث

تكمن قيمة كل عمل في قطافه ونتاجه، وبعد الرحلة في رحاب رسائل ابن حزم الأندلسي التي تتصف بكثرتها وتعدد موضوعاتها، وهي التي درستها في ضوء معطيات نظرية التوصيل النظرية التطبيقية وربط القديم بالحديث توصلت إلى نتائج مهمة يمكن أن أوجزها في الآتي:

١. كانت رسائل ابن حزم الأندلسي على الرغم من قدمها تحتوي على طريقة توصيل المعلومة للمتلقي بصورة واضحة وكأنّه قد راعى تعددية القرّاء عند تأليفه لنصوص الرسائل فقد وجدت في بعض رسائله سهولة في التعبير ووضوح الكلمات، فضلاً عن استعماله السجع الذي يسهل للقارئ فهمها وإبقاءها في ذاكرته.

٢. كانت الرسائل الوجدانية المتمثلة في رسالة طوق الحمامة أولى الرسائل التي اتضحت فيها عناصر الاتصال لقربها إلى قلوب وأذهان المتلقين، أمّا الرسائل التاريخية (السيرية) وضحت دقة نقل ابن حزم للأحداث التاريخية المتميزة والتي تتصف بالغرابة والندرة، لتلفت انتباه المتلقي، وتحثّه على تواصل قراءتها لمعرفة بعض الأمور والأحداث التي قد خفيت عنه، أو يرى منها شيء عجيب لم يحصل من قبل فتزداد رغبته لمعرفتها، أمّا الرسائل الفقهية فقد وجدت فيها أنّ ابن حزم قد اعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية للخوض في الأمور الفقهية، أو للرد على اليهودي ابن النغريلة، فضلاً عن إرشاد الناس لفضل تلاوة القرآن الكريم، وفضل تسبيحة الزهراء(ع) بعد كل فريضة، أمّا الرسائل العلمية الذي ذكر فيها علماء العرب واختصاصاتهم ذاكراً كل العلوم وأهم من اشتهر بها، بعد ذلك انتقل إلى: الرسائل الاجتماعية الذي وضحت وابانت للقارئ ما كان يفعل الخلفاء من أمور منافية للخلافة وأهمها انهماكهم بالمعاصي ومجاهرتهم بالفسوق.

٣. تظهر دقة ابن حزم بانتقائه الألفاظ والتراكيب التي عبر بها عن الحب وعلاماته وعن تعلق الحبيب بمحبوبته تدل على تربيته بين أحضان النساء وتعلقه بهن ومعرفته لتفاصيل حياتهن أكثر من سائر الرجال.

٤. أمّا عناصر التوصيل وأهمها الثالوث المتكون من (المُرسِل، الرسالة، المُرسَل اليه) فقد توصل البحث إلى أهمية اكتمال العناصر الست كما في مخطط جاكبسون ليتم من

خلال ذلك لإيصال المعلومة للمتلقي وبشكل دقيق وضرورة توافر (الشفرة والسياق وقناة الاتصال) لاتمام عملية التوصيل لأنَّ لكل منها وظيفة تمنحها مركزية في عملية التواصل.

٥. تكرار ابن حزم الأندلسي لبعض العبارات تعد تأكيداً وزيادة للمعنى وتوصل القارئ الى شفرة الكلام أي رمز النص وقصدية ابن حزم.

٦. ابتدأ ابن حزم رسائله بالافتتاح بالدعوات وحمد الله والصلاة على محمد وآل محمد جعلت من المتلقي يهوى قراءتها لقربها من نفوس المؤمنين.

٧. تفسيره لبعض الأمور بطريقة تدعو إلى الالتزام في العيش بالواقع وترك التخييل والأحلام، إذ حذر من التعلق بمحبوب لا وجود له في الحياة وذلك في (باب من أحب في المنام).

٨. أساليب ابن حزم الأندلسي التي تولد المفاجأة أحياناً والدهشة احياناً أخرى سهلت من عملية توصيل فكرته إلى المرسل إليه مهما كانت بساطة تفكيره وقلة معرفته.

٩. المنطوق والمكتوب هما أهم وسائل نقل الأدب والعلوم القديمة والحديثة، فأسبقية المنطوق تتضح من اعتماد الادباء أسلوب الإلقاء لايصال ما كتبوه للمتلقي بسهولة ويسر ودون عناء.

إذ تعد الشفاهية والكتابة ظاهرة ادبية نقدية تهدف إلى إيصال المعلومة للمتلقي حسب الحقبة الزمنية ، فقد كانت الشفاهية هي اداة توصيل النثر والشعر قبل التدوين والى الآن لها أهمية ومركزية في نقل المعلومة الأدبية بأبسط صورة، أمَّا الكتابة فهي وسيلة إيصال الكتب والمؤلفات والمدونات للمتلقي وتعد أفضل طريقة لإيصال المعلومات العلمية عبر الازمان.

١٠. يعد السياق مختلفاً عند ابن حزم الأندلسي، إذ برع بإيصال السياق النفسي والعاطفي ودلالته في نصوص الرسائل الوجدانية الذي تناول فيها وصف بارع لأحوال المحبين فكان الفراق ووصف مرارته في مقدمة معاناة المحبين التي نقلها ابن حزم، كما امتاز سياق كلامه باللين والرقة مكتسباً ذلك من تربيته وتعليمه من النساء، فقد غلب طابع الأندلس والترف الذي عاشه على اختياره للتراكيب والألفاظ والعبارات في نصوص رسائله.

[redacted]

مسرد الجداول والمخططات

مسرد للجداول والمخططات

أولاً: الجداول

ثانياً: المخططات

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر العربية

١. إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، د. محمد العبد، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٨.

٢. الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، د. عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، (د. ط)، ٢٠٠٣.

٣. اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، سلسلة رسائل جامعية، يوسف اسكندر، دار الشؤون العامة، العراق ـ بغداد، الاعظمية، ط١، ٢٠٠٤.

٤. الاتصال الجماهيري، المنظور الجديد، د. هادي نعمان الهيتي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٨.

٥. الاتصال الفعّال في العلاقات الانسانية والإدارة، مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٦. إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، يروغن هابرماز، ترجمة وتقديم: د. محمد مهيبل، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠: ١٢

٧. اثر العربية في استنباط الاحكام الفقهية من السنة النبوية، يوسف العيساوي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٨. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ط، ١٩٨٤.

٩. الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي، ت (٤٥٦ هـ)، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٤٥هـ.

١٠. أدب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي، وفلاح القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١٩٨٩،١.

١١. الأدب، جان بول سارتر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. محمد هلال، دار النهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.

١٢. الأدب وخطاب النقد، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

١٣. اساسيات اللغة، رومان جاكوبسن، ترجمة سعيد الغانمي، الدار البيضاء ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

١٤. أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي ط٢، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٨٩.

١٥. استراتيجية التأويل من النص التفكيكية، محمد بو عزة، دار الامان، الرباط، ط١، ٢٠١١.

١٦. أستراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)،عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدث، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

١٧. استراتيجية القراءة والاقراء، محمد حمود، منشورات ديداكتيا، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٩٩٣.

١٨. اسس السيميائية، دانيال تشاندلر، ترجمة د. طلال وهبة، المرجعية: د. ميشال زكريا، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

١٩. الأسس العملية لنظريات الاعلام، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب اللبناني بيروت ـ لبنان، ط١، د.ت.

٢٠. الأسلوب الرؤية والتطبيق، د. يوسف ابو العدوس، عمان ـ الاردن، دار الميسرة، للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠٠٧.

٢١. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية، د. أحمد الشايب، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.

٢٢. الاسلوب والاسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، حنا عبود(د.ت).

٢٣. الاسلوب والاسلوبية، بييرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الانماء القومي، لبنان (د.ط)، (د.ت).

٢٤. الاسلوبية، مفاهيمها وتجليها، د. موسى ربابعة، دار الكندي ـ إربد ، ط١، ٢٠٠٣.

٢٥. إشكالية المصطلح، في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨.

٢٦. الاصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٨.

٢٧. الإعلام والرأي العام والدعاية، بغداد، مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٦.

٢٨. آفاق المتلصية المفهوم والمنظور، مجموعة مؤلفين، تحقيق: محمد خير البقاعي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط).

٢٩. اكتساب اللغة، ماوله ريشل، ترجمة د. كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤.

٣٠. آليات السرد الشفاهية والكتابية، دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، سيد اسماعيل ضيف الله، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٣١. الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، د. عباس رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ـ الأعظمية، ط١، ٢٠٠٩.

٣٢. الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية، د. أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
٣٣. أنسنة النص مسارات معرفية معاصرة، محمد سالم سعد الله، (سلسلة النقد المعرفي)، عالم الكتب الحديث، اربد ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٧ .
٣٤. انظمة العلامات في اللغة والادب والثقافة، مدخل الى السيميوطيقا، مقالات مترجمة، إشراف: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة، ثبت المصطلحات، اعداد: سيزا قاسم، واحمد الادريسي، (د.ط)، ١٩٨٦.
٣٥. انماط من الغموض في الشعر العربي الحر، د. خالد سليمان، منشورات جامعة اليرموك، الاردن، د.ط، ١٩٨٧.
٣٦. البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دلفوش جار الله دزيي مطبعة رون السليمانية، ٢٠٠٤.
٣٧. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط٢، ١٩٨٢.
٣٨. البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان الكاتب، تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحارثي، مطبعة العاني، بغداد، (د.ط)، ١٩٩٨.
٣٩. بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٤٠. البلاغية والاسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤.
٤١. بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
٤٢. البنيوية والتفكيك، تطورات النقد الادبي، س رافيندران، ترجمة خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ط)، ٢٠٠٢.
٤٣. البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.
٤٤. البيان والتبيان، للجاحظ ت(٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥.
٤٥. تأمل في الخطاب الشعري المعاصر من منظور دلالي، د. عبد الله حمادي، ضمن كتاب السيميائية والنص الادبي إعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عناية باجي مختار، منشورات جامعة عناية باجي مختار، الجزائر، ١٩٩٥.
٤٦. التأويل وقراءة النص، في دراسات الاعجاز القرآني، دراسة في الهرمينوطيقا الأدبية الإسلامية، د. سرحان جفان، دار ينابيع، طباعة، نشر وتوزيع، ط١، ٢٠١٠.
٤٧. التحليل النقدي والجمالي للأدب، د. عناد غزوان، دار آفاق عربية، ط١، بغداد، ١٩٨٥.

٤٨. التخطيط الاعلامي، المفاهيم والاطار العام، رؤيا في موسيولوجية لمنطق الظاهرة الاعلامية ومضامينها، عمان، دار شروق للفكر والتوزيع، ١٩٩٨.

٤٩. التداولية واستراتيجية التواصل، د. ذهبية حمو الحاج، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥.

٥٠. التداولية واسرد، جون ـ ل ـ أدمز، تر: د. خالد سهر، العراق ـ بغداد ـ الاعظمية، ط١، ٢٠٠٩.

٥١. التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، ط١، البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٣٨.

٥٢. التفاعل النصي، للنظرية والمنهج، نهلة فيصل الاحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

٥٣. التقريب لحد المنطق، لابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، (د ـ ت).

٥٤. التكملة، لابن الانباري، القاهرة، (د ـ ت)، ١٩٥٦.

٥٥. التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الطاهر حسن بومزبر، الدار العربية للعلوم، منشورات دالا الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.

٥٦. توسيع الفجوة بحث في العلاقة بين الأسلوبية والألسنية والنقد الأدبي، د. مالك المطلبي، آفاق عربية، بغداد، ع١٢، ١٦، ١٩٩١.

٥٧. الثابت والمتحول (بحث في الابداع والاتباع عند العرب)، صدمة الحداثة، ادونيس (علي احمد سعيد)، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.

٥٨. ثقافة الوعي المنهجي قراءة في إشكاليات الدرس النقدي الحديث، د. ناهضة ستار، دمشق، ط١، ٢٠١١.

٥٩. جدلية السياق والدلالة، اللغة العربية النص القرآني انموذجاً، د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، م. حيدر جبار عيدان، كلية الآداب، جامعة الكوفة.

٦٠. الجذوة ، المقتبس للحميدي، محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٢.

٦١. جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية (د.ط)، ١٩٨٠.

٦٢. جمرة النص الشعري، نظرية في الفاعلية والحداثة، عز الدين المناصرة، منشورات الاتحاد العام الكتاب العرب، عمان ـ الاردن، ط١، ١٩٩٥.

٦٣. الحداثة وما بعد الحداثة، بيتر بروكر، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، ط١، ١٩٩٥.

٦٤. الخصائص، ابو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة، (د. ط)، ١٩٥٢.

٦٥. الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد العربي، د. هيام عبد زيد عطية، دمشق، ط١، ٢٠١٢.

٦٦. الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ط٧، ٢٠١٢.

٦٧. دراسة الحب في الأدب العربي، د. مصطفى عبد الواحد، دار المعارف، مصر ـ القاهرة، (د.ت).

٦٨. دراسة الصوت اللغوي، احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ليبيا ـ تونس، ط١، ١٩٨١.

٦٩. الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، د. تراث حاكم الزيادي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة الصادق الثقافية، العراق ـ بابل ـ الحلة، ط١، ٢٠١١.

٧٠. دلالة السياق في النص الادبي، دراسة نقدية، د. محمد مختار جمعة مبروك، ١٤٢٧هـ.

٧١. دلالة السياق، د. ردة الله بن ضيف الطلحي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٣٤هـ.

٧٢. الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر، لندن، ط١، ٢٠٠٧.

٧٣. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، دار الفكر، آفاق معرفة متجددة، ط١، ٢٠٠٧.

٧٤. دلائل الحائرين، موسى ابن ميمون، تحقيق: حسين آتاي، انقرة، (د.ط)، ١٩٧٤.

٧٥. دليل الدراسات الأسلوبية، د. جوزيف، ميشال شريم، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧.

٧٦. دليل الناقد الأدبي ميجان الرويلي و سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، توزيع دار الصادق (ع)، حلة، ط٣، ٢٠٠٢.

٧٧. دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة د. كمال بشر، (د.ت)

٧٨. دينامية النص (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٧.

٧٩. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي(ت ٥٤٢هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩.

٨٠. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د. احسان عباس، مؤلف من الاردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.

٨١. الرسائل الفنية في العصر الاسلامي حتى نهاية العصر الأموي، غانم جواد، المكتبة الوطنية، بغداد، د. ط، ١٩٧٨.

٨٢. رسائل الكندي، (كتاب الكندي إلى المعتصم في الفلسفة الاولى)، ابو يوسف يعقوب بن اسحاق، حققها واخرجها د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، الجزء الثاني، (د.ط) ١٩٥٠.

٨٣. الرموز في الفن والاديان والحياة، فيليب سيرنج، ترجمة: عبد الهادي عباس، إربد ـ الاردن، ٢٠٠٦.
٨٤. سيكولوجية الابداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل أسعد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، (د.ت).
٨٥. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعة يوسف، مطبعة السياسة، الكويت سلسلة عالم المعرفة (١٤٥)، (د.ط)، ١٩٩٠.
٨٦. السيميائيات أسسها ومفاهيمها، عبد القادر فهيم سيباني، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٠.
٨٧. السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، عبد القادر فهيم الشيباني، مطابع دار العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
٨٨. السيمياء وتبليغ النص الادبي، بشير ابرير، ضمن كتاب السيميائية والنص الأدبي، اعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة عنابة باجي مختار ، منشورات جامعة عنابة باجي مختار، الجزائر، ١٥/١٧ مايو، ١٩٩٥.
٨٩. السيميائيات أو نظرية العلامات، جرار دولودال، ترجمة د. عبد الرحمن بو علي، مطبعة الجديدة ـ الدار البيضاء، ط١ ، ٢٠٠٠.
٩٠. سيميائية النص الادبي، انور المرتجي، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩٨٧.
٩١. الشعر الجاهلي، محمد النويهي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.
٩٢. شعر آوس بن حجر ورواته الجاهليون دراسة تحليلية، محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة، بغداد ـ العراق، (د.ط)، ١٩٧٩.
٩٣. الشعرية البنيوية، جوناثان كولر، ترجمة: السيد إمام، دار الشرقيات، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٠.
٩٤. شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيدة، د. صلاح فضل، دار الادب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.
٩٥. الشفوي والمكتوب، د. محمد لخضر معقال، ضمن مجموعة باحثي: آمال الملتقى الدولي حول الشفاهيات الافريقية، ١٩٩٢.
٩٦. صحيح البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، المطبعة العثمانية، مصر، (د.ط)، ١٩٣٢.
٩٧. صحيح مسلم، بشرح النووي أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار احياء التراث، بيروت، ط٣، ١٩٨٤.
٩٨. الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائها، ابن بشكوال، نشر عزت العطار، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٥.

٩٩. طوق الحمامة في الألف والالاف، تأليف ابن حزم الاندلسي، ط٢، ترجمة د. طاهر مكي، دار الهلال، ١٩٩٤.

١٠٠. طوق الحمامة في الألفة والالاف، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: جلال الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

١٠١. عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، اديث كيرزويل، ترجمة د. جابر عصفور، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٥.

١٠٢. العلاقات العامة والاعلام من منظور وعلم الاجتماع، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٧.

١٠٣. العلاقات العامة، والعلاقات الانسانية، والرأي العام، د. علي الباز الاسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٨٥.

١٠٤. العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، دمشق – ركن الدين، (د.ط)، ٢٠٠٩.

١٠٥. علم الاتصال المعاصر دراسة في الانماط والمفاهيم وعلم الوسيلة الاعلامية في المجتمع السعودي، د. عبد الله الطويرقي، مكتبة العبيكلة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٩٩٧.

١٠٦. علم الاتصال، مفاهيمه – نظرياته – مجالاته، صلاح الدين جوهر، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠.

١٠٧. علم الاسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥.

١٠٨. علم الاشارة السيميولوجيا، بييرجيرو، ترجمة: د. منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٨٨.

١٠٩. علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي – ليبيا، ط١، (د.ت).

١١٠. علم الدلالة، بياغيرو، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت سوارين، ط١، ١٩٨٦.

١١١. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (د. ط)، ١٩٨٨.

١١٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٠.

١١٣. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تأليف: تون فان دايك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة الجديد، ط١، ٢٠٠١.

١١٤. فضاءات جديدة للنقد الثقافي، مجلة عالم التربية، حفناوي بعلي، راهن العلوم الانسانية أي نموذج تربوي، المدينة الجديدة – المغرب، العدد١٦، ٢٠٠٥.

١١٥. في ((الميتالغوي)) والنص والقراءة، مصطفى الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٩٤.
١١٦. في أصول الحوار وتجديد الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، (د.ت).
١١٧. في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة باحثين، تر وتقديم: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.
١١٨. في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠٠٧.
١١٩. في النقد ولغته، د. عناد غزوان إسماعيل، الكوفة ، النجف، س٣ ، ٢٠٠٢.
١٢٠. في بلاغة الخطاب الأدبي بحث في سياسة القول، سلسلة بحوث ودراسات، عبد الله البهلول، قرطاج للنشر والتوزيع، جانفي، ط١، ٢٠٠٧.
١٢١. في معركة النص (دراسات في النقد الادبي)، د. حكمت صباغ الخطيب، دار الافاق الجديدة للنشر، بيروت ١٩٨٥.
١٢٢. في نحو اللغة وتركيبها، خليل احمد فايزة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ـ السعودية، ط١،١٩٨٤.
١٢٣. في نظرية الادب، د. شكري عزيز ماضي، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦.
١٢٤. قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
١٢٥. القاموس والمحيط والقانون الوسيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، دار العلم للجميع، ط٨، ٢٠٠٥.
١٢٦. قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، د . محمد الولي و مبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٨.
١٢٧. قواعد النقد الادبي، لاسل أبركومبي، ترجمة: محمد عوض محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦.
١٢٨. كتاب البر، صححه ابن حيان تحقيق: شعيب الارناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.
١٢٩. كتاب الحيوان، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
١٣٠. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن أبو الفضل بن سهل ت(٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ، (د.ط)، ١٩٥٢.
١٣١. كتاب العين، للخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. محمد المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤.

١٣٢. الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٢.

١٣٣. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦.

١٣٤. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨.

١٣٥. اللسانيات النشأة والتطور، احمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعة بن عكنون، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٥.

١٣٦. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١.

١٣٧. اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، النشرة الأولى، (د.ط)، ١٩٨٤.

١٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، ط٣، ١٩٩٨.

١٣٩. اللغة بين العلامة والتركيب، د. عائشة خضر البدراني، جامعة الموصل، العراق، المرجعيات في النقد والادب واللغة، مؤتمر الدولي الثالث عشر ٢٧-٢٩ تموز، ٢٠١٠.

١٤٠. اللغة والإبداع مبادئ علم الاسلوب العربي، شكري محمد عياد، انترناشونال برس، مصر، ط١، ١٩٨٨.

١٤١. اللغة والتواصل الاجتماعي، د. فتحي علي يونس و آخرون، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥.

١٤٢. اللغة والخطاب، عمر اوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ٢٠٠٠.

١٤٣. اللغة، فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٠.

١٤٤. الله والعالم، عند ابن حزم الأندلسي، د. مهدي طه مكيّ، دار العلوم العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٣.

١٤٥. مادة الظاهرية، في دائرة المعارف الاسلامية، محمد ثابت الفندي وآخرون، المجلد الخامس عشر، د.ت.

١٤٦. مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٥.

١٤٧. مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٨٥.

١٤٨. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير، ضياء الدين ابن الاستوادات (ت٦٣٧هـ)، قدم له وعلق عليه: د. احمد الحوفي، د. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، ومطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠، ١٩٦٢.

١٤٩. المحاورة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث، اربد ، الاردن، ٢٠١٢.

١٥٠. مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والابداع، د. فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.

١٥١. مدخل الى الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والاسهامات العربية، د. عاطف عدلي العبد عبد، ط٣، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ١٩٩٩. مدخل إلى الأدب التفاعلي، د. فاطمة البريكي، المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٦.

١٥٢. مدخل الى التحليل البنيوي للنصوص، دليلة المرسلي وأوخريات، دار الحداثة للطباعة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٥.

١٥٣. مدخل الى السيمياء في المسرح ـ مقارنة سيميائية لنص (ليالي الحصاد)، زياد جلال، مطابع الدستور التجارية، عمان، الاردن، د. ط ، ١٩٩٢.

١٥٤. مدخل إلى السيميوطيقيا حول بعض المفاهيم والأبعاد، سيزا قاسم، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢ (د.ت).

١٥٥. مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلاوي دلاش، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٩٢.

١٥٦. مدخل الى اللسانيات، رضوان القضماني واسامة العكش، جامعة البعث، سوريا ـ حمص، ١٩٨٨.

١٥٧. مدخل الى تحليل النص الادبي، د. عبد القادر ابو شريفة، حسن لافي قزق، دار الفكر، ناشرون وموزعون، ط٤، ٢٠٠٨.

١٥٨. مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، تأليف زتسيلاف واورزنياك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مدينة نصر ـ القاهرة، ط٢، ٢٠١٠.

١٥٩. مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٦.

١٦٠. مدخل في الاتصال الجماهيري ونظريات التأثير، برهان الشاوي، اربد ـ الاردن، دار الكندي، ط٢، ٢٠٠٨.

١٦١. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، العدد ٢٣٢ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ـ الكويت، ١٩٩٨.

١٦٢. المرجعيات في النقد والأدب واللغة ، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر ، ط١ ، اشراف ، د. ماجد الجعافرة، د. أمجد طلافحة، جامعة اليرموك، إربد ـ الأردن، ٢٠١٠.

١٦٣. المصطلحات الادبية الحديثة، د. محمد عناني، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
١٦٤. معايير التحليل الاسلوبي، ميكائيل ريفاتير، ترجمة وتقديم وتعليق: د. حميد لحمداني، منشورات دار سال، دار النجاح الجديد، البيضاء، ط١، ١٩٩٣.
١٦٥. المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد محمد علي محيي الدين التميمي المراكشي، (ت ٦٤٧هـ)، د.ط، القاهرة، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٦٣.
١٦٦. معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف ـ الجزائر، ط١، ٢٠١٠.
١٦٧. المعجم الفلسفي، بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبيا، ذو القربى، قم، ط١، ١٣٨٥هـ.
١٦٨. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة): د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٥.
١٦٩. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة بيروت، لبنان، ١٩٧٩.
١٧٠. معجم المصطلحات اللغوية والادبية، د.علية عزت عياد، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ط)، ١٩٨٤.
١٧١. معجم النقد الادبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ـ العراق، ط١، ٢٠١٣.
١٧٢. معجم لمصطلحات النقد الحديث، حمادي صمود، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٥، ١٩٧٧.
١٧٣. معجم مصطلحات الاعلام، د. احمد زكي بدوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٥.
١٧٤. المغرب، لابن سعيد الاندلسي، تحقيق: د. شوقي ضيف، القاهرة (د.ط)، ١٩٥٥.
١٧٥. مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت (د.ت)، ١٩٩٤.
١٧٦. مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (د.ت).
١٧٧. مفهوم الخطاب وانواعه في النص القرآني، مؤيد فاضل محمد الشيباني، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، اشراف د. سرحان جفات سلمان، ٢٠١٠.
١٧٨. مفهومات في بينه النص، مجموعة كتاب غربيين، ترجمة: د. وائل البركات، دار معد للطباعة، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٩٦.
١٧٩. مقاصد الفلاسفة، ابو حامد الغزالي، تحقيق: د. سليمان دينا، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦١
١٨٠. مقدمة في النظرية الادبية ، تيري ايغلتن، ترجمة إبراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ط، ١٩٩٢.
١٨١. مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، د. أمجد حميد التميمي، لبنان، ط١، ٢٠١٠.

١٨٢. مقدمة في نظرية الخطاب، ديان ماكدونيل، ترجمة: عز الدين اسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١.

١٨٣. مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجاً، محمد سالم سعد الله جامعة الموصل، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، إربد، ٢٠٠٧.

١٨٤. من النص الى النص المترابط مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

١٨٥. من قضايا التلقي والتأويل، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٣)، ط١، ١٩٩٥.

١٨٦. مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم جومسكي، بريجيته بارتشت، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القارة، ط١، ٢٠٠٤.

١٨٧. منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، دار المغرب الاسلامية، بيروت، ١٩٨٠.

١٨٨. المنهجيات اللسانية في تحليل الخطاب الادبي، بسام بركة، الفكر العربي، العدد ٨٧، السنة ١٨، ١٩٩٧.

١٨٩. الموت والخلود في الأديان المختلفة، د. عزت زكي، القاهرة، دار النشر للكنيسة الاسقفية، ١٩٧٢.

١٩٠. النثر الأندلسي في عصر الموحدين، د. علي الغريب محمد الشناوي، مكتبة الادب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

١٩١. النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠.

١٩٢. نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع الهجري، د. داود سلوم، بغداد، مطبعة الامة.

١٩٣. النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة د. جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٩٦.

١٩٤. النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦.

١٩٥. نظرية الألسنية عند جاكبسون، دراسة ونصوص، د. فاطمة الطبال بركة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣.

١٩٦. النظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط٣، ١٩٨٧.

١٩٧. نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩.

١٩٨. نظرية التوصيل في النقد العربي الحديث، سحر كاظم حمزة الشجيري، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان ـ الأردن، ط ١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١.

١٩٩. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، د. عبد الناصر حسن محمد، المكتب المهدي لتوزيع المطبوعات، (د. ط)، ١٩٩٩.

٢٠٠. نظرية القارئ دراسة في دور مترجم النصوص الأدبية، د. مها طاهر عيسى الإبراهيمي، منشورات ابداع، النجف الأشرف، (د.ط)، ٢٠٠٨.

٢٠١. نظرية القراءة تأسيس للنظرية العامة للقراءة الادبية، عبد الملك مرتاض، دار الغرب، وهران، ٢٠٠٣.

٢٠٢. النظرية اللسانية والبيانية عند ابن حزم الاندلسي، قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني، نعمان بوقرة، دمشق، اتحاد الكتاب العربي، (د.ط)، ٢٠٠٤.

٢٠٣. النظرية اللسانية والشعرية في التراث النقدي العربي من خلال النصوص، د. عبد القادر المهيري، و د. حمادي صمود، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، ١٩٨٨.

٢٠٤. نظرية المنهج الشكلي ـ نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٢.

٢٠٥. نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠٦. نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، العرب والفكر العالمي، مركز الانماء القومي، بيروت ـ لبنان، العدد٣، ١٩٨٨.

٢٠٧. نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، المقري التلمساني، تحقيق حسان عباس، دار صادر بيروت، (د.ط)، ١٩٦٨.

٢٠٨. نقد استجابة القارئ، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: جين. ب. تومبكنز، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩.

٢٠٩. النقد الادبي، (بارت، ايكو، جنيت، باختين، غولدمان، لانصون، مورون، ريشار، جيروم روجي)، ترجمة وتقديم: شكسبير نصر الدين، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٣.

٢١٠. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبدالله الغذامي، المركز الثقافي للنشر، المملكة المغربية، الدار البيضاء، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢.

٢١١. النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، د.سمير الخليل، دار الجماهيري، بغداد، شارع المتنبي، لبنان ـ بيروت، ط١، ٢٠١٣.

٢١٢. نقد العلماء او تلبيس ابليس، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار المطبعة المنيرة، القاهرة، (د.ت).
٢١٣. النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، د. محمد عزّام ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط١، ١٩٩٦.
٢١٤. نهج البلاغة (بلاغة الانساق الاتصالية ووظائفها، محمد السيد جاسم، دار يوتيبيا للطباعة والنشر، بغداد ـ بيروت ـ لندن، (د.ط)، ٢٠١٤.
٢١٥. الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، حمادي صمود، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، (د.ت).
٢١٦. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦هـ)، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط٢، ١٩٥١.
٢١٧. وسائل الاتصال الجماهيري، د. جبار العبيدي، د. فلاح كاظم، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، (د.ط).
٢١٨. يتيمة الدهر للثعالبي، ج٢، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

ثانياً : الرسائل والاطاريح الجامعية.

١. أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية، رسالة ماجستير، طاهر شارف الجزائر، الجامعة الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة محمد خضير ـ بسكرة، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص علوم اللسان العربي، بإشراف الدكتور صلاح الدين ملاوي، ٢٠١٢-٢٠١٣.
٢. التلقي في شعر ما قبل الاسلام، حسنة محمد رحمة الساعدي، (اطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية التربية بنات، قسم اللغة العربية، بإشراف الاستاذ الدكتور شجاع مسلم العاني، ٢٠٠٣.
٣. جماليات العرض المسرحي العراقي المعاصر، دراسة نقدية، جبار خماط حسن، اطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة ـ جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م.
٤. الدلالات السياقية للقصص القرآني قصة النبي موسى(عليه السلام) انموذجاً، رسالة ماجستير ، للسيد: ابو زيد رحمون، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر)، كلية الآداب او اللغات، قسم اللغة والادب العربية.
٥. شعرية النثر طوق الحمامة أنموذجاً (رسالة ماجستير)، دانا عبد اللطيف سليم حمودة، اشراف د. محمد خليل الخلايلة، كلية الآداب والعلوم ـ جامعة الشرق الاوسط، ٢٠١١ – ٢٠١٢.
٦. قصص الحيوان جنساً أدبياً دراسة أجناسية سردية سيميائية في الأدب المقارن، د. خالد سهر الساعدي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩.

٧. مظاهر التحضر في شعر الغزل الاندلسي من عصر الخلافة حتى نهاية عصر الطوائف، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة القادسية، عدنان رحمن حسان القريشي، ٢٠٠٩.

٨. مفهوم للخطاب وانواعه في النص القرآني، مؤيد فاضل محمد الشيباني، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، اشراف د. سرحان جفات سلمان: ٢٠١٠.

٩. النص المفتوح في النقد العربي الحديث (نقد الشعر أنموذجاً)، لطروحة تقدم بها عزيز حسين علي الموسوي، جامعة القادسية، قسم للغة العربية وآدابها، ٢٠١٤.

ثالثاً : الدوريات والمجلات .

١. الاتصال، د. احمد ابو زايد، عالم الفكر، م١١، ع٢، ١٩٨٠.

٢. أثر الإيديولوجية السياسية للدولة في بناء الأطر الاخبارية، دراسة مقارنة لموقع BBC، وقناة العالم الايرانية جمال أحمد، المجلد الثامن، ٢٣، (المجلة المصرية لبحوث الرأي العام (جامعة القاهرة ـ كلية الإعلام، ٢٠٠٧ .

٣. الأسلوبية العاطفية، ريفاتير، ترجمة فاضل ثامر، مجلة الثقافة الأجنبية، عدد١٩٩٢،٢ (بحث).

٤. الاسلوبية والاسلوب مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، أحمد درويش، فصول القاهرة، م٥، ع١، ١٩٨٤.

٥. اشكالية مقاربة "النص الموازي" وتعدد قراءته، عتبة العنوان نموذجاً، د. محمد جكيب،(بحث منشور).

٦. توسيع الفجوة بحث في العلاقة بين الأسلوبية والالسنية والنقد الأدبي، د. مالك المطلبي، آفاق عربية، بغداد، ع١٢، س١٦، ١٩٩١.

٧. ثنائية المرسل والمتلقي مقارنة في ضوء مرجعيات نظرية المتلقي، د. هاتف بريهي شياع، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، كلية الآداب ـ جامعة القادسية، المجلد (١٦) العدد (٤) تشرين الاول ـ كانون الأول ٢٠١٣.

٨. الخطاب الأدبي والنقد الأسلوبي عند جورج مولينيه، بسام بركة، مجلة البحرين الثقافية، العدد٣٠، ٢٠٠١.

٩. الخطاب الأدبي والنقد الأسلوبي عند جورج مولينيه، بسام بركة، مجلة البحرين الثقافية، العدد٣٠، ٢٠٠١.

١٠. دراسة الادب بين علم العلامة ونظرية الأخبار، د. رياض السويسي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد ١٩٧٦،٨، ١٩٨٧.

١١. الدراسة البنيوية لمعلقة امرئ القيس، أمين أبو إسماعيل (مجلة الفيصل)، ع ٩٤، ١٩٨٥.

١٢. دلالة السياق وآثارها في النص الأدبي دراسة نقدية، محمد مختار جمعة مبرد، بحث، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة العدد رقم ٢٣، لسنة ٢٠٠٥.

١٣. علم اللغة وعلاقته بعلم الاسلوب، د. سامي الدباغ، مجلة فصول، العدد ٧٩ / ١٩٨٣.

١٤. فضاءات جديدة للنقد الثقافي، مجلة عالم التربية، حفناوي بعلي، راهن العلوم الانسانية أي نموذج تربوي ، المدينة الجديدة ـ المغرب ، العدد١٦، ٢٠٠٥.

١٥. في النقد ولغته، د. عناد غزوان إسماعيل، الكوفة، النجف، ٥٤٤، س٣، ج٢، ٢٠٠٢.

١٦. القصيدة والنقد سلطة النص أم سلطة القراءة، فاضل ثامر، من أبحاث المربد الشعري الثامن، المحور الثاني (الشعر العربي الحديث وآليات الحضارة المعاصرة) اعداد عائد خصباك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

١٧. اللسانيات والتواصل، عمر أوكان، ٢٠٠١، مجلة فكر ونقد عدد ٣٦ سنة ٤، (بحث منشور).

١٨. اللغة ووسائل الاعلام، محمد علي الاصفر، مجلة البحوث الاعلامية، العدد السابع، ١٩٩٢.

١٩. مجلة (علامات)، جدة ، ج٥،م ٤٠، مارس ١٩٩٥.

٢٠. مشكلة التوصيل (الشاعر والجمهور)، د. عناد غزوان، جامعة بغداد، مهرجان المربد الشعري الثامن ٢٤-١/١٢/١٩٨٧.

٢١. من سلطة النص الى سلطة القارئ، فاضل ثامر، الفكر العربي، المعاصر، ع ٤٨-٤٩، ١٩٨٨.

٢٢. نحو اجرومية النص، دراسة قصيدة جاهلية، سعيد مصلوح، مجلة فصول، المجلد ١٠، ع ١/٢، ١٩٩١م.

٢٣. نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، د. رضوان القضماني، و اسامة العكش، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، المجلد ٢٩، العدد ١٢، ٢٠٠٧.

٢٤. وسائل الاعلام، محمد علي الاصفر، مجلة البحوث الاعلامية، ليبيا، ع٩-١٩٩٦،١٠.

٢٥. وظائف اللغة عند رومان جاكبسون، اعبو ابو اسماعيل، مجلة الفيصل السعودية، ع١١٧ سنة ١٠، ١٩٨٦.

المصادر الأجنبية :

1. C. Perelman, L. Olbrechls – Jyteca, La nouvelle melorique, traite de l'argumentation, 1958.

2. C.K .orecchioni, lesinleractions, verbales.
3. Domininque Maingueneau. Lestermescl'es de del'Analyse du Discours.P. 26. Seuill, 1996. Paris. France.
4. J. Martinet, clefspour lasemiologie, Paris 3em, 1975.
5. Jean – Marie Schaeffer, Quest-ce qu'un Gener Literature Paris, Editions du seuil, 1989.
6. Socialorgnization, chartescooley, 1909.
7. The Oxford Dictionary, University press, First Published, 1999.
8. Webster's new twentieth century Dictionary of the English Noah webster, bster, Collins world, 1978.

The Abstract

There is no doubt that the communication theory can be employed and reported them in the traditional texts, as well as in modern texts, as they deal with what is in the space studied Balastdhaeh with data modern approaches such as curriculum structural and curriculum semiotic, and curriculum stylistic and others reported it, and what was Messages son of Andalusian packs texts literary heritage fit to be an arena welcomed to apply this theory is added to it opens wide horizons on modernity and beyond Shall was the application of the curriculum dealing was so hence my desire was studied in accordance with the cultural criticism and Mptnyate.

Another issue related to the civilization of Andalusia, the virtual and the direction taken by Ibn Hazm belief was based on him in every respect to what was experienced in life, note or he fabricated or literature or otherwise, which is reflected clearly on his letters taken my field here that, as has emerged landmarks nodal approach in directing his speech, dealing with its readers, as well as the impact of being placed Batha etc. of the various elements of the theory of conduction, and have observed so clearly.

I have tended my merits of the topic and nature from the theory and the end of the texts of the messages to his study and divided three chapters lead by booting and called (Plug theory shows immanence and influence), followed by the first chapter which they called (the sender and the addressee in letters son of Andalusian packs), Chapter II it was marked by b (the letter in the texts of messages Ibn Hazm), and has been the title of Chapter III (edge elements of the message).

Not figured out that a study aboard literary messages son an easy one in and I faced in his study - I mean board messages - problems and difficulties as often Aatas to identify the sender in his letters, and also the construction of understanding of its purpose and interlocutor taking into account the multiplicity of different times and cultures, which is reclined to modernity and

what conditions then in the conduction theory frames, and required the study of texts on the light, and work in tandem with this problem another problem is the issue of determining the meaning given as often varied meanings and connotations in the body of messages, Vohkl many of them to understand and Thirt in directing some sense, this sticks problem It was not easy to skip it, but God has blessed and better after investigation and scrutiny, including the reading pleasure of knowing the meaning or a particular approach in the least.

As well as the hardship of dealing with the term is expressed (compiler), and the multiplicity of what I found him to the concept of one as many of the translators of researchers and critics of Arab mayors to translate terms that runs from the conduction theory, and what is going on around heterogeneous translations in terms of wording which makes the issue of the choice term is more accurate is difficult and hard, and this is what he said the other hardship falls within what I said before, it has led me the multiplicity of the term to attempt to pick the closest to theoretical envisage thereby obtain the most accurate results through the approach of those concepts of the language of Ibn Hazm and style apparent in his letters, as it was to systematize lumpy and clear the track, which made those messages that allowed multiple readings and the prospect of a different gloss stands behind the multiplicity of topics which fought Ibn Hazm, and prepared this case doubling of hardship and distress when taking into consideration studied in the light of the connection theory.

I remember that I have reported and hired a lot of sources in order to complete this message to what it is now, and the most important sources of literature that was first messages Ibn Hazm achieving Dr. Ihsan Abbas, has been applied to the study, and his books (The Ring of the Dove in the intimacy and thousands), and the literature regarding the monetary side and remind them (the theory of communication and the Arab Monetary talk) Dr. charm Kadhim Hamza Shujayri, including also (capillary issues) to Roman Jakobson, including (literature and speech cash), Dr. Abdul Salam Masdi, and used a lot of sources I leave here mentioned and Investigated to the newspaper Almazan and references to be a witness to employ those Almazan.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Al-Qadisiya University
College of Arts

The Messages of Ibn Hazm al-Andalusi in Terms of the Communication Theory

A thesis Submitted
To the Council of the College of Arts - University of Qadisiya, as a Part of a Master's Degree Requirements in Arabic Language/ Literature

By

Duhua Majid Bader Al – Baaj

Supervisor
Assist. Professor

Dr. Nahida Sattar Aubed

1437 2016